

بيان السعادة في مقامات العبادة

حاج سلطان محمد گنابادی

ملقب به سلطانعلیشاه







هو
۱۲۱

متن عربى

تفسير شريف
بيان السّعادة فى مقامات العبادة

تأليف

العارف الشّهير

سلطان محمّد الجنابذى سلطانعليشاه قدس سره

هو

۱۲۱

(المجلّد الثالث)

متن تفسير شريف

بيان السّعادة فى مقامات العبادة

تأليف

العارف الشّهير

حاج سلطان محمّدالجنابذى الملقّب بسلطانعليشاه

طاب ثراه

سورة البقره

[وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمَشْرِكَـٰتِ] عطف باعتبار المعنى فانّ قوله تعالى: قل اصلاح لهم خيرٌ.

و قوله تعالى: و ان تخالطوهم فاخوانكم معناه: أصلحوا لهم و خالطوهم نحو مخالطة الاخوة و وجه المناسبة أنّهم كانوا يتكفّلون اليتيمة و يخالطونها في بيوتهم للنّكاح ان كانت ذات مالٍ، و ان لم تكن ذات مالٍ أعرضوا عنها.

و ربّما كانت تجتمع عند الرّجل عدّة نساءٍ من اليتامى لم يكن يقوم بحقوقهنّ فقال تعالى بطريق العموم: و لاتنكحواالمشركات من اليتامى و غيرهنّ [حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ] و لامنافاة بين هذه الاية و بين آية احلال الكتابيّات حتّى يكون احدا هما ناسخة للاخرى.

[وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ] بجمالها او مالها او حسبها او نسبها.

[وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَـٰٓئِكَ] المشركون و المشركات [يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ] اى الى الشّرك المؤدّى الى النّار فحقّهم عدم المخالطة و المصاهرة.

[وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ] حقّ العبارة ان يقول: و المؤمنون و المؤمنات يدعون الى الجنّة لكنّه عدل عنه اشعاراً بانّ دعاء المؤمنين دعاء الله.

تحقيق تكيّف الّفوس من مجاورها

اعلم انّ نفس الانسان قبل ان تستكمل و تتمكّن فى شىءٍ من السّعادة و الشّقاوة قبلة محضة تتأثّر من كلّ ما تجاوره كالمراة الصّافية الّتى ينطبع فيها كلّ ما يواجهها و المسلم و المسلمة و المؤمن و المؤمنة بواسطة الاتّصال بالنّبىّ ﷺ و الولىّ عليه السلام بالبيعة العامّة او الخاصّة ينطبع فى نفس كلّ منهم فعليّة ما من النّبىّ ﷺ او الولىّ عليه السلام و كلّ من يجاوره يتأثّر ممّا انطبع فيه و المشرك و المشركة سواء كان الشّرك بالله او بالرّسالة او بالولاية ينطبع من الشّيطان فعليّة ما فى نفس كلّ منهما و كلّ من يجاوره يتأثّر ممّا انطبع فيه و ينطبع فيه شىءٌ ما منه.

و منه يعلم وجه خيريّة العبد المسلم و الامة المسلمة من المشرك و المشركة فانّهما مظهر ان للنّبىّ ﷺ و هما مظهر ان للشّيطان، و يعلم ايضاً وجه العدول الى قوله تعالى: الله يدعو الى الجنّة فانّ فعليّة النّبىّ ﷺ بما هو نبىٌّ فعليّة من الله و يظهر وجه نسبة الدّعوة الى المشركين بطريق العموم و تأدية الفعل بالمضارع الدّالّ على الاستمرار مع انّ اكثر المشركين لا يدعون احداً و من يدعو لا يدعو مستمرّاً.

و هكذا الحال فى جانب المسلمين لانّ هذا التأثّر و الانطباع لا يكون باللّسان و الاستماع بل قد يكون اللسّان و السّماع معدّين له.

[بِإِذْنِهِ ى] اى باباحته و ترخيصه و هو متعلّق بيدعو و به و بيدعون على سبيل التّنازع.

و المقصود انّ دعاء المشركين و المسلمين ليس بدون اذن الله تعالى و ترخيصه لانّ جعله تعالى النّفوس بحيث تنطبع فيها فعليّة مجاورها و فعليّة

الشيّء بحيث تؤثّر فيما تجاوره انّما هو بجعله تعالى و جعله اذنه التّكوينيّ.

[وَ يُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِۦ] عطف على يدعو يعنى انّ هذه الدّعوة التّكوينيّة من آيات حكمته و قدرته تعالى و تأثّر المجاور و ظهور تلك الدّعوة فيه بيان للايات، او المراد انّه يبيّن احكامه الشرعيّة بلسان أنبيائه و أوصيائهم عليهم السلام.

[لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] بدقائق الحكم المودعة فى الايات بسبب ظهور آية الشّرك من المشرك و المشركة و آية الاسلام من المسلم و المسلمة فيهم او بسماع الايات و الاحكام من الانبياء عليهم السلام.

[وَ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ] من حيث المجامعة بقرينة الجواب؛ كانوا يجتنبون النّساء فى الشّرائع السّابقة حال الحيض أشدّ اجتناباً من هذه الشّريعة على ما نقل، و الانسانيّة تكره مضاجعتهنّ فى تلك الحالة فكانوا يسألون بعد بعثته صلى الله عليه وآله على ذلك.

[قُلْ هُوَ أَذًى] للانسانيّة من حيث استقذاره و لنفس الانسان من حيث تأثّرها و غلبة الحيوانيّة عليها حتّى تستلذّ المضاجعة و لا تكرها حينئذٍ، و لبدن الرّجال من حيث تأثّر الالة من اثر الدّم و كيفيّته حتّى يورث بعض الامراض و لبدن النّساء بوجهٍ.

[فَاعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ] كناية عن ترك المجامعة كما انّ المجامعة و المضاجعة و المقاربة كلّها كنايات عن النّكاح.

[وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ] من الدّم بالانقطاع و قرئ يطّهّرن بالتّشديد من التّطهّر فيكون المراد التطهّر بالاغتسال او الوضوء او غسل الفرج.

[فَإِذَا تَطَهَّرْنَ] ان قرئ الاوّل بالتّخفيف كان حكم حالة الدّم و حكم

ما بعد الاغتسال او الوضوء او غسل الفرج منصوصاً و حكمهنّ بعد انـقطاع الدّم و قبل ذلك مجملاً، و ان قرئ الاوّل بالتّشديد كان حكم ما بعد ذلك اباحة المقاربة و حكم ما قبله الاعتزال و جوباً او استحباباً و كيف كان فالاية مجملة محتاجة الي البيان.

[فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ] اى من مكانٍ و ثقبةٍ أمركم الله بالاتيان منه و لاتأتوهنّ من مكانٍ لم يأمركم الله بالاتيان منه، فعلى هذا كانت الاية دالّة بمنطوقها على اباحة الاتيان من الفروج و بمفهومها على عدم اباحة الاتيان من غير الفروج.

او المعنى فأتوهنّ من حيثيّة امره تعالى لامن حيثيّة محض الشبق او نهيه، او من حيث أمره يعنى غاية امره مثل الاستيلاد و استفراغ البدن و فراغ البال من الخطرات الناشئة من امتلاء الاوعية و الاستيناس و سكون النّفس و المقصود من هذا القيد اين يكون النّظر فى المضاجعة الى نفس أمره او غاية أمره من دون غفلةٍ عنه تعالى فانّ المضاجعة مع الغفلة لاتكـون الّا بشـركة الشّيطان او استقلاله؛ و على هذا فالاية تدلّ بمفهومها على النّهى عن اتيان المحرّمات بالذّات اوبالعرض و عن الاتيان من الادبار و عن الاتيان مع الغفلة عن الامر و غاياته.

و قوله تعالى [إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ] يدلّ على هذا فانّ التّوّاب من كان كثير المراجعة الى الله فى الكثرات فكأنّه قال: كونوا كثيرى النّظر الى الامر وكثيرى الرّجوع فى جميع أحوالكم اليه تعالى و الى أمره حتّى فى أخسّ أحوالكم الّذى هو اتيان النّساء لانّ الله يحبّ كثيرى الرّجوع الى الله و الى امره.

[وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ] من الاقذار الجسمانيّة بالماء فانّ الطّهارة الكاملة من الاقذار لاتحصل الّا بالماء و من الادناس النّفسانيّة و الفـضلات

الشّيطانيّة بماء الامر الالهيّ.

نسب الى الصّادق عليه السلام انّه قال: كان النّاس يستنجون بالكرسف و الاحجار ثمّ احدث الوضوء و هو خلق كريم فأمر به رسول الله صلى الله عليه وآله و صنعه فأنزل الله فى كتابه انّ الله يحبّ التّوّابين و يحبّ المتطهّرين.

و عنه عليه السلام انّ الاية نزلت فى رجل من الانصار اكل الدّبّاء فلان بطنه فتطهّر بالماء و لم يكن ديدنهم قبل ذلك التّطهير بالماء.

[نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ] الحرث له معانٍ لكنّ المناسب ههنا معنى الزّرع، و حمل المعنى على الذّات بأحد الوجوه الّتى ذكرت فى حمل المعنى على الذّات، و المقصود المبالغة فى كونهنّ محلّ الزّراعة بحيث كأنهنّ لاشأن لهنّ الاّ الزّرع [فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ] من حيث كونهنّ حرثاً لكم و بعد ماذكر عند قوله تعالى: فاتوهنّ من حيث أمركم الله من مفهوم المخالفة و اعتبار حيثيّة وصف العنوان ههنا لا يبقى شكّ لاحدٍ فى عدم اباحة الادبار او كون حكمه من المجملات لانّ اباحته مستنبطة من الاية [أَنَّىٰ شِئْتُمْ] كيف شئتم، او فى ايّ ساعةٍ شئتم،

و امّا معنى من ايّ مكانٍ شئتم و ارادة الثّقبتين منه فيجوز استعمال انّى شئتم فيه لكن ينافيه تعليق الاتيان على عنوان الحرث و لو سلّم عدم المنافاة بسبب عدم اعتبار حيثيّة العنوان فى الحكم كانت الاية بالنّسبة الى الادبار مجملةً متشابهة فالاستدلال على الاحلال بهذه الاية ليس فى محلّه.

نسب الى الرّضا عليه السلام انّه قال: انّ اليهود كانت تقول: اذا اتى الرّجل المرأة من خلفها خرج ولده احول فأنزل الله تعالى نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انّى شئتم من خلف و قدّام خلافاً لقول اليهود و لم يعن فى ادبارهنّ، فقوله من خلف و قدّام اشارة الى جعله انّى شئتم بمعنى من انّى شئتم لكن نفى

ارادة الادبار، و قيل أنكرت اليهود الوطى اذا كانت المرأة قائمة او قاعدة فردّ الله عليهم.

[وَقَدِّمُواْ] امرالله على امرالشّيطان او على امر النّفس او على العمل فى اتيان النّساء او فى كلّ عمل.

[لِأَنفُسِكُمْ] اى لانتفاع أنفسكم الّتى هى مقابلة عقولكم و طبائعكم والمقصود انّكم اذا قدّمتم فى اتيان النّساء الامر الالهىّ و اتيتموهنّ من جهة الامر كان انتفاعة للانفس المقتضية لمخالفة الامر و الغفلة عنه او لانتفاع ذواتكم فانّه اذا كان الفاعل و المفعول واحداً فى غير باب علم يتخلّل الانفس بين الفعل و مفعوله.

او المعنى قدّموا أنفسكم بزيادة لام التّقوية يعنى قدّموا ذواتكم على الشّيطان او على النّفوس المقتضية لمخالفة الرّحمن فى الاعمال و لاسيّما الاعمال الموافقة للنّفوس كاتيان النّساء حتّى لاتغلب عليكم فتلهيكم عن أمره او يكون قدّموا بمعنى تقدّموا اى تقدّموا على الشّيطان او على الانفس لانتفاع انفسكم او ذواتكم.

[وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ] فى تقديم أمر الشّيطان او امر النّفس او تقدّم واحد منها عليكم.

[وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ] فى الاخرة او فى الحال الحاضر و لذا أتى باسم الفاعل المتبادر منه الزّمان الحاضر يعنى اذا علمتم انّكم فى حال العمل ملاقوالله او فى حال الجزاء ملاقوه اجتنبتم القبيح و تقديم الشّيطان و هوى النّفس.

[وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ] صرف الخطاب منهم اليه ﷺ لانّه اهل التّبشير او الخطاب عامّ و هذا الكلام أمر و نهى و وعد و وعيد.

[وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً]معرضاً [لِّأَيْمَـٰنِكُمْ] جمع اليـمين بمعنى الحلف يعنى لاتكثروا الحلف بالله صادقاً او كاذباً او لغواًتأ كيداًللكلام او لاتجعلوا الله حاجزاً عن اعمال الخير لاجل ايمانكم على تركها و كـلاهما مرويّان.

[أَن تَبَرُّواْ] لان لاتبرّوا او كراهة ان تبرّوا او ارادة ان تبرّوا او لان تبرّوا او على ان تبرّوا او فى ان تبرّوا اى فى حقّ البرّ، او هو بدل عن الايمان على ان يكون المراد بها الامور المحلوف عليها.

[وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] يسمع ما تتفوّهون به من الايمان بالله يعلم سرائركم فيؤاخذكم ان كان ايمانكم كاذبةً و نيّاتكم غير صادقة.

[لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ] اى بالاتيان بكـلام غير معتدٍّ به فى الايمان او بالخطاء فى الايمان و على ايّ تقدير فالظّرف لغو متعلّق باللّغو لكونه مصدراً مقتضياً لهذا الظّرف و لاحـاجة الى جـعله ظـرفاً مستقرّاً حالاً من اللّغو.

و المراد به الايمان التأكيديّه الّتى ليست مرادفـة للـنذر و العـهد و لامثبتة لحقّ او مبطلة لحقّ.

و قيل: المراد باللّغو فى الايمان الخطاء فيها بان يحلف صادقاً ثمّ تبيّن انّه اخطأ و كان كاذباً فلا اثم عليه و لا كفّارة؛ و قيل: المراد اليمين الّتى يحلف بها الغضبان فلم يكن فيها كفّارة ان حنث، و قيل كلّ يمين ليس له الوفاء بها و لايكون فى حقّ و لا كفّارة فيها فهى لغو.

[وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ] بـالّذى كسـبته او بكسب قلوبكم.

اعلم انّ العمل فعلاً كان او قولاً اذا لم يكن عن نيّة قلبيّة و اعتقاد جازم بالغاية المترتّبة عليه كان لغواً و لا يثبت منه أثر معتدٌّ به فى القلب و لا يصدق عليه انّه كسب القلب منه شيئاً و اذا كان من نيّة قلبيّة و اعتقاد جازم بالغاية منه حصل صورة ذلك العمل فى مقام اجمال النّفس اوّلاً ثمّ فى مقام تفصيلها ثمّ حرّك الشوقيّة ميلاً و عزماً و ارادة ثمّ حرّكت الارادة القوّة المحرّكة ثمّ حرّكت المحرّكة الاعصاب ثمّ الاوتار و العضلات و الاعضاء.

ثمّ يحدث الفعل ثمّ ينتقل ذلك العمل من طريق الباصرة او السّامعة الى الحسّ المشترك ثمّ الى الخيال و الواهمة ثمّ الى مقام اجمل النّفس، فبانتقاش الفعل مرّتين فى النّفس و الاته يحصل اثر ثابت فيها فيصدق عليها انّها كسبت من العمل شيئاً.

فمعنى قوله تعالى و لكن يؤاخذكم بماكسبت قلوبكم و انتقاشها فيها و فى الاتها مرّتين [وَٱللَّهُ غَفُورٌ] يغفر لغو الايمان و لا يؤاخذكم به [حَلِيمٌ] لا يعجل بمؤاخذة ما يأاخذكم عليه ثمّ ذكر تعالى قسماً واحداً من اقسام الايمان الّتى يؤاخذ بها فقال [لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ] يبعدون بالحلف [مِن نِّسَآئِهِمْ] بان يحلفوا ان لا يجامعوهنّ [تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ] من النّساء و أهلهنّ و من حكّام الشّرع فلا يطالبوهم بشىءٍ من المضاجعة و الطّلاق [فَإِن فَآءُو] فى تلك المدّة بحنث ايمانهم و كفّارتها فلا شىء عليهم.

[فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ] يغفر ما فرط منهم بعد الكفّارة [رَّحِيمٌ] يرحمهم بترخيص المراجعة بعد الحلف.

[وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ] لطلاقهم [عَلِيمٌ] بنيّاتهم و اراداتهم من انّها افساد او اصلاح.

اعلم انّه تعالى كرّر ههنا ذكر الجلالة بأوصافٍ مختلفة فى اربعة

مواضع؛ و الوجه العامّ كما مرّ اقتضاء محبّة المخاطب و التذاذة تكرار ذكر المحبوب و اقتضاء محبّة المتكلّم للمخاطب تطويل الكلام بالبسط و التّكرار و اختلاف الاوصاف انّما هو باقتضاء خصوصيّة المقام.

فانّ النهى عن جعله تعالى عرضة للايمان يقتضى التّهديد بانّه تعالى يسمع كلّما ينطق به الانسان و من جملتها كثرة الايمان و ابتذال اسم الله يجعله مقدّمة لهوى النّفس و يعلم ما فى الجنان من الحقّ و الباطل و الكذب و الصدق و مقام الامتنان بترك المؤاخذة باللّغو فى الايمان.

و المؤاخذة على ما كسبت القلوب تقتضى ذكر المغفرة بالنّسبة الى ترك المؤاخذة و الحلم بالنّسبة الى المؤاخذة و ترك العجلة و الفيء بعد النّظر الى مساوى المرأة و الغضب عليها و الحلف على اضرارها الى الاحسان اليها.

و غضّ البصر عن ذنوبها يقتضى ذكر مغفرة الله و رحمته تعالى و عزم الطّلاق ببقاء الغضب عليها و النّظر الى ذنوبها، و التّفوّة بصيغة الطّلاق يقتضى ذكر السّماع و العلم بنيّة المطلّق و غضبه و العلم بمساوية لعلّه يتنبّه و يغفر طلباً لغفران الله.

و نسب الى الصّادقين عليهما السلام انّهما قالا: اذا الى الرّجل ان لا يقرب امرأتة فليس لها قول و لا حقّ فى الاربعة أشهر و لا اثم عليه فى كفّه عنها فى الاربعة أشهر فان مضت الاربعة اشهر قبل ان يمسّها فسكنت و رضيت فهو فى حلٍّ وسعةٍ و ان رفعت امرها.

قيل له امّا ان تفيءَ فتمسّها، و امّا ان تطلّق و عزم الطّلاق ان يخلّى عنها فاذا حاضت و طهرت طلّقها و هو أحقّ برجعتها مالم تمض ثلاثة قروء فهذا الايلاء أنزل الله تبارك و تعالى فى كتابه و سنّته.

[وَ ٱلْمُطَـلَّقَـٰتُ] لمّا انجرّ الكلام الى ذكر الطّلاق ذكر تعالى بعض

أحكامه و لفظ المطلّقات يشمل جميع اقسام الطّلاق و جميع المطلّقات المدخول بهنّ يائسات و غير يائسات حاملات و غير حاملات ذوات اقراءٍ و غير ذوات الاقراءٍ و هنّ فى سنّ ذوات الاقراء، و الغير المدخول بهنّ.

لكنّ المراد ذوات الاقراء المدخول بهنّ الغير الحوامل فالاية مثل سائر الايات من المجملات المحتاجة الى البيان.

[يَتَرَبَّصْنَ] اخبار فى معنى الامر و اشعار بانّ هذا ديدنهنّ لاحاجة لهنّ الى الامر به و لايمكنهنّ غيره و المقصود التأكيد فى التّربّص [بِأَنفُسِهِنَّ] الباء للتّعدية اى يحملن انفسهنّ على انتظار رجوع الازواج او للسببيّة مثل ضرب الامير بنفسه يعنى [1] لابواسطة غلامعه فانّه ليس للدّلالة على وساطة النّفس بل على نفى وساطة الغير و كلاهما يدلّان على المبالغة و انّ النّساء كان اَنفسهنّ لاتطيعهنّ فى التّربّص او لفظ الباء مثله فى قلوبهم ربص بفلان و تربّص به خيراً او شرّاً يعنى انتظر الخير او الشّرّله فهو للالصاق كأنّ التّربّص من المتربّص ملصق بالمتربّص به و المعنى انّ المطلّقات يتربّصن رجوع ازواجهن.

[ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ] القرء من الاضداد للطّهر و الحيض و المشهور من الاخبار و الفتوى انّ المراد به ههنا الطّهر.

[وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ] يعنى انهنّ مصدّقات فى كونهنّ طاهرات و فى انقضاء العدّة و فى الحمل و عدمه و لايحلّ لهنّ ان يكتمن ما فى ارحامهنّ من الدّم و الحمل لتعجيل العدّة اولتعجيل الطّلاق او لعدم ردّ الولد على والده.

[إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ] شرط تهييج [وَبُعُولَتُهُنَّ

أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ] بارجاعهنّ الى النّكاح من غير عقد كما بيّن لنا.

[فِى ذَٰلِكَ] الزّمان و امّا بعد ذلك الزّمان يعنى زمان العدّة فالبعولة و غيرهم سَواءٍ بحسب الحكم الشّرعىّ و ان كانوا بحسب بعض الدّواعى اولى بنكاحهنّ بعقد جديد مثل ان يكون بينهما اولاد صغار لم يكن احد يتكفّل تربيتهم و غير ذلك [إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَـٰحًا] اشارة الى انّ من لم يرد اصلاحاً لم يكن اولى فى نفس الامر و لم يكن له رجوع فى نفس الامر و ان كان الحكم كلّيّاً فى ظاهر الشّرع و كان له الرّجوع و لايخفى انّ هذه الاية مثل سابقتها مطلقة مجملة و لكنّ المراد المعتدّة بالعدّة الرجعيّة لاالباينة.

[وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ] يعنى فى مدّة العدّة كما هو الظّاهر يعنى كما انّ للزوج حقّ الرجوع فى العدّة من غير رضىً منها فلها عليه النفقة و المسكن فى تلك المدّة، او المراد انّ للنّساء حين بقاء الزوجيّة و عدم الطّلاق مثل الحقّ الّذى عليهنّ من الرّجال فيكون بياناً لحقوق الطرفين فى زمن الزّوجيّة يعنى انّ حقّ الزوج على المرأة ان تطيعه و لاتمنعه من تمتّعاته و لاتخرج من بيتها و لاتدخل فى بيتها احداً و لاتتصرّف فى ماله و لاتتصدّق من بيته و لاتصوم تطوّعاً و لاتزور حيّاً او ميّتاً الاّ باذنه.

و تحفظه فى نفسها و ماله كذلك لها عليه ان ينفق عليها و يكسوها و يسكنها و يوفى حقّ قسامتها كلّ ذلك بحسب حالها و استطاعته.

[بِالْمَعْرُوفِ] بما لم يكن فيه ضرر و اضرار يمنعه الشّرع [وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ] بما فضّلهم الله بزيادة العقل و بما كفّلهم الله القيام بامرهنّ.

عن الباقر عليه السلام انّها جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه و آله فقالت: يا رسول الله ما حقّ الزّوج على المرأة؟

ـ فقال لها ان تطيعه و لاتعصيه و لاتتصدّق من بيته بشيءٍ الّا باذنه و لاتصوم تطوّعاً الّا باذنه و لاتمنعه نفسها و ان كانت على ظهر قتب و لاتخرج من بيتها الّا باذنه فان خرجت بغير اذنه لعنتها ملائكة السّماء و ملائكة الارض و ملائكة الغضب و ملائكة الرّحمة حتّى ترجع الى بيتها، فقالت: يا رسول الله من أعظم النّاس حقّاً على الرجل؟

ـ قال: والده، قالت: فمن أعظم النّاس حقّاً على المرأة؟

ـ قال: زوجها قالت: فمالى من الحقّ عليه مثل ماله علىّ؟

ـ و قال: و لامن كلّ مائةٍ واحد، فقالت: و الّذى بعثك بالحقّ نبيّاً لايملك رقبتى رجل ابداً.

[وَٱللَّهُ عَزِيزٌ] يعنى لاينبغى للرّجال ان يؤاخذوا النّساء بجهالاتهنّ و قصورهنّ فى الافعال بعد ان فضّلهم الله على النّساء فانّ الله عزيزٌ لايمنعه مانع من ارادته و لايؤاخذكم بقصوركم و تقصيركم.

[حَكِيمٌ] لايجعل فى جبلة الرجال الفضيلة على النّساء و لايأمر بقيامهم بأمرهنّ و لا فى جبلّتهنّ المحكوميّة الّا لحكم و مصالح فلا تخرج المحكومات عن طريق محكوميتهنّ و لايتعدّالحا كمون فى حكومتهم.

[ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ] هذه العبارة من المتشابهات المحتاجة الى البيان فانّها بظاهرها تدلّ على انّها لاتحلّ للزّوج بعد الطّلقتين او لايجوز طلاقها بعد الطّلقتين بل يجب امساكها او لايقع الطّلاق دفعةً الّا مرّتين و لو قال: زوجتى طالق ثلاثاً او كرّر الصّيغة ثلاثاً و ليس شىءٌ منها مقصوداً و المقصود انّ الطّلاق الجارى على سنّة الطّلاق و هى ان يكون للزّوج رجعة فى العدّة مرّتين.

[فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ] بعد هما بان لايطلّق و يمسك المرأة بشىءٍ

من المعروف لا بجهة الاضرار [أَوْ] تطليق [تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ] اى متلبّسٍ بشىءٍ من الاحسان و هذا الّذى فسّر الاية فى الاخبار به.

[وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ] من المهر و غيره [شَيْئًا] حقّ العبارة ان يقول: لا يحلّ لهم اى لبعولتهنّ المذكورين سابقاً لكن لمّا كان الغالب انّ اخذ المهر او ازيد او اقلّ من النّساء لا يكون الّا بمعونة المصلحين او الحكّام اتى بخطاب الجمع لئلّا يتوهّم من ضمير الغائب انّ المراد البعولة فقط و انّ الحرمة خاصّة بهم و ليجبر كراهة ترك المهر بلذّة المخاطبة و نسبة الايتاء الى الجميع مع انّ المؤتى الزّوج فقط من باب التّغليب و لانّ الايتاء ايضاً فى الاغلب يكون بمعونة الغير و اصلاحه.

[إِلَّآ أَن يَخَافَآ] اى الزّوجان و للاشارة الى انّ المخاطبين الازواج و الحكّام و المصلحون لا النّساء و البعولة.

نسب الخوف الى الزّوجين ههنا بطريق الغيبة و لانّ الاصل فى ظنّ عدم اقامة الحدود الزّوجان و امّا الحكّام و المصلحون فانّهم يظنّون ذلك بعد ما ظنّاه.

[أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ] بالنّشوز من الطّرفين عدم امتثال الزّوج الامر بالقيام بحقوقها و قسامتها و الزّوجة الامر بتحصّنها و تمكينه و حفظه فى غيبته فى نفسها و ماله.

[فَإِنْ خِفْتُمْ] خاطب الجماعة دون الزّوجين لانّ المصلحين و الحكّام يظنّون ذلك ايضاً و لانّ خطاب الحرمة كان معهم فخطاب نفى الحرج ينبغى ان يكون معهم.

[أَلَّا يُقِيمَا] نسب عدم الاقامة ههنا الى الزّوجين بطريق الغيبة بعد نسبة الخوف الى الجماعة بطريق الخطاب اشعاراً بانّ الخوف و ان كان يشمل

الحكّام و المصلحين تبعاً للازواج لكن اقامة حدود الزوجيّة ليست الاّ من الازواج.

[حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا] حقّ العبارة بعد نسبة عدم الاحلال الى الجماعة و نسبة الخوف اليهم بطريق الخطاب ان يقول: فلا جناح عليكم حتّى ينفى الحرج عمّن نسب عدم الاحلال اليهم لكنّه نفى الحرج عن الزّوجين للاشارة الى انّ المتحرّج بالاصالة هما الزّوجان و حرج غيرهما انّما هو تابع لحرجهما.

[فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ تِلْكَ] الاحكام المذكورة من احكام القصاص و ما بعده او ماقبله و ما بعده او من احكام الزوجيّة فقط.

[حُدُودُ ٱللَّهِ] حدود حمى الله [فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ] لاظلم خارجاً من التعدىّ فانّ الظّلم الّذى هو منع الحقّ عن المستحقّ و اعطاؤه لغير المستحقّ تجاوز عن حدّ الله كما انّ التّجاوز عن كلّ حدّ منع عن الحقّ و اعطاء لغير المستحقّ.

[فَإِن طَلَّقَهَا] هذا ايضاً من المجملات لكنّ المراد ان طلّقها بعد الثانية [فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ] اى بعد الطّلاق الثّالث [حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ فَإِن طَلَّقَهَا] الزّوج الثّانى.

[فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ] اى على الزّوج الاوّل و الزّوجة [أَن يَتَرَاجَعَآ] بالزّواج [إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ وَتِلْكَ] الاحكام المذكورة من الحرمة بعد الطّلاق الثّالث و حلّيّتها بعد نكاح الغير لها بشرط ظنّ اقامة الحدود.

[حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] اى يعدّون من العلماء لا من البهائم و غير العقلاء و تفصيل الطّلاق الموجب للحرمة بعد الثّالثة و شروطه

مذكورة فى الكتب الفقهيّة.

[وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ] اى آخر عدّتهنّ بحيث ما خرجن من العدّة و لذا فسّره المفسّرون بقرب آخر المدّة [فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ] بشىءٍ ما يعرفه الشّرع و العقل حسناً يعنى راجعوهنّ و امسكوهنّ بنحو امساك الازواج و اداء حقوق الزوجيّة.

[أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ] و التّسريح بالمعروف ان يخلّى سبيلهنّ و لا يمنعن عمّا يفعلن فى انفسهنّ و يعطين ما يسرّون به [وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا] لمضارتّهنّ او امساك ضرار او مضارّين او مضارّات بان تراجعوهنّ لان تحسبوهنّ ان ينكحن و لا تقوموا بحقوقهنّ.

[لِّتَعْتَدُواْ] عليهنّ بمنعهنّ عن نكاح الغير و عن حقوق الزوجيّة او الجائهنّ الى الافتداء كما هو ديدن اهل الزّمان اذا كرهوا الازواج.

عن الصّادق عليه السلام انّه سئل عن هذه الاية فقال: الرّجل يطلّق حتّى اذا كادت ان يخلو اجلها راجعها ثمّ طلّقها يفعل ذلك ثلاث مرّات فنهى الله عن ذلك.

[وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ] فانّ ظلمه للمرأة يضرّ المرأة فى دنياها و الاغلب انّه ينفعها فى عقباها لكن هذا الظّالم يضرّ بدنيا نفسه و عقباها و لا ينتفع فى شىءٍ منهما فهو من الاخسرين اعمالاً [وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ] احكامه الشّرعيّة القالبيّة و آياته التدوينيّة و آياته الافاقيّة و الانفسيّة و خصوصاً الايات الكبرى.

[هُزُوًا وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ] النّعمة امّا مصدر بمعنى الانعام اى انعام الله عليكم فعليكم متعلّق بها او اسم مصدر بمعنى ما ينعم به و المعنى و اذكروا نعمة الله واردة عليكم من الله فالظرف حال و على ایّ تقدير

فالمعنى لاتنظروا الى الايات من حيث انفسها حتّى تتّخذوها هزواً و اذكروا انعام الله بها عليكم و كونها آيات الله حتّى تشكروا وجودها.

اوالمعنى و اذكروا نعم الله عليكم من غير التفات الى النّهى السّابق و من غير اختصاص للنّعم بالايات و النّعمة ما يوافق الانسان و يريده لاما لايوافقه و يكرهه.

و لمّا كان الانسان ذامراتب و قد يكون ما يوافق مرتبة منه منافراً لمرتبة اخرى منه كان تحقيق النّعمة حقيقاً بالبيان فنقول:

تحقيق النّعمة و مراتبها بحسب مراتب الانسان

انّ الانسان بما هو انسان عبارة عن اللّطيفة السيّارة الانسانيّة المتّحدة فى كلّ مرتبة مع تلك المرتبة بوجهٍ و المغايرة لها بحسب الذّات و الاثار بوجهٍ، فانّ كلّ مرتبة منه محدودة بحدود خاصّة موقوفة على تعيّن خاصّ بخلاف تلك اللّطيفة.

فانّها غير محدودة و غير واقفة على شأن من الشّؤن، بل لها السّير الى مالانهاية له من الولاية المطلقة فموافقات المراتب ان كانت موافقة لتلك اللّطيفة كانت نعماً للانسان بما هو انسان و الاّكانت نقماً له فجعل الشّهوة فى الرّجل و المرأة و خلق آلات التّناسل بالوضع المخصوص و تقاضى الشّهوة للابوين و تحريكها لهما و تقاربهما و ايصال النّطفة الى المقرّ المخصوص و امتزاج النّطفتين و جعل الرّحم عاشقاً لها حافظاً ايّاها ممسكاً لها.

و جعل الدّم فى الرّحم غذاءً لها و توجّه نفس الامّ الى حفظها و تربيتها و ايصال الغذاء اليها و جعله سبباً لنمّوها نعم من الله على الانسان.

و هكذا جميع ماينفعه ويلزمه الى او ان البلوغ و بعد البلوغ كلّما يعينه فى سيره الى الله من القرناء و النّاصحين و الانبياء و الزّاجرين وبالجملة كلّما ينفعه فى سيره الى الله من القرناء و النّاصحين و الانبياء و الزّاجرين.

وبالجملة کلّما ینفعه فی سیره الی الله سواء کان نافعاً فی مقام بشریّته او غیر نافع.

و سواء عدّ نعمة او نقمة نعم من الله تعالی علیه فتوفیر الاموال و تصحیح الانفس و انذار الانبیاء و تبشیر الاولیاء علیهم السلام نعمة من الله تعالی کما انّ الابتلاء فی الاموال و الانفس و زجر الاشقیاء و اذاهم للمؤمنین کان نعمة منه تعالی.

و لذا قال تعالی: لتبلّون فی أموالکم و أنفسکم و لتسمعنّ من الّذین اوتوا الکتاب من قبلکم و من الّذین اشرکوا اذی کثیراً، و ان تصبروا و تتّقوا فانّ ذلک من عزم الامور بطریق التّوکید و القسم، فموسی علیه السلام و دعوته و لطفه کانت نعمة کما انّ فرعون و قهره و شدّته کانت ایضاً نعمة للمؤمنین.

و نعم ما قال المولویّ قدس سره مشیراً الی انّ اللطف و القهر کلیهما نعمة للمؤمنین:

چونکه بی‌رنگی اسیر رنگ شد
موسیئی با موسیئی در جنگ شد
چون ببیرنگی رسی کان داشتی
موسی و فرعون دارند آشتی
یا نه جنگ است این برای حکمتست
همچو جنگ خر فروشان صنعت است
یا نه اینست و نه آن حیرانی است
گنج باید گنج در ویرانی است

فکلّما اعان الانسان بحسب التّکوین او بحسب التّکلیف علی السّیر الی مقامه الّذی هو الولایة المطلقة الّتی لاحدّ لها کان نعمة له.

و اذا وصل الانسان الى ذلك المقام تمّ النّعمة عليه بل صار بنفسه نعمة تامّة فانّ الولاية هى النّعمة لا غير الولاية.

و ما كان متّصلاً بالولاية بان كان ناشئاً منها او راجعاً اليها كان نعمة بسبب اتّصاله بها، و مالم يكن كذلك لم يكن نعمة كائناً ما كان.

و المراد بالنّعمة ههنا امّا نعمة الايات او مطلق ما يعين الانسان فى انسانيّته فيكون قوله تعالى: [وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ] من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ او خصوص الانبياء الاولياء فيكون قوله: و ما انزل عليكم من الكتاب و الحكمة من قبيل عطف المغاير.

و المراد بالكتاب النّبوّة و الرّسالة و احكامهما و الكتاب التّدوينىّ من آثارهما و بالحكمة الولاية و آثارها [يَعِظُكُم بِهِۦ] مستأنفٌ جواب لسؤال عن حال ما انزل او عن علّة النّزول او حال عن ما او عن فاعل انزل [وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ] اى سخطه فى الغفلة عن حيثيّة النّعمة و فى عدم الاتّعاظ.

[وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ] فيعلم استهزاءكم و غفلتكم و اتّعاظكم و عدمها وعد و وعيد.

و لمّا كان النّفوس ضنينة بتخلية النّساء بعد الطّلاق و انقضاء العدّة و بتزويجهنّ قدّم النّهى عن الاستهزاء بالاحكام و عدم الاعتداد بها و الامر بتذكّر النّعم و أحكام الشّريعة و حكمها و مصالحها حتّى يكون معيناً على امتثال الاوامر و النّواهى ثمّ عقّبه بالامر بالتّقوى و العود و الايعاد بذكر احاطة علمه بالجليل و الحقير.

ثمّ قال: [وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ] اى وصلن الى آخر العدّة من غير انقضاء لها او بلغن اخرها بحيث انقضت العدّة.

[فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ] اى لا تمنعوهنّ ايّها الازواج [أَن يَنكِحْنَ

أَزْوَٰجَهُنَّ] الّذين خطبوهنّ و كانوا غيركم او لاتعضلوا ايّها الاولياء على ان يكون الخطاب الثّانى غير الاوّل.

او على ان يكون الخطاب الاوّل للاولياء أيضاً باعتبار انّهم كانوا معينين للطّلاق ان ينكحن ازواجهنّ الّذين كانوا ازواجهم قبل الطّلاق.

[إِذَا تَرَٰضَوْاْ] اى الخطّاب و النّساء او الازواج السّابقة و النّساء [بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ] المذكور من الاحكام و الايات السّابقة المذكورة جملةً او من منع عضل النّساء.

[يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ]
فانّ من لم يذعن الله حالاً و لاباليوم الاخر كانت فى الايات فى الوعد و الوعيد اسماراً له.

[ذَٰلِكُمْ] اتى بأداة خطاب الجمع ههنا بخلاف سابقة لكون الحكم متوجّهاً ههنا الى جميع المخاطبين بخلاف السّابق يعنى انّ تخلية النّساء و عدم منعهنّ عن الازواج كان خاصّاً بالازواج اوالاولياء او كان الخطاب خاصّاً بمحمّد صلى الله عليه وآله.

[أَزْكَىٰ لَكُمْ] من الزّكوة بمعنى النّمو و التنعّم او الصّلاح [وَأَطْهَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ] ماينفعكم ممّا يضرّكم و لذا يأمركم بماتكرهونه وينها كم عمّا تحبّونه لنفع ذلك و مضرّة هذا.

[وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ] و لذا تحبّون الضّار و تكرهون النّافع [وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ] بعدذكر النّكاح وذكر انّ النّساء حرث للولد و انجراره الى ذكر الطّلاق ذكر تعالى الاولاد وكيفيّة ارضاع الوالدت و الجملة خبرٌ فى معنى الأمر او اخبارٌ عن مدّة الارضاع و اشعارٌ بعدم وجوب الارضاع عليهنّ فكأنّه تعالى قال: و الوالدات ان اردن ان يرضعن اولادهنّ

يرضعنهم.

[حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ] التّأكيد به لانّ كثيراً ما يتسامح فيقال: حولين لحول كامل و جزءٍ من الحول الثّانى، روى انّها لاتجبر الحرّة على ارضاع الولد و تجبر امّ الولد، و روى انّه ليس للصبىّ لبن خيرٌ من لبن امّه.

[لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ] يعنى هذا الحكم لمن اراد من النّساء او الرّجال ان يتمّ الرضاعة و الاّ جاز الاقتصار على اقلّ من ذلك او يرضعن للاباء الّذين ارادوا ان يتمّوا الرضاعة.

[وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُو] اى الاباء و التأدية بهذه العبارة للاشارة الى انّ الاولاد للاباء و لاشركة للامّهات فيهم و للاشارة الى علّة الحكم [رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ] بالنّسبة الى المعطى بان لايكون بنحو يضرّه وبالنّسبة الى المنفق عليها بان لايكون غير موافق لما يقتضيه شأن امثالها. ظاهر الاية وجوب الارضاع على الامّهات كنّ فى بيوت الاباء اوّلاً، و وجوب الانفاق على الاباء كنّ فى بيوتهم او فى بيوت ازواج غيرهم و لكنّ الاخبار و الفتاوى غير ذلك.

[لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا] قد فسّر الوسع بالجدّة و بالطّاقة لكنّ المراد به فى القرآن كلّما استعمل هو ما تسعه النّفس سواء كان من الاموال او من الافعال فهو اسم مصدر بمعنى ما تسعه النّفس اى مال يسعه مال النّفس بمعنى انّه لايظهر بالانفاق النّقصان فيه او فعل تسعه النّفس بمعنى انّه لايظهر على النّفس منه كلفة فوسع النّفس دون طاقتها فى الفعال، و دون التضرّر به فى الاموال، و هو تعليل للتّقييد بالمعروف .

كما انّ قوله تعالى [لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌم بِوَلَدِهَا] بدل تفصيلىّ من قوله لاتكلّف نفسٌ الاّ وسعها على قراءة رفع لاتضارّ و امّا على قراءة فتحها

فهى منقطعة عمّا قبلها مستأنفة [وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ] و يجوز جعل لاتضارّ مبنيّاً للفاعل و مبنيّاً للمفعول و لا فرق فيهما بحسب المعنى، و المضارّة بالولد اعمّ من التمانع عن حقوق الزوجيّة خوفاً على الولد، او التقتير فى الانفاق عليها بحسب ماله او بحسب حالها، و الاجحاف فى ماله كذلك، او منعها من ارضاع الولد مع ميلها ذلك، او ابائها عنه مع ان لم يوجد بدلها، او لم يألف الولد بغيرها.

عن الصّادق عليه السلام: اذا طلّق الرّجل المرأة و هى حبلى أنفق عليها حتّى تضع حملها فاذا وضعته اعطاها اجرها و لا يضارّها الاّ ان يجد من هو أرخص اجراً منها فان هى رضيت بذلك الاجر فهى احقّ بابنها حتّى تفطمه.

[وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ] و هذا من المجملات المحتاجة الى البيان يعنى على وارث المولود له الانفاق و الكسوة للمرضعة بعد موت المولود له لكن بقدر اجرة الرّضاع من مال الولد ان كان له ارثٌ.

[فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا] اى قبل الحولين و الاّ فبعد الحولين لاحاجة الى التّقييد بقوله تعالى [عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا] يستفاد من هذا القيد انّ رضى الامّ شرط فى فطام الولد و هو كذلك قبل الحولين لانّ لها الحضانة فى الحولين و هى تقتضى ان يكون الفطام قبلهما برضاها.

[وَتَشَاوُرٍ] منهما طلباً لما هو صلاح الولد، و الامر بمشورة الامّ ههنا مع كراهة مشورة النّساء لكونها ابصر بحال الولد.

[فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا] فى الفطام قبلهما و هذا توسعة فى الرّضاع بعد تحديده بالحولين و التّضييق فيه، و لمّا قال و الوالدات يرضعن اولادهنّ و على المولود له رزقهنّ و كسوتهنّ توهّم من ظاهره وجوب ارضاع الوالدات و وجوب انفاق الاباء فأراد رفع ذك التّوهّم و انّ هذا أمر غير واجب الاّ

بعوارض فقال: [وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟] تطلبوا مع يرضع [أَوْلَـٰدَكُمْ] غير الامّهات.

[فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ] و هذا ايضاً من المجملات فانّه بظاهره يدلّ على جواز الاسترضاع من غير الامّهات مع وجودهنّ و ارضاعهنّ بلا اجرة او باجرة مثل اجرة الغير و كفاية لبنهنّ لهم و ليس كذلك لانّه ينافى حضانتهنّ الواجبة على القول به.

[إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم] ما اردتم او ينبغى ايتاؤه المراضع او الامّهات على حسب الشّرط او على حسب امر الله تعالى يعنى انّ للامّهات حقّاً عليكم من النّفقة و الكسوة اذا كنّ ازواجكم و من التّسريح باحسان اذا كنّ مطلّقاتٍ و للمرضعات غير الامّهات حقّاً عليكم بسبب ارضاع اولادكم فاذا آتيتم كلّ ذات حقّ حقّها بحيث يكنّ راضيات منكم فلا جناح عليكم و للاشارة الى استرضائهنّ.

اضاف قوله تعالى [بِالْمَعْرُوفِ] و الاخبار فى انّ المرضعة كيف ينبغى ان تكون و انّ اللّبن يؤثّر فى نفس الرّضيع و انّ لبن الامّهات خير الالبان للاولاد كثيرة.

[وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ] تحذير للاباء عن التّعدىّ على الامّهات اوالاولاد بسبب اللّجاج او شحّ النّفوس او الخطاب للاباء و الامّهات جميعاً [وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] فأطيعوه و لاتخالفوا أمره و نهيه ترغيب و تهديد.

[وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ] توفّى الشّىء اخذه بتمام اجزائه و توفّى الانسان اخذ روحه بتمام فعليّاتها، و استعمال التّوفّى فى قبض الرّوح للاشعار بأنّه لايبقى بعد الموت فى الدّنيا من الانسان الاّ مادّة قابلة لامدخليّة

لها فى الانسان لافى حقيقته و لا فى تشخّصه.

[وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ] قد مضى بيان التربّص بالأنفس عند قوله تعالى و المطلّقات يتربّصن بأنفسهنّ [أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا] اى عشرة ايّام لكنّه انّث العشر لتقدير اللّيالى جمع اللّيلة تميزاً.

بيان حكمة عدّة النّساء

اعلم انّ الحكمة فى العدّة، عدّة اشياء:

الاوّل حفظ حرمة المؤمن.

و الثّانى ترقّب حصول الرّغبة من الطّرفين بمضىّ مدّة لم يتضاجعا و حصول المراجعة و المواصلة بينهما فانّ الطّلاق و الفرقة مبغوضان لله، و الوصال و الالفة محبوبان له.

و الثّالث تبرئة الرّجم من الحمل.

و الرّابع مراعاة تعلّق قلب المرأة بالزّوج و قطعه فانّها تسكن حرقة المرأة بعد الطّلاق فى ثلاثة اشهر و حرقة المتوفىّ عنها زوجها لا تسكن الاّ فى اربعة اشهر و عشراً كما فى الخبر.

و الخامس مراعاة صبر المرأة عن الجماع و طاقتها فانّ المرأة تصبر عنه اربعة اشهر و لذلك تقرّر ذلك فى القسم و الايلاء و هذا ايضاً مذكور فى الخبر و قد يتخلّف بعض ذلك فى بعضى الموارد.

فانّ المطلّقة الغير المدخولة و المطلّقة اليائسة لاعدّة لهما، و الامة و المتعة تعتدّ ان فى الطّلاق و فى انقضاء المدّة او هبتها نصف الحرّة الدّائمة و فى الوفاة كالحرّة الدّائمة على خلافٍ.

و ذات الاقراء تعتدّ بالاقراء، و ذات الاشهر بالاشهر بعد التربصّ قبل

الطّلاق بثلاثة اشهر، و تعتدّ من طلاق الغائب، من حين الطّلاق و من وفاته من حين وصول الخبر.

روى عن الباقر عليه السلام انّه قال: كلّ النّكاح اذا مات الزّوج فعلى المرأة حرّة كانت اوامة و على اىّ وجه كان النّكاح منه متعة او تزويجاً او ملك يمين فالعدّة اربعة اشهر و عشراً و قد اشرنا الى انّ فى بعض هذه خلافاً.

[فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ] اى آخر مدّة عدّتهنّ يعنى اذا انقضت العدّة [فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ] ايّها الاولياء اوالازواج او الاولياء و الازواج جميعاً [فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ] من النّكاح و اجابة الخطاب و التّعرّض لهم.

[بِالْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ] فاحذروا و لاتمنعوا النّساء بعد انقضاء العدّة من التزويج و لمّا علّق تعالى فى الحرج بسبب الخطبة و النّكاح على انقضاء العدّة توهّم من مفهوم المخالفة انّه قبل انقضاء العدّة يكون الحرج ثابتاً على الرّجال المذكورين و لايكون الاّ سبب اثم النّساء فى التّعرّض للخطاب حينئذٍ و اثمهنّ فى ذلك يلزمه اثم الخُطّاب.

فى ذلك فرفع ذلك التّوهم بقوله تعالى [وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم] ايّها الخُطّاب [بِهِۦ] لافيما صرّحتم.

[مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ] و اكتفى بنفى الجناح عن الخطّاب عن ذكر انتفاعه عن النّساء و الرّجال المذكورين، و التّعريض ان يذكر شيئاً للمرأة و يشير الى ارادة نكاحها بعد انقضاء عدّتها و الرّغبة فيها حتّى لاتجيب غيره و تحبس نفسها له.

[أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ] من غير اظهارٍ بألسنتكم لاتصريحاً و لاتلويحاً [عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ] فأباح لكم التّعريض بخطبتهنّ لاالتّصريح بها فانّه خلاف حفظ حرمة المؤمن.

[وَلَـٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا] استدراك عن محذوف مستفاد من قوله علم الله أنّكم ستذكرونهنّ اى فاذكروهنّ و لكن لاتواعدوهنّ سرّاً اى فى مكانٍ خال او مواعدة مكان خال، او هو بنفسه مفعول مطلق نوعىّ من غير لفظ الفعل فانّ الخلوة مع الاجنبيّة المرغوبة تدعو الى ما لا يرضيه الشّرع، او لاتواعدوهنّ جماعاً و فعلاً يستتر به فانّه كثيراً ما يكنّى عن الجماع و ما يستقبح بالسّر اى لاتواعدوهنّ المضاجعة و المبلاعبة، او لاتواعدوهنّ العقد قبل انقضاء العدّة.

او كثرة المضاجعة معهنّ بعد النّكاح حتّى لا يملن الى غيركم بان تصفوا أنفسكم بكثرة المضاجعة، او لاتواعدوهنّ خلوة بان تقول قبل انقضاء العدّة للمرأة الّتى تريد نكاحها: موعدك بيت آل فلان و قد أشير اشارة ما الى الكلّ فى الاخبار.

[إِلَّآ أَن تَقُولُواْ] استثناء متّصل فى كلام تامّ بدل من السّرّ او استثناء مفرّغ اى لاتواعدوهنّ سرّاً بشىءٍ او لشىءٍ او فى حال او مواعدة شىءٍ الاّ ان تقولوا.

[قَوْلًا مَّعْرُوفًا] من التّعريض المرخصّ فيه [وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ] اى عقده و الفرق بينهما كالفرق بين المصدر و اسمه، و النّهى عن العزم عليها مبالغة فى النّهى عنها.

[حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ] اى المفروض من العدّة [أَجَلَهُۥ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ] من العزم على العقد او الرّفث او الفسوق [فَٱحْذَرُوهُ] اى الله، او ما فى أنفسكم من العزم المذكور، او وعد السّرّ.

[وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ] يغفر ما فى نفوسكم اذا لم تفعلوا

[حَلِيمٌ] لا يعاجل عقوبة من يرتكب ما نهى عنه فلا تغترّوا بعدم المؤاخذة سريعاً.

[لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ] استينافٌ جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل بعد ذكر الطّلاق و ذكر احكام المطّلقات: ماللمطلّقة على المطلّق؟ـ فقال تعالى: لا تبعة عليكم من المهر و غيره.

[إِن طَـلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ] كناية عن الجماع [أَوْ تَفْرِضُواْ] الاّ ان تفرضوا او حتّى تفرضوا، او لفظة او بمعنى الواو [لَـهُنَّ فَرِيضَةً] فعيل بمعنى المفعول و التّاء للنقل او مصدر فذكر تعالى حكم المطلّقات بالمنطوق و المفهوم تفصيلاً و اجمالاً من حيث المهر فنفى الحرج و غرامة المهر عمّن طلّق زوجته الغير الممسوسة و الغير المفروض لها بمنطوق الاية و اثبت غرامة مالمن طلّق الممسوسة او المفروض لها و المفروض لها الغير المدخول بها لها نصف ما فرض لها كما سيأتى.

و الممسوسة الغير المفروض لها، لها مهر امثالها و الممسوسة المفروض لها لها ما فرض لها.

[وَ مَتِّعُوهُنَّ] اى فطلّقوهنّ و متّعوهنّ استحباباً او وجوباً [عَلَى ٱلْمُوسِعِ] اى الّذى كان ذاسعةٍ فى ماله فانّ همزة الافعال فى مثله للصيرورة [قَدَرُهُۥ] ما يقدر عليه و يطيقه، او ما يقدّر على حسب سعته.

[وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ] و يستفاد من الاخبار انّ مناط تقدير المتعة ليس حال المطلّق فقط بل ينظر الى حال المطلّق و شأن المطلّقة و يقدّر المتعة بحسب حالهما جميعاً فانّ تمتيع الّتى لها حسبٌ و نسبٌ و شرفٌ ليس كتمتيع من ليس لها ذلك و ان كان المطلّق واحداً.

[مَتَـٰعَا] مصدر من غير لفظ الفعل او مفعول به اى تمتيعاً

[بِالْمَعْرُوفِ] على الاوّل، او جنساً متلبّساً بالمعروف على الثّانى، او يكون الظّرف حينئذٍ متعلّقاً بقوله متّعوهن و التّقييد بالمعروف يدلّ على مراعاة حال الطّرفين.

[حَقًّا] صفة متاعاً او مصدر مؤكّد لغيره [عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ] اى لمريدى الاحسان الى النّاس، و مطلّقاتهم اولى باحسانهم او على من ديدنهم الاحسان الى النّاس.

او على المحسنين فى فعالهم و اتى بهذه الاسم الظّاهر مع انّ حق العبارة ان يقول حقّاً عليكم ترغيباً لهم فى التّمتيع، او المقصود انّه حقّ على المحسنين منكم و انّه شأنهم فينبغى لكن ان تطلبوا هذا الشّأن و لاتحديد فى الاخبار لمتعة المطلّقة المذكورة كما فى الاية و فى بعض الاخبار ذكر وجوبها، و قيل: يقدّر بقدر نصف مهر امثالها.

[وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً] فعليكم.

[فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ] و هذا بيان لاحد شقوق مفهوم المخالفة من الاية السّابقة و بقى شقّ طلاقهنّ بعد المسيس مع الفرض و حكمه ظاهر فانّه بالعقد يثبت الفريضة و يفرض و المسقط للنّصب هو الطّلاق قبل المسيس و قد فرض الطّلاق بعد المسيس و شقّ طلاقهنّ بعد المسيس مع عدم الفرض.

[إِلَّآ أَن يَعْفُونَ] اى المطلّقات عن النّصف الّذى هو حقّهنّ.

[أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ] اى الاب او الجدّ او الوكيل المطلق لهنّ، او الوكيل فى امر نكاحهنّ و طلاقهنّ.

او المراد من الّذى بيده عقدة النّكاح الازواج و المعنى الّا ان يعفو الازواج عن النّصف الّذى كان حقّ النّساء و صار بالطّلاق قبل المسيس حقّاً

لهم و قد أشير فى الاخبار الى الكلّ.

و يؤيّة المعنى الاخير قوله تعالى [وَأَن تَعْفُوٓاْ] خطاباً للازواج بظاهره، و يحتمل ان يكون خطاباً للمطلّقين و المطلّقات تغليباً، او لأولياء النّكاح، اوِ للجميع.

[أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ] عن الظّلم فانّ مطالبة الحقّ الثّابت قلّما تنفكّ عن انكسارٍ مالقلب المطلوب منه [وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ] اى الفضل الّذى أنعم الله به على بعضكم فيكون خطاباً للازواج فانّهم فضّلهم الله على النّساء، و معنى عدم نسيان الفضل تذكّر الفضل الّذى فضّلهم به على النّسائحتّى يكون ذلك التذكّر داعياً لهم الى العفو فانّ ذا الفضل اولى بالعفو و الاعطاء، او المعنى لاتنسوا تحصيل الفضل دائراً.

[بَيْنَكُمْ] فانّ العفو و الاعطاء سبب لحصول الفضل و زيادة الدّرجات فليكن كلّ من الازواج و النّساء و الاولياء مذكّراً للفضل طالباً له فالاية ترغيب فى العفو للازواج فقط على المعنى الاوّل و للجميع على المعنى الثّانى.

روى عن علىّ عليه السلام انّه قال: سيأتى على النّاس زمان عضوض يعضّ المؤمن على ما فى يده و لم يؤمر بذلك قال الله تعالى: و لاتنسوا الفضل بينكم [إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] فما يفوتكم بالعفو لا يفوته فيجازيكم بعشرة امثاله الى سبعمائة الفٍ.

[حَـٰفِظُواْ] ابتداء كلام للتّرغيب فى الصّلوة و التّوجّه الى الله بعدذكر النّساء و احكامهنّ و الطّلاق و احكامه كأنّه قال: هذه احكام الكثرات لكن له ينبغى لكم الغفلة عن جهة الوحدة و التّوجّه الى الله فواظبوا [عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ] بالمحافظة على مواقيتها و حدودها و أركانها و قد مضى فى اوّل السّورة بيان للصّلوة و مراتبها و انّها ذات مراتب كمراتب الانسان و

الصّلوات القالبيّة لكون كلّ فى عرض الاخرى لا فى طولها لا تفاضل بينها و انّ مراتب الصّلوة الطوليّة كلّ عالية منها محيطة بالدانية و مقوّمة لها و حكمها بالنّسبة الى دانيتها حكم الرّوح بالنّسبة الى الجسد و هى متوسّطة معتدلة كما انّ الرّوح بالنّسبة الى الجسد متوسّطة معتدلة فقوله تعالى:

بيان الصّلوة الوسطى

[وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ] اى الفضلى او المتوسّطة او المعتدلة اشارة الى المراتب العالية من الصّلوات لاالى شىءٍ من الصّلوات العرضيّة، و تفسيرها بصلوة الظّهر كما فى الاخبار الواردة من طريق الشّيعة لكونها مظهراً للصّلوة الوسطى بوجهٍ كما انّ ليلة القدر.

و الاسم الاعظم عبارة عن ليلة هى روح بالنّسبة الى اللّيالى العرضيّة و عن اسم كذلك و قد فسّروهما بشىءٍ من اللّيالى و الاسماء العرضيّة لكونهما مظهرين لهما مظهريّة خاصّة غير المظهريّة العامّة المشترك فيها جميع اللّيالى و الاسماء.

و قد فسّروها بصلوة العصر او المغرب او العشاء او الصّبح، و قد نقل انّها مختفية فى الصّلوات الخمس لم يعيّنها الله و أخفاها فى جملة الخمس ليحافظوا على جميعها كما انّه اختفى ليلة القدر فى ليالى شهر رمضان او فى ليالى السّنة و الاسم الاعظم فى جميع الاسماء، و ساعة الاستجابة فى ساعات يوم الجمعة.

[وَقُومُواْ] فى الصّلوة [لِلَّهِ قَٰنِتِينَ] اى داعين بوضع قنوت الصّلوة او خاشعين او طائعين او ساكتين عن هواجس النّفس او عن كلام غير ذكر الله او قوموا اى اعتدلوا لله او قوموا بامور الكثرات و اكفوا مهمّات

اهليكم، و لفظ لله امّامتعلّق بقوموا او بقانتين و كان التّقديم للحصر و الاهتمام [فَإِنْ خِفْتُمْ] من عدوٍّ لصٍّ و سبع [فَ] ـ حاقطوا عليها [رِجَالًا] جمع راجل او رجيل او رجلان او رجل بكسر الجمى او ضمّه يعنى لا يلزم القيام و التّوقّف فى الصّلوة وقت الخوف [أَوْ رُكْبَانًا] جمع راكب و لااختصاص له بركوب الجمل و غيره.

و عن الصّادقعليه السلام انّه قال: اذا خاف من سبعٍ اولصٍّ يكبّر و يومى ايماء [فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ ٱللَّهَ] فصلّوا.

او المراد مطلق الذّكر، او المراد الذّكر القلبىّ الّذى هو صلوة الصّدر [كَمَا عَلَّمَكُم] ذكراً يكون مثل تعليمه ايّاكم يعنى يوازى تعليمه ايّاكم، او كذكر علّمكم بلسان خلفائه، او كالذّكر الّذى علّمكم بلسان خلفائه على ان يكون ما مصدريّةً او موصوفةً او موصولةً و على الاخيرين.

فقوله تعالى [مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ] يكون بدلا [وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ] اى يظنّون التّوفّى بظهور آثاره او يعلمون التّوفّى فى المستقبل [مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً] قرء بالنّصب بتقدير يوصون خبراً للّذين و بالرّفع بتقدير عليهم وصيّة.

[لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا] مصدر لمحذوف جواب لسؤالٍ مقدّر كأنّه قيل: ما يفعلون بالوصيّة فقال: يمتّعون ازواجهم متاعاً.

[إِلَى ٱلْحَوْلِ] او بدل عن وصيّة نحو بدل الاشتمال، او منصوب بنزع الخافض اى يوصون وصيّة بمتاع [غَيْرَ إِخْرَاجٍ] بدل نحو بدل البعض من الكلّ، او حال عن الازواج مؤوّلاً باسم المفعول، او عن فاعل يذرون مؤوّلاً باسم الفعال، و قيل فى اعراب اجزاء الاية اشياءُ اخر اجودها ما ذكرنا.

و فى الاخبار: انّ الاية منسوخة باية عدّة الوفاة و آية ميراثهنّ فانّه

كان الحكم فى اوّل الاسلام ان ينفق الوارث على المرأة الى الحول ثمّ تخرج من غير مواتٍ؛فنسختها بكلا حكميها آية العدّة و آية ميراثهنّ؛ و ان كانت آية العدّة متقدّمة فى النظم فانّها كانت متأخّرةً فى النّزول.

[فَإِنْ خَرَجْنَ] من منازل الازواج يعنى بعد الحول على اين يكون الحكم بعدم الاخراج فى الحول واجباً او قبل الحول على ان يكون غير واجب [فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ] ايّها الورّاث او الخطّاب لاولياء النّساء او للحكّام [فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ]كالتّزيين و التعرّض للخطّاب و اجابة خطبتهم و النّكاح لهم.

[وَٱللَّهُ عَزِيزٌ]لا يمنع ممّا يريد فاحذروا انتقامه فى مخالفته و احذورا الظّلم على من تحت ايديكم.

[حَكِيمٌ]لا يأمر و لا ينهى الاّ بما فيه صلاحكم [وَلِلْمُطَلَّقَـٰتِ مَتَـٰعُۢ بِالْمَعْرُوفِ] تعميمٌ بعد تخصيصٍ و بيان حكم ندب بعد الحكم الفرض فانّ حكم التّمتيع فيما سبق كان للمطلّقات الغير الممسوسات الغير المفروض لهنّ.

و فى الخبر: متعة النّساء واجبة دخل او لم يدخل؛ و تمتّع قبل ان تطلق.

و فى بيان هذه الاية عن الصّادق عليه السلام: متاعها بعد ما تنقضى عدّتها على الموسع قدره و على المقتر قدره، قال: و كيف يمتّعها و هى فى عدّتها ترجوه و يرجوها و يحدث الله بينهما ما يشاء.

[حَقًّا] مفعول مطلق مؤكّد لغيره او حال [عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ كَذَٰلِكَ] التّبيين لاحكام النّساء فى توفّى ازواجهنّ و فى طلاقهنّ.

[يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ] الثّابتة فى حقّ أنفسكم و فى حقّ مخالطيكم و مخالطاتكم.

[لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] تصيرون عقلاء او تدركون بعقولكم كونها آياتٍ و أحكام للّٰه و تدركون مصالحها و حكمها.

[أَلَمْ تَرَ] استفهام انكاريّ و كان حقّ العبارة ان يقول الم تذكر لكنّه اتى بالرّؤية الدّالّة على جواز الرّؤية لهم للاشعار بأنّهم و ان كانوا قدمضوا و لا يراهم المقيّدون بالزّمان لكنّهم بالنّسبة اليه ﷺ حاضرون فانّ الازمنة بالنّسبة اليه ﷺ منطوية و لافرق عنده ﷺ بين الماضى والمستقبل و الحال لكونه ﷺ محيطاً بالزّمان و الزّمانيّات.

[إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ] قولاً مناسباً لشأنه لابنداءٍ يُسمع و لابصوتٍ يُقرع بل بارادةٍ هى ظهور فعله.

[لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ] روى انّ هؤلاء كانوا اهل مدينة من مدائن الشّام و كانوا اسبعين الف بيت و كان الطّاعون يقع فيهم فى كلّ او انٍ فكانوا اذا أحسّوا به خرج من المدينة الاغنياء لقوّتهم و بقى فيها الفقراء لضعفهم فكان الموت يكثر فى الّذين اقاموا و يقلّ فى الّذين خرجوا.

فيقول الّذين خرجوا: لو كنّا اقمنا لكثر فينا الموت، و يقول الّذين اقاموا: لو كنّا خرجنا لقلّ فينا الموت، قال: فاجتمع رأيهم جميعاً انّه اذا وقع الطّاعون و أحسّوا به خرجوا كلّهم من المدينة.

فلمّا أحسّوا بالطّاعون خرجوا جميعاً و تنحّوا عن الطّاعون حذر الموت فسافروا فى البلاد ماشاءالله ثمّ انّهم مرّوا بمدينة خربة قد جلا اهلها عنها و أفناهم الطّاعون فنزلوا بها.

فلمّا حطّوا رحالهم و اطمأنّوا قال لهم الله: موتوا جميعاً فماتوا من ساعتهم و صاروا رميماً يلوح و كانوا على طريق المارّة فكنستهم المارّة

فنحوّهم و جمعوهم فى موضع فمرّبهم نبىّ من انبياء بنى اسرائيل يقال له حزقيل فلمّا رأى تلك العظام بكى و استعبر و قال:

يا ربّ لوشئت لأحييتهم السّاعة كما أمّتهم فعمروا بلادك و ولدوا عبادك و عبدوك مع من يعبدك من خلقك،فأوحى الله اليه افتحبّ ذلك؟

ـ قال: نعم يا ربّ؛فأحياهم الله، قال:فأوحى الله عزّ و جلّ ان قل كذا و كذا؛ فقال الّذى أمره الله عزّ و جلّ ان يقوله قال.

قال ابوعبدالله ﷺ: و هو الاسم الاعظم؛ فما قال حزقيل ذلك نظر الى العظام يطير بعضها الى بعضٍ فعادوا احياء ينظر بعضهم الى بعضٍ يسبّحون الله عزّ و جلّ ويكبّرونه و يهلّلونه، فقال حزقيل عند ذلك:

اشهد انّ الله على كلّ شىءٍ قدير.

و ذكر فى نيروز الفرس انّ النّبىّ ﷺ أمره الله صبّ الماء عليهم فصبّ عليهم الماء فى هذا اليوم فصار صبّ الماء فى يوم النّيروز سنّة ماضية لا يعرف سببها الاّ الرّاسخون فى العلم.

و روى انّ الله ردّهم الى الدّنيا حتّى سكنوا الدّور و اكلوا الطّعام و نكحوا النّساء و مكثوا بذلك ماشاء الله ثمّ ماتوا باجالهم.

[إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ] تعليل للاحياء بعد الامانة او لمجموع الاماتة و الاحياء بعدها اى أماتهم ثمّ أحياهم ليستكملوا بذلك لانّ الله ذوفضل على النّاس اوليعتبر غيرهم بهم لانّ الله ذوفضل على النّاس فيجعل بعضهم عبرة للاخرين.

[وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ] فضله عليهم فلا ينظرون الى انعامه و لا يصرفون نعمته فيما خلقت لاجله.

[وَقَـٰتِلُواْ] عطف على مقدّرٍ مستفادٍ ممّا سبق كأنّه قال: فلا تحذروا

الموت و كلوا أمركم الى القدر فانّه لاينجى الحذر من القدر و قاتلوا [فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ] قد مضى بيان سبيل الله و انّ الظّرف لغو او مستقرّ و الظرفيّة حقيقيّة او مجازيّة و انّ المعنى قاتلوا حالكونكم فى سبيل الله او فى حفظ سبيل الله و اعلانه و انّ سبيل الله الحقيقىّ هو الولاية و طريق القلب و كلّ عمل يكون معيناً على ذلك او صادراً منه فهو سبيل الله.

[وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ] لما يقوله المجاهدون و القاعدون و المثبّطون و المرغّبون [عَلِيمٌ] بالمتخلّف و نيّته و المجاهد و مراده؛ ترغيب و تهديد و وعد و عيد.

بيان قرض الله و تحقيقه

[مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا] القرض ما تعطيه لتقاضاه، و أقرضه أعطاه قرضاً.

و الاقراض لايكون الاّ ممّا كان مملوكاً للمقرض فلو كان شىءٌ عارية و وديعة عند الشّخص فان ردّه الى صاحبه لم يكن ذلك الردّ قرضاً و ان اعطاه غير صاحبه كان حراماً و تصرّفاً غصبيّاً لااقراضاً.

و ما للانسان من الاموال العرضيّة الدّنيويّة و القوى النباتيّة و الحيوانيّة و الالات و الاعضاء الجسمانيّة و المدارك و الشّؤن الانسانيّة كلّها ممّا أعارها الله ايّاه؛ فان ردّ شيئاً منها الى الله كان ذلك ردّ العارية الى صاحبها لااقراضاً و ان أعطى شيئاً منها غير صاحبها كان حراماً و تصرّفاً فى مال الغير من دون اذن صاحبه.

و الله تعالى من كمال تلطّفه بعباده و رحمته عليهم يستقرض منهم ما أعاره ايّاهم ليشير بمادّة القرض الى اعطاء العوض و لااختصاص لما استقرضه الله بالمال الدّنيوىّ بل يجرى فى جميع ماللانسان بحسب نشأته الدّنيويّة و

الاخرويّة من الاموال و القوى و الاعضاء.

و نعم ما قال المولوی ﷺ فی بيان عموم مااستقرضه الله تعالی:

تن چو با برگ است روز و شب از آن
شاخ جان در برگ ريز است و خزان

برگ تن بی‌برگی جانست زود
زين ببايد كاستن وانرا فزود

أقرضوا الله قرض ده زين برگ تن
تا برويد در عوض در دل چمن

قرض ده كم كن ازين لقمه تنت
تا نمايد وجه لاعينٌ رأت

تن ز سرگين خويش چون خالی كند
پرزگوهرهای اجلالی كند

قرض ده زين دولتت در اقرضوا
تا كه صد دولت ببينی پيش رو

و حسن الاقراض لا يطلب به عوضاً و لو كان قربه تعالی [فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً] الاضعاف جمع الضعف بكسر الضّاد و اقلّ معناه مثلی ما يضاف اليه و أكثره لاحدّه له، و هو مفعول ثان ليضاعفه او حال او مصدر عددّی علی ان يكون الضعف اسم مصدر، و يصدق الاضعاف الكثيرة علی عشرة امثاله الی مالا يعلمه الاّ الله.

و عن الصّادق علیه السلام انّه قال: لمّا نزلت هذه الاية **من جاء بالحسنة فله خير منها** قال رسول الله ﷺ ربّ زدنی فأنزل الله سبحانه **من جاء بالحسنة فله عشر امثالها**، فقال رسول الله ﷺ: ربّ زدنی فأنزل الله

من ذاالّذی یقرض الله قرضاً حسناً فیضا عفه له اضعافاً کثیرة فعلم رسول الله ﷺ انّ الکثیر من الله سبحانه لا یحصی و لیس له المنتهی.

و منه یستفاد انّ کلّ طاعة لله اقراض لله سواء کانت فعلاً او ترکاً و هو کذلك فانّ الطّاعة لیست الاّ بتحریك القوی المحرّکة و امساك القوی الشهویّة و الغضبیّة و کسر سورتهما فطاعة الله اقراض من القوی.

[وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَ يَبْصُطُ] جملة حالیّة و ترغیب فی الاقراض لانّ المعنی من ذاالّذی یقرض الله فیضاعفه له فأقرضوا و لا تمسکوا خوف الفقر و الافناء لانّ الله لاغیره یقبض الرّزق من اقوام و یبسط علی اقوام، او یقبض فی حالٍ و یبسط فی حالٍ و لا یکون الامساك سبباً للبسط و لاالانفاق سبباً للقبض، او المراد فیضاعفه له فأقرضوا و لا تمسکوا لانّ الامساك حینئذٍ امّا الخوف عدم اطّلاع الله او لخوف عدم الوصول الی الله و الحال انّ الله تعالی هو یقبض القرض لا غیر الله و یبسط الجزاء.

[وَ إِلَيْهِ] لاالی غیره [تُرْجَعُونَ] فتستحقّون رضاه عنکم و قربکم له زیادة علی مضاعفة العوض.

و قیل: المعنی انّ الله یقبض بعضاً بالموت و یبسط من ارثه علی واریه؛ و هو بعید جدّاً، و روی انّ الایة نزلت فی صلة الامام، و روی: ما من شیءٍ احبّ الی الله من اخراج الدّراهم الی الامام و انّ الله لیجعل له الدّرهم فی الجنّة مثل جبل احدٍ؛ و علی هذا فقوله تعالی و الله یقبض و یبسط بطریق الحصر یکون مثل قوله انّ الله هو یقبل التّوبة عن عباده و یأخذ الصّدقات فانّ معناه هو یقبل التّوبة فی مظاهر خلفائه فیکون معنی و الله یقبض و یبسط انّ الله لاغیره فی مظاهر خلفائه یقبض القرض و یبسط الجزاء.

[أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِن م بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ] ای اشرافهم و

متكلّميهم قد مضى قبيل هذا وجه الاتيان بالرّؤية مع انّ حقّ العبارة ان يقال الم تذكر [مِن م بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ] اذ اسم خالص بدل من الملأ بدل الاشتمال او ظرف للرّؤية [لِنَبِيٍّ لَّهُمُ] اسمه شمعون بن صفيّة من ولد لاوى، او اسمه يوشع بن نون من ولد يوسف عليه السلام، او اسمه اشموئيل و هو بالعربية اسماعيل.

و هو المروىّ عن الصّادق عليه السلام و عليه اكثر المفسّرين [ٱبْعَثْ] ارسل و اجعل [لَنَا مَلِكًا] اميراً [نُّقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ].

روى انّه كان الملك فى ذلك الزّمان هو الّذى يسير بالجنود و النّبىّ يقيم له امره و ينبئه بالخبر من عند ربّه.

[قَالَ] النّبىّ [هَلْ عَسَيْتُمْ] هل ترقّبتهم عسى يستعمل فى ترقّب المرغوب واستعماله ههنا مع طلبهم للقتال و رغبتهم فيه اشارة الى انّهم كانوا اصحاب نفوس كارهة للقتال راغبة فى ترك الجهاد و لم يكن لهم عقول راغبة فى الجهاد و مقصوده من الاستفهام تذكيرهم بكراهة القتال و تثبيتهم عليه بتعاهدهم على القتال.

[إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَـٰتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمُم بِٱلظَّـٰلِمِينَ] وضع الظاهر موضع المضمر للاشارة الى انّهم فى ذلك التّولّى ظالمون.

[وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ] كانت النبوّة فى ولد لاوى و الملك فى ولد يوسف و لم يجتمع النبوّة و الملك فى بيت

واحد و طالوت كان من ولد بن يامين و سمّى طالوت لطول قامته بحيث اذاقام الرّجل و بسط يده رافعاً لها نال رأسه قيل: كان سقّاءً.

و قيل: كان دبّاغاً، و كان سبب سؤالهم ان يبعث الله لهم ملكاً انّ بنى اسرائيل بعد موسى عملوابالمعاصى و غيّرو دين الله وعتوا عن امر ربّهم و كان فيه نبىّ يأمرهم و ينهاهم فلم يطيعوه.

و روى انّه كان ارمياالنّبىّعليه السلام فسلّط الله عليهم جالوت و هو من القبط فاذاهم و قتل رجالهم و أخرجهم من ديارهم و اخذ اموالهم و استعبد نساءهم ففزعوا الى نبيّهم.

و قالوا: اسئل الله ان يبعث لنا ملكاً، فلمّا قال انّ الله بعث لكم طالوت ملكاً انكروا و قالوا: هو من ولد بنيامين و ليس من بيت النبوّة و لا من بيت الملك، فلا يجوز ان يكون له السّلطنة علينا لانّا من بيت النبوّة و الملك.

[وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ] و شرط السّلطنة السّعة فى المال حتّى يتيسّر له القيام بلوازم السّلطنة، تعريض بوجهٍ آخر لاستحقاقهم الملك دونه و هو كثرة مالهم.

[قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ] جواب اجمالىّ يعنى ليس الملك بقياسكم و تدبيركم بل هو فضل من الله يؤتيه من يشاء و امّا الجواب التّفصيلىّ فانّ السّلطان ينبغى ان يكون عظيم الجثّة يهابه النّاس، و كثير العلم ينظر عاقبة الامور؛ و تفضّل الله بهما عليه.

[وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ] و ليس الايتاء موقوفاً على بيتٍ دون بيتٍ كما زعمتم فالمقتضى لاعطاء الملك موجود من قبل طالوت و هو اصطفاؤه بالبسط فى العلم و الجسم و المانع للمعطى مفقود فانّه امّا خارجىّ او كون طالوت من غير بيت

الملك او كونه غير ذى سعة من المال او جهله تعالى بأهليّته للملك و ليس كذلك فانّه يؤتى ملكه من يشاء من غير مانع لامن الخارج و لامن قبل المعطى له.

[وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ] يجبر قلّة سعة طالوت بسعته [عَلِيمٌ] يعلم من يستأهل للملك ليس جاهلاً يكون فعله و حكمه عن قياسٍ ظنّيٍ و حجّةٍ تخمينيّةٍ فقوله: و الله يؤتى ملكه من يشاء امّا عطف على معمولى انّ، او على مجموع انّ الله اصطفاه، او حال.

بيان التّابوت و السّكينة

[وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ] لالزامهم بعد ما رأى انكارهم بقياسهم الفاسد.

[إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ] امّافعلوت من تاب اذا رجع فانّه كان سبباً لكثرة مراجعة صاحبه الى الله و لكثرة مراجعة الله عليه.

او فلعوت مثل طاغوت من تبى يتبوا ذا غزا او غنم فانّه كان سبب الغلبة و الغنيمة فى الغزاء.

و يجوز ان يكون وزنه فاعولاً و ان كان نحو سلس و قلق قليلاً فان بتّوتاً مثل تنّور بمعنى التّابوت يدلّ على انّه فاعول و كان ذلك التّابوت هو الصّندوق الّذى انزله الله على امّ موسى فوضعته فيه و ألقته فى اليمّ.

و كان فى بنى اسرائيل يتبرّكون به فلمّا حضر موسى عليه السلام الوفاة وضع فيه الالواح و درعه و ما كان عنده من آيات النبوّة و أودعه يوشع وصيّه فلم يزل التّابوت بينهم حتّى استخفّوا به.

وكان الصّبيان يلعبون به فى الطّرقات فلم يزل بنواسرائيل فى عزّ و شرف مادام التّابوت بينهم فلمّا عملوابالمعاصى و استخفّوا بالتّابوت رفعه الله

تعالى عنهم فلمّا سألوا النّبىّ و بعث‌الله تعالى طالوت اليهم ملكاً يقاتل ردّ الله عليهم التّابوت كما قال‌الله تعالى انّ آية ملكه ان يأتيكم التّابوت.

[فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ] قداختلف الاخبار فى بيان‌السّكينة و فى خبرٍ انّها ريح من الجنّة لها وجه كوجه الانسان و كان اذا وضع التابوت بين ايدى‌المسلمين و الكفّار فان تقدّم التّابوت رجل لايرجع حتّى يقتل او يغلب.

و من رجع عن التّابوت كفر و قتله الامام.

و فى خبرٍ،السّكينة روح‌الله يتكلّم كانوا اذا اختلفوا فى شىءٍكلّمهم و اخبرهم ببيان ما يريدون.

و فى خبرٍ انّ‌السّكينة الّتى كانت فيه كانت ريحاً هفّافة من الجنّة لها وجه كوجه الانسان.

و فى خبرٍ انّها ريح تخرج من الجنّة لها صورة كصورة الانسان و رائحة طيّبة و هى الّتى نزلت على ابراهيمعليه‌السلام فأقبلت تدور حول أركان البيت و هو يضع الاساطين.

و فى خبر انّ‌السّكينة لها جناحان و رأس كرأس الهرّة من الزّبرجدّ.

[وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ]يعنى موسىعليه‌السلام و هارونعليه‌السلام و آلهما فانّه يرادكثيراً باضافة شىءٍ الى امرٍ ذلك‌الامر و المضاف جميعاً خصوصاً اذاكان حيثيّة الاضافة منظوراً اليها.

و اختلف الاخبار فى تفسير تلك البقيّة ففى بعض الاخبار انّها ذرّيّة الانبياء، و فى بعضٍ ذرّيّة الانبياء و رضراض الالواح فيها العم و الحكمة، و فى بعض الاقوال‌العلم جاء من السّماءفكتب فى الالواح و جعل فى التّابوت، و فى بعضٍ: فيه الواح موسى الّتى تكسّرت و الطّست الّتى يغسل فيها قلوب الانبياء، و فى بعض كان فيه عصا موسىعليه‌السلام.

و فی بعض الاقوال کان التّابوت هو الّذی أنزل الله علی آدمعليه السلام فیه صور الانبیاء فتوارثه اولاد آدمعليه السلام.

[تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ] قیل: انّ الملائکة کانوا یحملونه بین السّماء و الارض.

و فی الخبر کان التّابوت فی ایدی اعداء بنی اسرائیل من العمالقة غلبوهم لمّا برح امر بنی اسرائیل و حدث فیهم الاحداث ثمّ انتزعه الله من ایدیهم و ردّه علی بنی اسرائیل.

و قیل: لمّا غلب الاعداء علی التّابوت ادخلوه بیت الاصنام فأصبحت اصنامهم منکّبةً فاخرجوه و وضعوه ناحیة من المدینة فأخذهم وجعٌ فی أعناقهم و کلّ موضع و ضعوه فیه ظهر فیه بلاء و موت و وباء؛ فتشأّموا به فوضعوه علی ثورین فساقتهما الملائکة الی طالوت.

و فی خبر سئل: کم کان سعته؟

ـ قال: ثلاثة اذرعٍ فی ذراعین.

و یستفاد من جملة الاخبار و بیان السّکینة و البقیّة انّه کان المراد بالتّابوت الصّدر السمتنیر بنور الامامعليه السلام الظّاهر فیه صورة غیبیّة من الجنّة و الصّدر الظّاهر فیه صورة غیبیّة مصاحب للنصّرة و الظّفر و تحمله الملائکة و فیه الطست الّتی یغسل فیها قلوب الانبیاء و فیه ذراری الانبیاء و صورهم و بقّیة آل موسیعليه السلام و هارونعليه السلام.

و فیه العلوم و الحکمة و هذه الصورة کانت مع ابراهیمعليه السلام و تدور حول ارکان البیت.

و ظهور هذه الصورة بشارة من الله بالنّبوّة و الولایة لو تمکّنت فی الانسان فانّها ریح تفوح من الجنّة و تبشّر بالعنایة من الله و هذه سبب استجابة

الدّعاء و نزول النصّرة و التّأييد من الله و لذكذ كرت السّكينة فى القرآن قرينة للنّصر و التّأييد بجنود لم تروها.

و قد اصطلح الصوفيّة على تسمية هذه الصّورة بالسّكينة فانّها بسبب سكون النّفس و اطمئنانها، و بها يرتفع كلفة التّكليف و يتبدّل الكلفة باللّذّة.

و يحصل الاحسان الّذى هو العبادة؛ بحيث كان العابد يرى الله فانّ رؤيتها كرؤية الله.

و قول الصّادق عليه السلام: الست تراه فى مجلسك؟

اشارة الى هذه الرّؤية، و قوله تعالى **كونوا مع الصّادقين، و ابتغوا اليه الوسيلة، و جاهدوا فى سبيله، و اهدنا الصّراط المستقيم** و قوله عليه السلام: انا الصّراط المسقيم، و قول المولوى رحمه الله:

چونكه با شيخى تو دور از زشتيئى
روز و شب سيّارى و در كشتيئى

و قوله:

هيچ نكشد نفس را جز ظلّ پير
دامن آن نفس كش را سخت گير

و امثال ذلك كلّها اشارة الى هذا الظّهور و تلك المعيّة و لمّا كان المعانى تقتضى الظّهور فى المظاهر الدّانية جاز ان يكون التّابوت فى الظّاهر صندوقاً من خشب الشّمشاد مموّهاً بالذّهب محسوساً للكلّ دار معه الملك او النّبوّة كلّما داروا كأنّه كان كثير من بنى اسرائيل يظهر التّابوت و السّكينة و بقيّة آل موسى عليه السلام و هارون عليه السلام بحسب المعنى و التّأويل على صدورهم لتأثير قوّة نفوس آبائهم فيهم و تفضّل الله عليهم بسبب آبائهم.

و لذلك كان فيهم انبياء كثيرون بحيث قتلوا منهم فى يوم واحد الى

الضّحى جماعة كثيرة و لم يتغيّر حالهم كأنّهم لم يفعلوا شيئاً، و لمّا عملوا بالمعاصى ارتفع ذلك الفضل عنهم و حرموا التّشرّف بالتّابوت و السّكينة.

و بعد ما اضطرّوا و التجاؤا الى نبيّهم تفضّل الله عليهم به و جعله الله آية ملك طالوت و قال [إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لَّكُمْ] و يجوز ان يكون هذا من تتمّة كلام نبيّهم [إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ] شرط تهييجىّ و بعد ظهور التّابوت و الاقرار بطالوت جمعوا له الجنود و خرجوا الى قتال جالوت.

[فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ] يعنى لمّا أخرجهم من مواطنهم قيل كان الجنود ثمانين الفاً و قيل سبعين و ذلك أنّهم لمّا رأوا التّابوت و آثار النّصر تبادروا الى الجهاد.

[قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ] كما هو عادته فى حقّ المؤمنين و ابتلاؤهم لتثبيتهم على الايمان [فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي] اى من أتباعى [وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ] الطّعم عامّ فى المشروب والمأكول.

[فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ] و قرئ غرفة بفتح الغين و الفرق بينهما انّ مضموم الفاء اسم للمصدر و مفتوحها مصدر عددىّ و هو استثناء من من شرب منه و تقديم الجملة المعطوفة عليه للاهتمام بها.

[فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ] الاّ ثلاثمائةٍ و ثلاثة عشر رجلاً من جملة الثمانين الفاً منهم من اغترف و منهم من لم يطعمه و من لم يطعمه استغنى عنه و من اقتصر على القرفة كفته لشربه و اداوته و من لم يقتصر غلب عطشه و اسوّدت شفته و لم يقدر ان يمضى.

و ملكهم كان علم ذلك الابتلاء بالوحى و الالهام او باخبار نبيّهم، و كان ذلك صورة الدّنيا تمثّلت لهم لتنبّههم انّ الدّنيا هكذا كان حالها لمن اجتنبها و لم ارادها.

[فَلَمَّا جَاوَزَهُو هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُو] يعنى الّذين لم يشربوا او اغترفوا غرفة و رأوا كثرة جنود جالوت و قلّة عددهم.

[قَالُواْ] اى الّذين اغترفوا [لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِى قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ] اى يعلمون و قد مرّ انّ العلوم الحصوليّة لمغايرة معلومها لها حكمها حكم الظّنون و كثيراً ما يطلق عليها الظّنون و انّ علوم النّفوس لتغيّرها و عدم ثباتها كالظّنون.

[أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ] و هم الّذين لم يغترفوا [كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًم بِإِذْنِ ٱللَّهِ] اى بترخيصه و امداده فانّ الاذن فى امثال المقام ليس معناه التّرخيص فقط.

[وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ] قد مضى انّ هذه المعيّة ليست مثل المعيّة فى قوله تعالى: هو معكم اينما كنتم، و مثلها فى قوله عليه السلام مع كلّ شىءٍ لابالممازجة فانّ هذه معيّة رحيميّة و تلك معيّة رحمانيّة.

و عن الرّضا عليه السلام: أوحى الله تعالى الى نبيّهم انّ جالوت يقتله من يسوّى عليه درع موسى عليه السلام و هو رجل من ولد لاوى بن يعقوب عليه السلام اسمه داود بن آسى و كان آسى راعياً و كان له عشرة بنين أصغرهم داود فلمّا بعث طالوت الى بنى اسرائيل و جمعهم لحرب جالوت بعث الى آسى ان احضر و احضر ولدك فلمّا حضروا دعا واحداً واحداً من ولده فألبسه الدّرع درع موسى عليه السلام فمنهم من طالت عليه و منهم من قصرت عنه فقال لاسى هل خلّفت من ولدك احداً؟

ـ قال: نعم أصغرهم تركته فى الغنم راعياً فبعث اليه فجاء به فلمّا دعى أقبل و معه مقلاع قال: فناداه ثلاث صخراتٍ فى طريقه فقالت: يا داود خذنا فأخذها فى مخلاته و كان شديد البطش قويّاً فى بدنه شجاعاً فلمّا جاء الى

طالوت البسه درع موسى عليه السلام فاستوت عليه.

ففصل طالوت بالجنود و قال لهم نبيّهم: يا بنى اسرائيل انّ الله مبتليكم بنهر فى هذه المفازة فمن شرب منه فليس من حزب الله و من لم يشرب فهو من حزب الله الاّ من اغترف غرفة بيده.

فلمّا وردوا النّهر اطلق الله لهم ان يغترف كلّ واحد منهم غرفة فشربوا منه الاّ قليلاً منهم فالّذين شربوا منه كانوا ستّين الفاً و كان هذا امتحاناً امتحنوا به كما قال الله عزّ و جلّ:

[وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ] ملتجئين الى الله مستنصرين به كما هو ديدن كلّ من وقع فى شدّة و اضطرار.

[رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا] افرغ الماء صبّه وكأنّهم طلبوا كثرة الصّبر لشدّة خوفهم و توحّشهم و لذلك استعملوا الافراغ.

[وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ] فى خبرٍ عن الصّادق عليه السلام: انّ داود جاء فوقف بحذاء جالوت و كان جالوت على الفيل و على رأسه التّاج و فى جبهته ياقوتةٌ يلمع نورها و جنوده بين يديه فأخذ داود من تلك الاحجار حجراً فرمى به ميمنة جالوت فمرّ فى الهواء و وقع عليهم فانهزموا.

و أخذ حجراً آخر فرمى به ميسرة جالوت فانهزموا، و رمى جالوت بحجر فصكّ الياقوتة فى جبهة و وصلت الى دماغه و وقع على الارض ميتاً.

[وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ] اى السّلطنة الصوريّة او الرّسالة [وَٱلْحِكْمَةَ] النظريّة و العمليّة فتكون اعمّ من الرّسالة و احكامها و النّبوّة و الولاية و آثارهما.

او المراد بالحكمة الولاية و آثارها ان كان المراد بالملك الرّسالة و

يكون المراد بتعليم ما يشاء تعميم حكمته، او المراد بالحكمة الحكمة العمليّة و قوله تعالى [وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ] كان اشارة الى الحكمة النّظريّة او بالعكس.

[وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ] بعضهم بدل من النّاس بدل البعض و المعنى لولا دفع الله البلاء عن النّاس عن العبض ببعض آخر يعنى عن الكفّار بالمؤمنين.

او عن بعض المؤمنين القاصرين بالبعض الكاملين فى الاعمال، او لولا دفع الله النّاس أنفسهم بعضهم الكفّار بالبعض آخر من الكفّار او بالمسلمين، او لولا دفع الله النّاس بعضهم ببعض آخر كالحكّام و السّلاطين فانّ اصلاح النّاس و دفع الاشرار عن العباد بالسّلطان اكثر من الاصلاح بالرّسل، و الى الكلّ اشير فى الاخبار.

[لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ] حيث جعل صلاح الصّالح سبباً لعدم هلاك الفاسد بل مصلحاً لفساده او دفع شرّ الاشرار بالاخيار او بالاشرار.

[تِلْكَ] الّتى ذكرت من اماتة الالوف و وقوعهم على ما فرّوا منه و احياءهم بعد اماتتهم و استقراضه ممّن اعاده ايّاهم و مضاعفة العوض لهم و تسليط طالوت الفقير على الاغنياء و الاشراف و ابتلاء بنى اسرائيل بالنّهر و شرب الكثير و عدم شرب القليل .

و غلبتهم مع قلّتهم على جنود جالوت الكثيرة و قتل داود عليه السلام جالوت و ايتائه الملك مع كونه راعياً و الحكمة و العلم، و جعل دفع النّاس بعضهم ببعض الّذى هو سبب فساد الارض سبباً لصلاحها.

[ءَايَٰتُ ٱللَّهِ] التّكوينيّة الدّالّة على كمال قدرته و حكمته و انّه

لاينظر فى عطائه الى شرفٍ و حسبٍ و نسبٍ المبنيّة باياته التّدوينيّة.

[نَتْلُوهَا] من التلاوة [عَلَيْكَ] خبر بعد خبر او خبر ابتداء و آيات الله بدل من تلك او حال اومستأنف جواب لسؤالٍ مقدّرٍ.

[بِالْحَقِّ] ظرف مستقرّ حال عن الفاعل او لمفعول اى حالكوننا ظاهرين بالحقّ او حالكوننا متلبّسين بالحقّ اى الصّدق او ظرف لغو متعلّق بنتلوا اى نتلوها بسبب الحقّ المخلوق به فانّ افعال الله تعالى لا تصدر الاّ بتوسّط الحقّ الّذى هو المشيّة.

[وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ] عطف على قوله تلك آيات الله او حال عن الايات او عن المفعول نتلوها او عن الضّمير المجرور و المقصود انّا نتلو الايات عليك و الحال انّك من المرسلين فبلّغها حتّى يعلموا انّك صادق فى دعواك حيث تخبر بالمسطورات فى كتبهم من غير تعلّمٍ و تعرّفٍ.

[تِلْكَ ٱلرُّسُلُ] جواب لسؤال مقدّر عن حال الرّسل و تساويهم و تفاضلهم و تمهيد لبيان تفضيله ﷺ على الاخرين.

[فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ] فى منقبة دون منقبةكأ كثر الانبياء الّذين لم يكونوا اولى العزم او فى اكثر المناقب كاولى العزم و غيرهم من ذوى الدّرجات منهم او فى الكلّ كخاتم الانبياء ﷺ.

[مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ] خبر بعد خبر ان جعل تلك الرّسل مبتدءً، او تلك مبتدء و الرّسل خبره، او هو خبر ابتداء ان جعل فضّلنا حالاً او معترضاً، او هو مستأنف جواب لسؤالٍ مقدّرٍ او بيان لفضّلنا بعضهم على بعضٍ نظير عطف البيان فى المفردات و هذا بيان للتّفضيل بمنقبةٍ خاصّةٍ.

[وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ] بيان للتّفضيل فى مناقب عديده، و درجات تميز محوّل عن المفعول و ليس حالاً و لاقائماً مقام المصدر كما قيل

للاحتياج الى كلفة التّأويل حينئذٍ.

عن النّبيّ ﷺ انّه قال ما خلق الله خلقاً افضل منّى و لا اكرم عليه منّى، قال عليّ عليه السلام فقلت: يا رسول الله افأنت افضل ام جبرئيل؟ـ فقال: انّ الله فضّل انبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين و فضّلنى على جميع النّبيّين و المرسلين، و الفضل بعدى لك يا عليّ و للائمّة من بعدك و انّ الملائكة لخدّامنا و خدّام محبّينا.

[وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ] المعجزات الظّاهرة المذكورة فى الكتاب [وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ] تأييداً خاصّاً غير التّأييد الّذى كان لسائر الانبياء و قد التفت فى الكلام من الغيبة الى التّكلّم ثمّ منه الى الغيبة ثمّ منها الى التّكلّم ثمّ منه الى الغيبة فيما يأتى، و الوجه العامّ فى الالتفات ايقاظ المخاطب للتّوجّه الى الكلام توجّهاً اتمّ من التّوجّه السّابق و تجديد نشاطه، و يوجد فى خصوص الموارد بعض الدّواعى الخاصّة.

[وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ] عدم الاقتتال عطف على محذوفٍ جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل فما فعل النّاس بعد مجىء الرّسل؟ـ فقال: اختلفوا و اقتتلوا، و لو شاء الله.

[مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِن م بَعْدِهِم] اى الّذين كانوا موجودين من بعد مجيئهم او من بعد وفاتهم فيكون تعريضاً بالاختلاف و القتال الواقع فى زمان محمّد ﷺ او بعد وفاته ﷺ و تسلية له ﷺ: و لأوصيائه.

[مِّن م بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ] اى المعجزات او الدّلائل الواضحات او الموضحات [وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟] قياس استثنائى مشير الى رفع التّالى المستلزم لرفع بحسب الواقع مستلزم له.

[فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ] الفاء سببيّة او عاطفة للتّفصيل على الاجمال و

المراد الايمان العامّ الحاصل بالبيعة العامّة.

[وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ] لمّا نسب الاختلاف اليهم و كذا الايمان و الكفر توهّم منها انّهم هم الفاعلون لافعالهم من دون فاعليّة الله تعالى و سببيّة مشيّة فكرّر الشّرطيّة السّابقة دفعاً لهذا التّوهّم و تأكيداً لنسبة الافعال الى المشيّة بل حصراً لنسبة الافعال اليه تعالى من دون استقلال الغير بها او مشاركته و لذلك أتى باستثناء التّالى بحيث يفيد نسبة الافعال اليه تعالى بطريق الحصر فقال:

[وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ] لاغيره [يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ] و هذا فى موضع لكن اختلفوا فكأنّه قال و لكن اختلفوا و ليس الاختلاف منهم و لا بمشاركتهم بل الله فعل الاختلاف فى مظاهره.

و قد اشار تعالى الى كبرى قياس من الشّكل الاوّل مستنبط صغراه من المقدّمات المسلّمة المشهورة و هى كلّ شىءٍ من افعال العباد و صفاتهم و غيرها ممّا له سمة الامكان فهو مراده تعالى لتسليم كلّ من اقرّ بالمبدء الاوّل ان لا شىء فى عالم الامكان الّا بعلمه و مشيّته و ارادته.

و كلّ مراده فهو مفعول له لالغيره لا بالاستقلال و لا بالشّراكة فكلّ شىءٍ من الذّوات و الاعراض و افعال العباد مفعول له تعالى لالغيره فعلى هذا يكون افعال العباد فعل الله لكن فى مظاهر العباد.

تحقيق افعال العباد بحيث لايلزم من نسبتها الى الله جبرٌ و لامن نسبتها الى العباد تفويضٌ اليهم و لاتعدّد فى النّسبة يستدعى ذكر مقدّماتٍ:

الاولى: انّ الوجود كما تكرّر سابقاً حقيقة واحدة ذات مراتب كثيرة متفاوتة بالشّدة و الضّعف و التّقدّم و التّأخّر بحيث لا ينثلم بكثرتها وحدة تلك

الحقيقة كالنّور العرضيّ فانّه حقيقة واحدة متكثّرة بحسب المراتب القريبة و البعيدة من منبعه و بحسب السّطوح المستنيرة به.

فانّ النّور يتكثّر بكثرة السّطوح بالعرض فاذا ارتفع السّطوح و حدود المراتب و اعتبارها لم يبق الّا حقيقة واحدة من دون اعتبار كثرةٍ فيها.

و الثّانية: أنّ تلك الحقيقة بذاتها تقتضى الوجوب لضرورة اتّصاف الشّىء بذاته و امتناع سلبه عن ذاته.

و الثّالثة: انّ الوجوب بالذّات يقتضى الاحاطة بجميع انحاء الوجودات و مراتبها بحيث لو كان شىء منها مغايراً للواجب و خارجاً منه تلك الحقيقة لزم تحدّد الحقيقة الواجبة بذلك الشّىء و لزم من التحدّد الامكان فلم يكن حقيقة الوجود حقيقة الوجود بل نحواً من انحائها و لاالواجب واجباً بل كان ممكناً.

و الرّابعة: أنّ تلك الحقيقة كما تقتضى الوجوب بذاتها تقتضى الاصالة فى التّحقّق و فى منشأيّة الاثار لاقتضاء الوجوب الاصالة، و اقتضاء الاصالة منشأيّة الاثار و كون غيرها من التّعيّنات اعتباريّاً.

و الخامسة: انّ مراتب الوجود و انحاءه بحكم المقدّمة الثّالثة عبارة عن تلك الحقيقة متحدّدة بحدودٍ و تعيّناتٍ و بتلك الحدود وقع التّميز بينها و ليست تلك الحقيقة جنساً لها و لانوعاً.

و السّادسة: أنّ الاثار الصّادرة من انحاء تلك الحقيقة صادرة من تلك الحقيقة مقيّدة بحدود تلك الانحاء بحيث يكون التّقييد داخلاً و القيود خارجة و ليست صادرة من تلك الحقيقة مطلقة؛ و الاّ لاتّحدث و لامن الحدود لأنّها اعدام و العدم لاحكم له الاّ بتبعيّة الوجود فلا منشأيّة له لا للوجوديّ و لاللعدميّ و لامن المجموع المركّب من تلك الحقيقة و الحدود، لانّ الحدود كما لاتكون منشأً منضمّة لانّ اعتبار الانضمام لايفيدها شيئاً لم يكن لها قبل ذلك و

ما يقال: انّ عدم العلّة علّة لعدم المعلول كلام على سبيل المشا كلة.

و الاّ فالعدم ليس معلولاً و مجعولاً حتّى يحتاج الى علّة و ما يتراءى من انّ حدود الاثار و اعدامها المنتزعة منها ناشئة من حدود المؤثّرات و اعدامها المنتزعة منها و قد تفوّه به بعض الفلاسفة خالٍ عن التّحصيل.

لانّ حدود الاثار من جملة لوازم وجوداتها و ليست من حيث هى مجعولة و من حيث الجهات المنتزعة هى منها فهى مجعولة بمجعوليّة وجود الاثار وبتبعيّتها لا بجعل آخر حتّى تستدعى علّة اخرى.

و اذا عرفت ذلك فاعلم انّ افعال العباد الاختياريّة صادرة عنهم بعد تصوّرها و التّصديق بغاياتها النّافعة لهم، و بعد الميل و العزم و الارادة و القدرة منهم.

و هذا معنى كون الفعل اختياريّاً و امّا كون الاختيار بالاختيار و الارادة بالارادة فليس معتبراً فى كون الفعل اختياريّاً و الفاعل مختاراً.

لكن نقول على ما سبق من المقدّمات افعال العباد آثار حقيقة الوجود المحدودة بحدود العباد من غير اعتبار الحدود فيها.

و العباد عبارة عن تلك الحقيقة معتبراً معها تلك الحدود فهى منسوبة الى حقيقة الوجود اوّلاً و بالذّات و الى العباد ثانياً وبالعرض من غير تعدّدٍ فى النّسبة بالذّات انّما التعدّد و التّغاير الاعتبارىّ فى المنسوب اليه و ليست الافعال مفوّضة الى العباد.

كما قالته المعتزلة المدعوّة بمجوس هذه الأمّة لانّ التفويض يستدعى استقلالاً بالفاعليّة فى المفوّض اليه و قد علمت انّ اسم العبد يطلق على حقيقة الوجود باعتبار انضمام حدٍّ عدمىٍّ اليها غير موجود فضلاً عن استقلاله بالوجود و الفاعليّة لكن عامّة النّاس و ان لم يكونوا مقرّين بالتفويض لساناً قائلون به

حالاً مشاركون للمعتزلة فعلاً.

فانّ المحجوبين عن الوحدة المبتلين بالكثرة المشاهدين للكثرات المتباينة المتضادّة لا يمكنهم تصوّر مبدء واحد لافعال العباد و آثار غيرهم فلا يدركون الّا استقلال العباد بافعالهم بل لا يتصوّرون تفويضاً و مفوّضاً فى الافعال و هذا من عمدة اغلاط الحواسّ و الخيال و لكون الخيال مخطئاً فى ادراكه كان الاولياء العظام يأمرون العباد بالذّكر اللسانىّ او القلبىّ المؤدّى الى الفكر المخصوص المخرج عن دار الكثرة و الغيبة و الخطاء الى دار الوحدة و الشّهود و الصّواب.

و ليس العباد مجبورين فى الافعال لانّ الجبر يقتضى جابراً مغايراً للمجبور و مجبوراً مستقّلاً فى الوجود مريداً مختاراً مسلوباً عنه الاختيار متحرّكاً على حسب ارادة الجابر المخالفة لارادة المجبور.

و ليس هناك جابر مغاير للمجبور و لا مجبور مستقلّ فى الوجود و لا فى الافعال و لاسلب الارادة المجبور و لاارادة مستقلّة مغايرة لارادة الجبار فالجبر يقتضى مفاسد التّفويض مع شىءٍ آخر من المفاسد.

و لذا قيل (مولوى):

در خرد جبر از قدر رسواتر است

زانكه جبرى حسّ خود را منكر است

علاوة على نسبة الاستقلال الى العباد و ليس الافعال بتسخير الله ايضاً لماذكر؛ فانّه لافرق بين التّسخير و الجبر الّا بسلب الارادة و عدمه.

فانّ المسخّر ارادته باقية تابعة لارادة المسخّر بخلاف المجبور فانّ ارادته تكون مسلوبةً و حركته تكون بارادة الجابر المخالفة لارادة المجبور بل الامر أدقّ و ألطف من الجبر و التّسخير و معنى الامر بين الامرين أنّ نسبة

الافعال الى العباد امر اجلّ و اعظم من ان يكون بطريق التفويض.

و ادقّ و اخفى من ان يكون بطريق الجبر و التّسخير، و اعلى و اسنى من ان يكون بطريق التّشريك فى الفاعل كما يظنّ، و اشرف من ان يكون بطريق توسّط العباد بين الفعل و الفاعل كتوسّط الالات بين الافعال و الفاعلين كما يترائى بل الفاعل حقيقة الوجود الظّاهرة بحدود العباد و توجّه اللّوم و التّعزير و الحدّ و الامر و النّهى ان كان ذلك ممّا يعاتب به العوامّ فلتخليص الانسانيّة اى تلك الحقيقة عن الحدود المخالفة لحدود الانسانيّة، و ان كان ممّا يخاطب به الانبياء و الاولياء عليهم السلام فلتخليص الانسانيّة عن الحدود جملة و ايصالها الى الظّهور من غير حدٍّ.

و من هذا يعلم انّ اللّوم و اجراء الحدود و الامر و النّهى لايجوز الاّ ممّن له شأنيّة التّخليص بان يكون ممّن خلص نفسه اوّلاً من حدٍّ يريد تخليص الغير منه و أبصر ذلك الحدّ و قوى على التخليص و لوفاته شيءٌ من هذه لم يجز منه ذلك.

و لمّا لم يكن الانسان يدرك بنفسه انّ له هذا المقام احتاج الى اجازة البصير المحيط به على انّ الاجازة بها ينعقد قلب المأمور على أمر الامر و لولا الاجازة لاينعقد.

و لمّا كان الافعال منسوبة الى الله تعالى اوّلاً و بالذّات و الى انحاء الوجودات ثانياً و بالعرض صحّ سلب أفعال العباد عنهم و اسنادها الى الله مثل قوله تعالى: فلم تقتلوهم و لكنّ الله قتلهم، حيث نفى القتل الصّادر منهم عنهم و أثبته لله بطريق حصر القلب او الافراد.

و هكذا قوله تعالى: و ما رميت اذ رميت و لكنّ الله رمى، و لمّا كان اقرار اللسّان من دون موافقة الجنان كذباً و مذموماً انكر تعالى على

من تفوّه بمثل هذا من غير تحصيل بقوله سيقول الّذين اشركوا لو شاءالله ما اشركنا و لاآباؤنا و لاحرّمنا من شيءٍ كذلك كذّب الّذين من قبلهم حتّى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتّبعون الاّ الظنّ و ان انتم الا تخرصون على أنّهم ارادوا بذلك دفع اللّوم عن أنفسهم بتعليق الاشراك والتّحريم على المشيّة و قد علم سمّا سبق انّ التعليق على المشيّة لا يوجب الجبر و لا يدفع اللّوم عن الفاعل ان كان الفعل ممّا يلام عليه و لذا اثبت تعالى بعد الانكار عليهم ما قالوه فقال: قل فلله الحجّة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين.

و اعلم انّ للاثار ثلاثة اعتبارات: اعتبار الاطلاق؛ و بهذا الاعتبار اسنادها الى الحقيقة المطلقة اولى، و اعتبار التقييد بالحدود من دون اعتبار الحدود معها.

و بهذا الاعتبار اسنادها الى الحقيقة المقيّدة اولى، و اعتبار التّقييد بالحدود و اعتبار الحدود معها؛ و بهذا الاعتبار اسنادها الى الحقيقة المقيّدة المعتبر معها التعيّنات و الحدود الّتى هى الموجودات اولى.

و لمّا كان الانسان فى طاعاته منسلخاً من انانيّته و حدودها متوجّهاً الى مولاه و امره كان اسناد طاعاته الى الله اولى، و لمّا كان فى معصيته متحدّداً بحدود انانيّته كان نسبة معاصية الى نفسه اولى كما اشير اليه فى الحديث القدسى.

و من هذا يعلم انّ العابد لو كان غرضه من العبادة انتفاع نفسه و لو بالقرب من الله لم يكن طاعته طاعة حقيقة لانّ قصد انتفاع النّفس ليس الا باقتضاء الانانيّة.

[يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَـٰكُم] بعد حصر

الافعال فی الله تعالی کأنّه قیل: فما لنا لانری الافعال الاّ من العباد؟

و من این یعلم انّ الفاعل هو الله؟

فناداهم و قال: ان اردتم ان تعلموا انّ الافعال منحصرة فی الله فأنفقوا ممّا رزقنا کم من الاموال و القوی و الاعراض و بالجملة کلّما یزید فی انانیّاتکم و حدودها الّتی تحجبکم عن مشاهدة الموجودات کما هی، و لمّا کان الانفاق من اصعب العبادات جبر کلفة بلذّة النّداء.

[مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ] یعنی لامال فیه یفتدی به من العذاب.

[وَلَا خُلَّةٌ] نافعة فانّ یوم الموت و هو المراد ههنا لاینفع فیه خلیل خلیلاً، و یوم القیامة یکون الاخلاء فیه بعضهم لبعض عدوّ الاّ الخلیل فی الله، و لایکون الاّ بعد انفاق الحدود و الحجب.

[وَلَا شَفَٰعَةٌ] و هذا یدلّ علی انّ المراد به یوم الموت و الاّ فیوم القیامة تنفع فیه شفاعة الشّافعین.

[وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ] امّا عطف علی لابیع فیه بتقدیر العائد ای من قبل ان یأتی یوم یظهر فیه انّ الظلم منحصر بالکافرین المحجوبین عن مشاهدة نسبة الافعال الی الله، او حال بهذا المعنی.

[ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ] ابتداء کلام منقطع عمّا قبله لابداء توحیده فی معبودیّته او فی مرجعیّته ان اخذ الاله من اله بمعنی عبد او التجأ او فی خالقیّته ان اخذ من لاه یلوه بمعنی خلق و لاثبات بعض صفاته الأُخر الثبوتیّة و السلبیّة و الحقیقیّة الاضافیّة.

او جواب لسؤالٍ ناشٍ عن قوله لکنّ الله یفعل ما یرید کأنّه قیل اذا لم یکن فاعل سواه فما حاله؟

او قيل: لم لم يكن سواه فاعل؟

و ما ورد فى فضل قراءة آية الكرسىّ يشعر بكونه مقطوعاً عمّا قبله و فى فضل آية الكرسىّ و قراءتها دبر الصّلوات الفريضة اخبار كثيرة.

فعن رسول الله صلى الله عليه و آله انّه قال: اىّ آية فى كتاب الله أعظم؟

ـ قال الرّاوى: فقلت: الله لا اله الاّ هو الحىّ القيّوم قال: فضرب صلى الله عليه و آله فى صدرى ثمّ قال: لهناك العلم؛ و الّذى نفس محمّدٍ صلى الله عليه و آله بيده انّ لهذه الاية لساناً و شفتين يقدّس الملك عند ساق العرض.

و فى المجمع باسناده قال النّبىّ صلى الله عليه و آله: من قرأ آية الكرسىّ فى دبر كلّ صلوة مكتوبة كان الّذى يتولّى قبض نفسه ذاالجلال و الاكرام، و كان كمن قاتل مع انبيائه حتّ استشهد.

و عن علىّ عليه السلام انّه قال: سمعت نبيّكم على اعوادالمنبر و هو يقول: من قرأ آية الكرسىّ فى دبر كلّ صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنّة الاّ الموت، و لا يواظب عليها الاّ صدّيق او عابد، و من قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه و جاره و جار جاره.

و عنه عليه السلام انّه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يا علىّ سيّد البشر آدم عليه السلام الى ان قال: و سيّد الكلام القرآن و سيّد القرآن البقرة، و سيّد البقرة آية الكرسىّ، يا علىّ انّ فيها الخمسين كلمةً و فى كلّ كلمة خمسون بركةً.

و عن ابى جعفر عليه السلام: من قرأ آية الكرسىّ مرّة صرف الله عنه الف مكروهٍ من مكاره الدّنيا، و الف مكروه من مكاره الاخرة؛ أيسر مكروه الدّنيا الفقر، و أيسر مكروه الاخرة عذاب القبر.

و عن ابى عبدالله عليه السلام: انّ لكلّ شىءٍ ذروة و ذورة القرآن آية الكرسىّ.

و السرّ فى ذلك انّ فيها اصول الصّفات الالهيّة و امّهات الاضافات

الربوبيّة.

[ٱلْحَيُّ]خبرٌ بعد خبر او خبر مبتدءٍ محذوف او مبتدءٌ خبره القيّوم، او ما بعد القيّوم او خبر ابتداءٍ.

و لا اله جملة حاليّة او معترضة مدحيّة كالجمل الدّعائيّة المعترضة، و الحيوة صفة مستلزمة للادراك و المشيّة و الارادة و القدرة و الاختيار و الفاعليّة الاراديّة فهى مشيرة الى كثير من الصّفات الالهيّة.

[ٱلْقَيُّومُ] صفة او خبر او خبر بعد خبر و هو من قام المرأة و عليها مأنها و كفى أمورها.

و هو من أسمائه الخاصّة به تعالى و معنى قيّوميّته تعالى للاشياء ايجاده لها و كفايتها فى جميع مالها الحاجة اليه من جميع ما به اضافاته اليها و اضافاتها اليه فهى جامعة لجميع صفاته الاضافيّة.

و لمّا كان القائم بأمر غيره كثيراً ما يختلّ امره بالغفلة عن أمره و كان عمدة اسباب الغفلة السِّنة و النّوم نفى هذين عنه تعالى فقال:

[لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ]السنة كعدة و الوسن محرّكة و الوسنة ثقل النّوم او اوّله او النّعاس و الجملة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ او خبر او خبر بعد خبر او حال او معترضة مدحيّة.

[وَلَا نَوْمٌ] و هو ردّ على اليهود و غيرهم الّذين قالوا: انّ الرّبّ فرغ من الامر و استراح او استلقى على ظهره كما اشيره اليه فى الاخبار.

[لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ] و هذا كسابقتها فى وجوه الاعراب و الّلام فى مثل المقام يستعمل فى المبدئيّة و المرجعيّة و المالكيّة.

و المراد منه معنى عامّ للثّلاثة فهو تصريح بما استفيد اجمالاً من القيّوم

و كثيراً ما يقال لزيد ما فى الصّندوق و يراد به الصّندوق و ما فيه خصوصاً اذا كان ما فى الصّندوق غالياً.

[مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ] تأكيد لقيوميته تعالى و لها الوجوه السّابقة مقطوعة و مرتبطة و يجوز تقدير القول بالوجوه السّابقة.

[إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ] هذا ايضاً كسوابقها فى الوجوه المذكورة و هو ايضاً تأكيد لما استفيد التزاماً من القيّوم.

و المراد بما بين ايديهم طولاً الدّنيا و الاخرة، و عرضاً ما يأتى او ما مضى كما مضى الاشارة اليه عند قوله فجعلناها نكالاً لما بين يديها و ما خلفها.

[وَمَا خَلْفَهُمْ] يعلم بالمقايسة [وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ].

بيان الاحاطة بما شاء الله من علمه

اعلم انّ العلم بمعنى ظهور الشّىء عند شىء آخر له معنى مصدرىّ هو من المفاهيم العامّة و معنى ينتزع ذلك الظّهور منه و هو صورة المعلوم الّتى حصلت عند العالم هذا فى العلوم الحصوليّة.

و امّا العلم الحضورىّ فليس هناك ما به الظّهور غير الظّاهر، بل المعلوم بذاته حاضر عند العالم لا بصورة يتنزع منها المعنى المصدرىّ للعلم.

فالعلم و المعلوم فيه متّحدان و اذا كان المعلوم بالعلم الحضورىّ ذات العالم كان العلم و المعلوم و العالم متّحدة و على ما قيل.

و هو الحقّ؛ انّ العلوم الصوريّة شؤن للعالمين و ليست كيفيّاتٍ نفسانيّة و لا اضافاتٍ كما قيل كان العلم و العالم فيها متّحدين، و اذا كان العلوم

الحضورّية شؤن العالمين كما قيل و هو الحق كان العلم الحضوريّ و العالم و المعلوم متّحدة مطلقاً.

و لمّا كان علم الله بالاشياء عالياتها و دانياتها بحضور وجوداتها عنده لابحصول صورها فيه او فى لوح حاضر عنده كما قيل كان جملة ما سوى الله علومه تعالى كما انّها معلوماتٌ له لاتّحاد العلم و المعلوم كما علمت و الصّور الحاصلة فى النّفوس و الحاضرة عندها من جملة معلوماته تعالى و علومه تعالى.

و على ماذكر انّ العلم شأن من النّفس الانسانيّة كان الانسان محيطاً بعلمه حضوريّاً كان ام حصوليّاً و لما كان العلوم حادثة و كلّ حادث مسبوق بمشيّته تعالى لم يكن يحدث علم الاّ بمشيّته تعالى فتبيّن معنى قوله تعالى لايحيطون بشىءٍ من علمه الاّ بماشاء و انّ المعنى لا يحدث لاحد شىء من علم الله الاّ بمشيّته تعالى.

[وَسِعَ] هذه كالجمل السّابقة فى الوجوه المحتملة [كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ] المشيّة بوجهها الى الله عرض و بوجهها الى الخلق كرسيّ.

و يسمّى الفلك الثّامن لكونه مظهراً للكرسيّ بالكرسيّ كما يسمّى الفلك المحيط بالعرش، و لمّا كانت المشيّة فعله تعالى و هو بشرط شىءٍ و يجتمع مع كلّ شرطٍ و فيها جميع صفاته و اسمائه بوجود واحدٍ جمعيٍّ جاز تفسير الكرسيّ بالعلم و تفسير العرش بجملة الخلق.

و صحّ ورود الاخبار بالاختلاف فى تفسيرهما؛ فعن النّبىّ ﷺ: ما السّموات السّبع و الارضون السّبع مع الكرسيّ الاّ كحلقةٍ ملقاةٍ فى فلاةٍ، و فضل العرش على الكرسيّ كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة.

و عن الصّادق عليه السلام انّه قال: حين سئل عن العرش و الكرسيّ ماهما؟

ـ العرش فی وجهٍ هو جملة الخلق و الكرسيّ وعاؤه.

و فی وجهٍ آخر: العرش هو العلم الّذی اطّلع الله علیه الانبياء و رسله و حججه علیهم السلام و الكرسيّ هو العلم الّذی لم يطّلع عليه احداً من انبيائه و رسله و حججه علیهم السلام.

[وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا] لايثقله حفظه لهما [وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ] حال بمنزلة التّعليل.

[لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ] استيناف منقطعٌ عن سابقه و الدّين الجزاء و الاسلام و العادة و العبادة و الطّاعة و الغلبة و السّلطان و الملك و الحكم و السّيرة و التّوحيد و اسم لجميع ما يتعبّد الله به و الملّة و العزّة و الذّلّة.

و المراد به ههنا الاسلام الحقيقيّ الّذی هو الطّريق الی الايمان الّذی هو طريق الاخرة.

او المراد الايمان الحقيقيّ الّذی هو البيعة الخاصّة الولويّة الّتی يعبّر عنها بالولاية.

او المراد السّلوك الی الاخرة بالايمان، و لذلك نفی الاكراه عنه و الاّ فالدّين بمعنی مطلق الاسلام او العبادة او الطّاعة او السّيرة او الملّة كثيراً ما كان يحصل بالسّيف.

كما قال صلّی الله علیه و آله: انا نبيّ السّيف.

و امّا الاسلام الحقيقيّ و الايمان الحقيقيّ و السّلوك الی الاخرة فلا يمكن الاكراه فيها لأنّها امر معنويّ لا يتصوّر الاكراه الجسمانيّ فيها.

او نقول: ليس الدّين الاّ الولاية الّتی هی البيعة الخاصّة الولويّة و قبول الدّعوة الباطنة، و ما سواها يسمّی بالدّين لكونه مقدّمة لها، او مسبباً، عنها، او

مشا كلاً لها، و لااكراه في الولاية، او المعنى لااكراه في الدّين بعد تمامية الحجّة بقبول الرّسالة و تنصيص الرّسول ﷺ على صاحب الدّين.

[قَد تَّبَيَّنَ] اى تميّز [ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ] استيناف في مقام التّعليل او حال والمعنى لايكره أحد في الدّين بالنّفي او لايكره بالنّهي على ان يكون الاخبار في معنى النّهي لتميّز الرّشد او حالة تميّز الرّشد من الغيّ و في الاخبار اشارات الى انّ المراد لااكراه في ولاية عليٍّ عليه السلام.

[فَمَن يَكْفُرْ] عطف على سابقه و الفاء للتّرتيب في الاخبار.

اى فنقول: من يكفر او جزاء لشرطٍ مقدّر والتّقدير اذا تبيّن الرّشد فمن يكفر [بِالطَّـٰغُوتِ] فقد توسّل بالرّشد المعلوم له فلايزول و لاينفصم توسّله لعلمه التّحقيقيّ الّذي لازوال له، و الطّاغوت في الاصل طغيوت من الطّغيان فقلب فصار فلعوت و التّاء زائدة لغير التّأنيث فيه و في نظائره.

و لذا تكتب بالتّاء و تثبت في الجمع فيقال طواغيت و طواغت و قد تكتب بالهاء مثل جبروة و طاغوة و تسقط من الجمع مثل طواغٍ و حينئذٍ تكون للتّأنيث و يجري على الفاظها احكام التّأنيث وهذه الهيئة للمبالغة في معنى المصدر سواء جعلت مصدراً مثل رحموت و رهبوت و رغبوت و جبروت او اسم مصدر، و سواء استعملت في معنى الحدث او في معنى الوصف مثل الطّاغوت.

و فسّر الطّاغوت بالشّيطان والكاهن و السّاحر و المارد من الجنّ و الانس والصّنم وكلّ ما عبد من دون الله تعالى.

و الحقّ انّ الطّاغوت يشمل النّفس الامّارة الانسانيّة وكلّما يتبعه تلك النّفس من الشّيطان و الاصنام والجنّة والكهنة و السّحرة و رؤساء الضلالة جميعاً و الاية في شأن ولاية عليٍ عليه السلام.

والمقصود من قوله تعالى [وَ يُؤْمِن بِاللَّهِ] الايمان الخاصّ الّذى لا يحصل الاّ بالبيعة على يد علىٍّ عليه السلام.

فانّ الايمان العامّ الّذى يحصل بالبيعة العامّة النّبويّة لا يدخل به شىءٌ فى القلب فلا يتوسّل بشىءٍ حتّى يصحّ ان يترتّب عليه قوله تعالى:
[فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا] جملة حاليّة او جواب لسؤالٍ مقدّرٍ.

تحقيق الاستمساك بالعروة الوثقى وبيان العروة الوثقى

اعلم انّ امر الولاية الّتى هى عبارة عن البيعة الخاصّة الولويّة و الاتّصال بولىّ الامر بعقد اليمين اجلّ و ارفع من ان يوصف لانّ صورتها و ان كانت من الاعمال الجسمانيّة المحسوسة لكنّ الاتّصال الرّوحانىّ الحاصل بها امر غيبىّ لا يدرك بالابصار و لا يتوهّم بالامثال و لا يتعقّل بالعقول لأنّه لا حدّ له و لا رسم و لا كيف له و لا كمّ بل هو قال المولوىّ قدّس سرّه:

اتّصالى بى تكيّف بى قياس — هست رب النّاس را با جان ناس

و للاشارة الى انّ هذا الاتّصال ليس الاّ لمن قبل الولاية بالبيعة الخاصّة الولويّة قال المولوى قدّس سرّه:

ليك گفتم ناس من نسناس نى — ناس غير جان جان اشناس نى

فلابدّ من التّمثيل و التّشبيه اذا اريد التّنبيه عليه فنقول: انّ الانسان يزداد فى جوهر ذاته من اوّل تولّده و ليس استكماله بمحض الازدياد فى كيفيّاته كما قيل و كلّما ازداد فى ذاته و حصل له فعليّة من فعليّات طريقه المؤدّى الى فعليّات انسانيّته صار اسم الانسانيّة و اسم شخصه اسماً لتلك

الفعليّة و صارت الفعليّات السّابقة فانية و مغلوبة لتلك الفعليّة.

فاذا بلغ الى مقام عقله الّذى هو مناط التّكليف و التّدبير صار قابلاً لتصرّف الشّيطان و تصرّف الملك و الرّحمن و لا ينعقد قلبه على شىءٍ منهما بمعنى انّه لا يتمكّن الشّيطان من التّصرف فيه و لا الملك مالم يرد الولاية فتنعقد فعليّاته بتصرّف الشّيطان او لم يقبلها.

فتنعقد فعليّاته بولىّ امره فهو حينئذٍ كالنّخلة الّتى لاتثمر الّا بالتّأبير و كشجرة الفستق الّذى لا يصير فستقه ذالبّ الّا بالتّلقيح.

او كاللّبن الّذى لا ينعقد الاّ بالانفحة فاذا انعقد قلبه على الولاية صار كلّ فعل و فعليّة له منعقداً بالولاية و جميع فعليّاته مغلوباً و محكوماً بحكم فعليّة الولاية و صار اسم الانسانيّة و اسم شخصه اسماً لفعليّة الولاية و فعليّة الولاية كما سبق تحقيقها عند قوله: و بالوالدين احساناً؛ نازلة ولىّ الامر، و بتلك النّازلة يتحقّق نسبة الابوّة و البنوّة بين التّابع و المتبوع، و نسبة الاخوّة بين الاتباع.

و بهذه النّسبة قال عيسى عليه السلام : انا ابن الله، و قال: كلّ من حصل تعميد التّوبة على يدى او ايدى خلفائى فهو ابن الله.

و لذلك قالت النّصارى: نحن ابناء الله و لولا تنزّل ولىّ الامر فى وجود المولىّ عليه لم يتحقّق شىءٌ لتصحيح تلك النّسبة و قد اشار المولوىّ الى حصول تلك و تصحيحها بقوله:

هست اشارات محمّد المراد	كل گشاداندر گشاد اندر گشاد
صد هزاران آفرين بر جان او	بر قدوم و دور فرزندان او
آن خليفه زادگان مقبلش	زاده‌اند از عنصر جان و دلش
گرزبغداد و هرى يا از ريند	بى مزاج آب و گل نسل ويند

عیب جویان راالز این دم کوردار   هم بستّاری خود ای کردگار

و لکون الفعلیّات و الافعال بدون الولایة قشوراً خالیّة من الالباب.

ورد لو انّ عبداً عبد الله تحت المیزاب سبعین خریفاً قائماً لیله صائماً نهاره و لم یکن له ولایة ولیّ امره او ولایة علیّ بن ابی طالب عليه السلام لأكبّه الله علی منخریه فی النّار.

و غیر ذلك من الاخبار المفیدة لهذا المضمون، و لکون تلك الولایة عبارة عن الاعمال البدنیّة جعلت قرین الصّلوة و الزّکوة و الحجّ و الصّوم فی الاخبار الدّالّة علی انّ الاسلام بنی علی خمس.

و لکونها اصل الکلّ و اصل جمیع الخیرات کما عرفت؛ ورد فی بعض الاخبار انّها افضل و انّها مفتاحهنّ و الوالی هو الدّلیل علیهنّ.

و فی بعضها: لم یناد بشیءٍ مانودی بالولایة؛ فاخذ النّاس بأربعٍ و ترکوا هذه یعنی الولایة.

و فی بعضها: من مات و لم یعرف امام زمانه مات میتة الجاهلیّة.

و أحوج ما یکون الی معرفته اذا بلغت نفسه ههنا؛ و أهوی بیده الی صدره، و فی بعضها: انّ الله فرض علی خلقه خمساً فرخّص فی اربعٍ و لم یرخّص فی واحدة، و فی بعضها:

حبّ علیٍّ حسنةٌ لا یضرّ معها سیّئةٌ.

و فی بعضها:

اذا عرفت فاعمل ماشئت من قلیل الخیر و کثیره.

و غیر ذلك من الاخبار الدّالّة علی فضائل الولایة، و نقل عن ابی أبی یعفور فی بیان آخر الایة انّه قال: قلت لأبی عبدالله عليه السلام انّی اخالط النّاس فیکثر عجبی من اقوامٍ لا یتولّونکم و یتولّون فلاناً و فلاناً لهم امانة و صدق و وفاء، و

اقوام يتولّونكم ليست لهم تلك الامانة و لاالوفاء و لاالصّدق قال: فاستوى ابوعبدالله جالساً فأقبل عليّ كالغضبان ثمّ قال: لادين لمن دادن‌الله بولاية امام جائرٍ ليس من‌الله، و لاعتب على من دان‌الله بولاية امام عادلٍ من‌الله، قلت: لادين لاولئك و لاعتب على هؤلاء؟ ـ قال: نعم، ثمّ قال عليه السلام: الا تسمع لقول الله: عزّ و جلّ **الله ولى الّذين آمنوا يخرجهم من الظّلمات الى النّور** يعنى من ظلمات الذّنوب الى نور التّوبة و المغفرة لولايتهم كلّ امام عادل من الله عزّ و جلّ و قال و الّذين كفروا اولياؤهم الطّاغوت يخرجونهم من النّور الى الظّلمات انّما عنى بهذا انّهم كانوا على نور الاسلام فلمّا ان تولّوا كلّ امام جائرٍ ليس من الله خرجوا بولايتهم من نور الاسلام الى ظلمات الكفر فأوجب لهم النّار مع الكفّار.

و فى خبر: فأعداء عليٍّ عليه السلام اميرالمؤمنين هم الخالدون فى النّار و ان كانوا فى اديانهم على غاية الورع و الزّهد و العبادة.

و الحاصل انّ وليّ عليٍّ لايأكل الّا الحلال و عدوّ عليٍّ عليه السلام لايأكل الّا الحرام، و من لم يكن ذا ولاية و عداوة لايحكم عليه بحلّيّة و لاحرمة؛ و كان مرجيٍ لأمر الله.

و قوله تعالى: **اوفوا بالعقود حلّت لكم بهيمة الانعام** به تعليق احلال البهيمة على الوفاء بالعقود اشارة الى البيعة مع عليّ بالخلافة فى غدير خمّ و جمع العقود لانّهم عقدوا البيعة فى ذلك اليوم فى ثلاثة مواطن و ورد فى عشرة مواطن للتأكيد المطلوب فى هذا الامر.

و قوله تعالى: **اليوم يئس الّذين كفروا من دينكم، و اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام ديناً، و اليوم احلّ لكم الطّيّبات و المحمصنات من**

النّساء به تعليق يأس الكفّار و اكمال الدّين و اتمام النّعمة و الرّضا بالاسلام ديناً و احلال الطّيّبات و المحصنات من النّساء على يوم البيعة مع عليّ عليه السلام في غدير خمّ يدلّ على ان لا حليّة لشيءٍ بدون الولاية.

و قد مرّ مراراً انّه كلّما ذكر عهد و عقد و ميثاق و يمين فالنّظر اوّلاً الى عقد البيعة و خصوصاً البيعة الخاصّة الولويّة، و كلّما ذكر نقض عقد و عهد و ميثاق فالمقصود عقد البيعة و لاسيّما الولاية.

و الحاصل انّ الانسان بمنزلة المادّة للولاية، و الولاية صورته و فعليّته فما لم ينعقد بالولاية لم يكن له فعليّة الانسانيّة، و اذا انعقد بالولاية حصل له الانسانيّة و تمّ له الفعليّة فكأنّه قبل الولاية لم ينفخ فيه روح الحيوة و كان ميتاً **افمن كان ميتاً فأحييناه** يعني بالولاية اشارة الى ما ذكر.

و قوله عليه السلام: النّاس موتى و اهل العلم أحياء.

اشارة اليه فانّ اهليّة العلم منحصرة بهم وبشيعتهم كما قالوا:

شيعتنا العلماء بطريق الحصر فكلّ نعمةٍ و خيرٍ و صلاحٍ نعمة و خير و صلاح بالولاية، و الّا كان نقمة و شرّاً و فساداً كائناً ما كان، و بالولاية احياء النّسل و الحرث و اصلاح الارض و عمارتها، و بردّها اهلاك النّسل و الحرث و افساد الارض و خرابها، و هى ذروة الامر و سنامه و مفتاح الاشياء و باب الابواب و رضى الرّحمن و جنّة الرضوان و اصل الخيرات و اساس الحسنات، و هى الحكمة الّتى من اوتيها فقد اوتى خيراً كثيراً.

و هى رحمة الله و بها يكون فضل الله و قوام النّبوّة و الرّسالة، و من عرف من امّة محمّد صلى الله عليه وآله واجب حقّ ولايته وجد طعم حلاوة ايمانه و علم فضل طلاوة اسلامه، بها دين العباد و بنورها استهلال البلاد، و ببركتها نموّ التلاد، و هى حيوة الانام، و مصباح الظلام، و مفتاح الكلام، و دعامة الاسلام، و

بالجملة الانسان غاية خلق العالم و الولاية غاية خلق الانسان.

[وَٱللَّهُ سَمِيعٌ] جملة حاليّة للتّرغيب فى الايمان بالله كأنّه قال: فقد استمسك بالعروة الوثقى مع انّ الله الّذى آمن به سميعٌ لاقواله.

[عَلِيمٌ] بافعاله فيجزيه بها [ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ] جملة حاليّة مكتفية عن الرّابط بتكرار ذى الحال او مستأنفة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ما شأن الله مع من آمن به و ما يفعل بهم؟

ـ فقال: تعالى: هو وليّهم و قدّم الله ههنا بخلاف القرين الاتى حيث اخّر الطّاغوت لشرافته و الالتذاذ و التبجحّ بذكره و الدّلالة على انّه ليس فى قلبه ﷺ سواه.

[يُخْرِجُهُم] خبر بعد خبر، او حال عن المستتر فى الخبر، او عن الموصول او عنهما او مستأنفٌ جواب لسؤالٍ عن حاله معهم، او عن علّة اثبات ولايته، و أتى بالخبر الاوّل وصفاً لعدم التجدّد و الحدوث فى الولاية بعد ثبوته بالبيعة الولويّة بخلاف اخراجه تعالى للمؤمنين من الظّلمات فانّه امر يتطرّق التجدّد و الحدوث فيه آناً فاناً.

[مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ].

اعلم انّ اللّطيفة السيّارة الانسانيّة المعبّر عنها بالانسان ليست فى بدو حصول مادّتها و استقرارها فى الرّحم الّا قوّة محضة و عدماً شأنيّاً.

ثمّ تتدرّج فى الخروج من القوّة و العدم الى الفعليّة و الوجود الى زمان بلوغها مبلغ الرّجال فيصير الانسان انساناً بالفعل واقعاً بين دار النّور و دار الظّلمة مختلطاً فيه نور الانسانيّة بظلمة الحيوانيّة.

و الطّبع و المادّة و الشّيطنة، و ظلمة الحيوانيّة تنشعب الى شعبٍ كثيرةٍ فان ادركته العناية الالهيّة و بلغ الى من دعاه الى الاسلام و أسلم بالتّسليم و

الانقياد للنّبىّ ﷺ و نوّابه و بايع البيعة الاسلاميّة و حصل له الحالة الحاصلة بالبيعة ازداد نوريّته و اشتدّت بواسطة نور الاسلام و اخرجه الله قليلاً من الظّلمات المذكورة الى النّور.

فان ادركته العناية مرّة أخرى و دخل فى الايمان بقبول الولاية و البيعة الخاصّة الولويّة و حصل له الحالة الحاصلة بالبيعة الخاصّة أخرجه الله من قواه و اعدامه متدرّجاً الى نور الايمان.

ثمّ يتفضّل الله عليه بدوام الاخراج التجدّدىّ و يتدرّج هو فى الخروج الى ان يخرج من تمام القوى و الاعدام و الحدود الى تمام الفعليّة و النّور.

و لمّا كان النّور حقيقة واحدة ليس اختلافها الّا بالشدّة و الضّعف الّذى يؤكّد الوحدة وسعتها او باختلاف الحدود و المهيّات و لا يؤثّر اختلاف الحدود فى ذاته و كانت الظّلمات اى القوى و الحدود و الاعدادم الشأنيّة متكثّرة مختلفة بذواتها و مورثة للكثرة فى النّورانى بالنّور مفرداً و بالظّلمات جمعاً.

[وَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ] قد مضى بيان الطّاغوت قبيل هذا، و تأخير الطّاغوت عن الاولياء مع انّه مبتدء بقرينة حمل الولىّ على الله فى قرينه لعدم الاعتداد به، و جمع الاولياء مع افراد الطّاغوت امّا لارادة الجنس من الطّاغوت و الاشعار بتعدّد الطّواغيت كالظّلمات.

او للاشارة الى تعدّد جهات ولاية كلّ طاغوتٍ كأنّه مع وحدته اولياء للكافر.

[يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ] فسّر فى اخبارنا النّور فى الفقرتين بنور الاسلام و الظّلمات بظلمات الكفر و بال محمّد ﷺ و أعدائهم و بنور التّوبة و ظلمات الذّنوب.

[أُوْلَـٰٓئِكَ] الكافرون او الطّواغيت او المجموع [أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ

هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ]الاتيان باسم الاشارة و اسميّة الجملة و تأكيد الخلود المستفاد من صحابة النّار بالتّصريح به للتّغليظ و التّطويل و التّأكيد المطلوب فى مقام الذمّ.

[أَلَمْ تَرَ] الم ينته رؤيتك [إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِيمَ فِى رَبِّهِۦٓ]التّعدية بالى للتّضمين المذكور المشعر ببعد المفعول عن الرّؤية و الادراك و الجملة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ.

كأنّه قيل: ما الشّاهد على الاخراجين؟ ـ فقال تعالى اخراج نمرود حين المحاجّة فى الله من نور التّسليم لربوبيّة الله الى ظلمات انكار الرّبّ و المغالطة فى المحاجّة و التّحيّر حين المغلوبيّة و اخراج النّبىّ الّذى مرّ على القرية من ظلمة الشّكّ و الحيرة و حجاب العلم الى نور الشّهود و العيان لكنّه أخرجه فى صورة الاستفهام التعجيبىّ تفضّلاً فى الجواب بالمبالغة فى استغراب القضيّتين.

و نمرود حاجّ ابراهيمعليه‌السلام قبل القائه فى النّار كما قيل او بعد القائه و خروجه سالماً من النّار كما نسب الى الصّادقعليه‌السلام.

[أَنْ ءَاتَـٰهُ] اى ابراهيم [ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ] ملك النّبوّة و الطّاعة او نمرود الملك الصورىّ و هو بتقدير لام التّعليل.

[إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ]بدلٌ من الّذى حاجّ نحو بدل الاشتمال، او ظرف لحاجّ و المقصود اذ قال ابراهيم بعد ما قال نمرود له من ربّك يا ابراهيم؟ ـ [رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَ يُمِيتُ]اتى بوصف الاحياء الّذى يعجز عنه غير الله و ذكر الاماتة ليس للتّعجيز بل لمناسبة التضادّ او هى ايضاً للتعجيز فانّ الاماتة ازهاق الرّوح من دون فعلٍ من المميت بالنّسبة الى بدن الميّت او روحه، وهذا خاصّ بالله فان كان الازهاق بسبب فعل فاعلٍ كان قتلاً لااماتة.

[قَالَ] مثل هذا يكون جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ [أَنَا أُحْيِ ى] بان لااقتل من وجب القتل عليه و انجيه من الحبس.

[وَ أُمِيتُ] بقتل من اردت قتله، و هذا مغلطة منه في الجواب تمويهاً على العوامّ لانّ ابقاء الحيوة الحاصلة من الله ليس احياءً على انّه ليس ابقاءً للحيوة بل هو ترك لفعلٍ يؤدّي الى ازهاق الرّوح.

و هكذا الحال في الاماتة، و لمّا كان الزامه ببيان مغلطته في الجواب لم يكن يظهر على العوامّ عدل عن الالزام ببيان المغلطة الى التّعجيز بوصف آخر.

روى عن الصّادقعليه السلام : انّ ابراهيمعليه السلام قال له فأحي من قتله ان كنت صادقاً.

و [قَالَ إِبْرَٰهِيمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ] لمّا ادّعى الرّبوبيّة لنفسه بالاشارة الى قياسٍ مستفادٍ من ادّعاء حصر الاحياء و الاماتة في نفسه بتقديم المسند اليه في قوله انا احيي و اميت تصويره و هكذا ربّك الّذي يحيي و يميت و كلّ محييٍ و مميتٍ انَا فَانَا ربّك، و موّه ذلك على العوامّ عدل عن اسم الرّبّ و قال: فانّ الله يأتي؛ باسم الجلالة حتّى لايتأتّى له التّمويه بوصف المسند اليه و لابوصف المسند.

[فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ] البهت كالنّصر الانقطاع والتحيّر و فعلهما كعلم و نصر و كرم و عنى و الوصف مبهوت لاباهت و قرء مبنيّاً للفاعل و مبنيّاً للمفعول و المعنى فانقطع حجّته او تحيّر.

[ٱلَّذِي كَفَرَ] اى نمرود [وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي] جملة حاليّة و المعنى فانقطع حجّته و الحال انّه لم يكن له معينٌ يعينه فانّ المعين ليس الّا الله.

و الله لايهدى [ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ] على أنفسهم ثمّ على الخلق ثمّ

على خلفاء الله.

[أَوْ كَالَّذِي] عطف على صلة الموصول اى الم تر الى الّذى كالّذى [مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ] و قيل فى اعرابه وجوهٌ اُخر و المارّ كان عزيرالنّبىّ عليه السلام او ارمياء عليه السلام و هما مذكوران فى الاخبار.

و قيل: كان خضراً و القرية بيت المقدّس حين خرابه بجنود بختنّصر.

و قيل: الارض المقدّسة اى الشّام.

و قيل: القرية الّتى خرج منها الالوف فقال لهم الله: موتوا [وَهِيَ خَاوِيَةٌ] خالية او خربة و عليهما فقوله تعالى: [عَلَىٰ عُرُوشِهَا] حال او ساقطة على سقوفها بمعنى انّ سقوفها سقطت ثمّ سقطت جدرآنها على سقوفها.

[قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ] اى اهل هذه القرية او انّى يعمر هذه القرية [اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا] اى موت اهلها او خرابها و انّما قال ذلك استعظاماً لأمرها لاانكاراً لقدرة الله عليها.

[فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ] يعنى انظر الى قدرة الله و عجيب صنعه فى انّ طعامك و شرابك [لَمْ يَتَسَنَّهْ] فى طول هذه المدّة، و الهاء للسّكت و المعنى لم يتغيّر.

[وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ] كيف صار رميماً و تفرّقت عظامه مع بقاء طعامك و شرابك.

[وَ] فعلنا ذلك بك [لِنَجْعَلَكَ] او فعلنا ذلك بك لتصير موقناً مشاهداً ولنجعلك [ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ] عظام بدنك و عظام حمارك [كَيْفَ نُنشِزُهَا] نرفعها و نركّب بعضها على بعضٍ و قرء بالرّاء

المهملة من باب الافعال و من الثلاثىّ المجرّد.

[ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ] و شاهد ما علمه سابقاً بعد اماتته مائة عامٍ [قَالَ] النبىّ [أَعْلَمُ] على قرائة المضارع او قال الله اعلم على قراءة الامر و قد ذكر فى الاخبار وجوه لاماتة هذا النّبىّ عليه السلام و تفاصيل لكيفيّتها من أراد فليرجع الى المفصّلات.

[أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ] و منه الاحياء بعد الاماتة [وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ] عطف على مجموع الى الّذى حاجّ ابراهيم او على الموصول المجرور بالى و اشارة الى وجهٍ آخر لاخراج المؤمن من ظلمات حجاب العلم الى نور العيان.

او عطف على قوله اذ قال ابراهيم على ما نقل انّه قال بعد قول نمرود انا أحيي و أميت انّ احياء الله بردّ الرّوح الى بدن الميّت فقال نمرود: و هى عاينته؟ ـ فلم يقدر ان يقول: نعم، فسأل الله بعد ذلك فى الخلوة و قال [رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ] حتّى أجيب به نمرود.

[قَالَ] الله [أَوَلَمْ تُؤْمِن] او لم تذعن بانىّ اقدر على ذلك و افعل ذلك فى الاخرة؟

ـ [قَالَ بَلَىٰ] اذعنت بذلك و ايقنته [وَلَٰكِن] اسأل ذلك [لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى] بالعيان بعد البيان، اعلم انّ الظّنّ كما سبق يطلب العلم بالمظنون و العلم يطلب الشهود و العيان، و العيان يجذب التّحقّق و يحرّك كلّ صاحبه و لايدعه يسكن عن الطّلب حتّى يوصله الى مافوقه.

فقال: ابراهيم عليه السلام بعد العلم بذلك: انّ علمى يهيّجنى و يجعل قلبى مضطرباً فى طلب العيان فأطلب العيان ليطمئنّ قلبى.

[قَالَ فَخُذْ] الفاء جزائيّة لشرطٍ مقدّرٍ يعنى ان اردت ذلك فخذ

[أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ] جمع الطّائر او اسم جمع له كصحب و صاحب [فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ] حتّى لايلتبس عليك قرئ بضمّ الصّاد وكسرها من صار يصور و صار يصير بمعنى أمال و بضمّ الصّاد وكسرها و شدّ الرّاء من صرّ مشدّد الرّاء من باب نصر و ضرب، و بفتح الصّاد و شدّ الرّاء وكسرها من التصرية و الجميع بمعنى الجمع فاقتلهنّ و قطّعهنّ و مزّجهنّ و جزّئهنّ.

[ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ] من الجبال العشرة، و قيل: كانت الجبال اربعة و قيل كانت سبعةً [مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا] اتيان سعي او هو مفعول مطلق من غير لفظ الفعل او هو حالٌ بمعنى ساعياتٍ.

اعلم انّه قد اختلف الاخبار في سبب سؤال ابراهيمعليه السلام ذلك؛ ففي بعضها انّه لمّا رأى ملكوت السّماوات و الارض رأى جيفةً على ساحل البحر نصفها في البحر و نصفها في البرّتأ كلها سباع البحر و سباع البرّ ثمّ يحمل بعض السّباع على بعض فيأ كل بعضها بعضاً فتعجّب ابراهيمعليه السلام و سأل ذلك.

و في بعضٍ انّ الله أوحى الى ابراهيمعليه السلام انّي متّخذ من عبادي خليلاً ان سألني احياء الموتى أجبته فوقع في نفسه أنّه ذلك الخليل فسأل ذلك ليطمئنّ انّه ذلك الخليل.

و قد مضى وجه آخر انّ نمرود قال: هل رأيت احياء الميّت بردّ الرّوح الى بدنه؟ ـفسأل ذلك من الله، و اختلف الاخبار في تعيين الطّيور؛

ففي بعضها أخذ ابراهيم نسراً و بطّاً و طاووساً و ديكاً، و في بعضٍ انّه اخذ الهدهد و الصّرد و الطّاووس و الغراب، و في بعضها الدّيك و الحمامة و الطّاووس و الغراب.

و في بعضها: الدّيك و الطّاووس و الوزّة و النّعامة، و قد اختلف الاخبار ايضاً في كيفيّة مزجها و تجزيتها؛ و في بعضِ الاخبار: هذا تفسيره في

الظّاهر و تفسيره فی الباطن: خذ اربعةً ممّن یحتمل الکلام فاستودعهنّ علمك ثمّ ابعثهنّ فی اطراف الارضین حججاً علی النّاس، و اذا اردت ان یأتوك دعوتهم بالاسم الاکبر یأتونك سعیاً باذن الله.

و اختلاف الاخبار فی تعیین الطّیور و کیفیّة قتلها و مزجها و تجزیتها و دعوتها و احیائها، و اختلافها فی عدد الجبال و اشارتها الی بعض وجوه التّأویل یدلّ علی انّ لیس المراد من هذه الحکایة ظاهر القصّة فقط بل کان ظاهرها مراداًللتّنبیه علی باطنها.

و انّ المقصود من الطّیور الاربعة الشّیطنة و الشّهوة؛ و الغضب و الحرص المتولّد منهما، او طول الامل المتولّد منها فانّهما متلا زمان فانّها امّهات جنود النّفس و الجهل.

و المراد بقتلها اماتتها عن الحیوة النّفسانیّة و باحیائها احیائها بالحیوة العقلانیّة حتّی تصیر من جنود العقل فانّ الطّاووس مظهر للشیطنة المقتضیة للانانیّة الباعثة للتجلّی کلّ آن بلونٍ علی نفسه و علی غیره و الدّاعیة لتعجیب نفسه و غیره، و الدّیك للغضب، و الحمام للشّهوة، و البطّ للحرص، و لمّا کانت هذه الصّفات تظهر من طیور اُخر ایضاً اختلف الاخبار فی تعیین الطّیور و قد ذکر فی تعیین الصّفات و تأویل الطّیور نظماً و نثراً وجوه غیر هذا.

و التّعبیر بالطیّور مع انّ فی الدّوابّ ما هو مظاهر الصّفات بل هی اشدّ ظهوراً فی بعض الدّوابّ من الطّیور لانّ النّفس و جنودها لکونها کشجرةٍ خبیثة اجتثّت من فوق الارض مالها من قرارٍ لاثبات لها علی شیءٍ بل هی کالطّیر کلّ آنٍ علی غصنٍ فبالّشیطنة تعرض نفسها علی نفسها و علی غیرها کلّ ساعة بلونٍ و صفةٍ.

و بالشّهوة تتمنّی کلّ آنٍ مشتهی، وبالغضب یغصّ کلّ حین علی سلیم،

و بالحرص و الامل يتبع كلّ آنٍ مأمولاً، و بعد القتل يتبدّل الاوصاف و تصير من جنود العقل منقادة مطيعة كلّما دعاها العقل يسر عن فى الاجابة.

[وَٱعْلَمْ] من قبيل عطف المسبّب على السّبب كأنّه قال حتّى تعلم بعد احياء الموتى [أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ]لا يمنعه شيءٌ من مراده [حَكِيمٌ] لا يفعل شيئاً من الاماتة و الاحياء الاّ لحكم و مصالح و لا يعطى شيئاً من القوى و الاعضاء جنداً للجهل او للعقل الاّ لمصالح هديداً، او المعنى و اعلم انّ الله عزيزٌ حكيم حتّى لا تقول: لم امر بقتل الحيوان و ايذائه؟!

[مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ] جوابٌ لسؤالٍ ناشٍ من السّابق كأنّه قيل: ما لمن قتل الطّير الّتى هى من جنود الجهل سوى احيائها بحيوة العقل؟

ـ فقال: مثل الّذين يقتلون جنود الجهل فى ابتغاء العقل و ينفقون [أَمْوَٰلَهُمْ] الحقيقيّة الّتى هى قواهم [فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ] اى مالا حدّ له و التّفاضل فى عوض الانفاق و اجره انّما هو بالتّفاوت فى حال المنفق و نيّته و شأنه و المال المنفق و حال المنفق عليه، و فى الخبر اذا احسن العبد المؤمن عمله ضاعف الله له عمله بكلّ حسنة سبعمائة ضعف، و ذلك قول الله تعالى و الله يضاعف لمن يشاء.

و فى هذا الخبر دلالة على انّ المراد بالاموال فى الاية اعمّ من الاعراض الدّنيويّة و القوى و الاعضاء البدنيّة حيث اشهدبها على تضعيف اجر الاعمال من الله و ليست الاعمال الاّ انفاق القوى البدنيّة و الحركات العضويّة و الاعضاء البدنيّة و انّ المراد بقوله: و الله يضاعف لمن يشاء، حصر تضعيف الاجر الى سبعمائة فى الله لا تكثير الضعف فوق السّبعمائة و لا تقييد التّضعيف بمن يشاء و هو وجه من وجوه الاية.

[وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ] عطف فى معنى التّعليل ان كان المـراد بـقول والله يضاعف لمن يشاء تكثير التّضعيف فوق السّبعمائة.

او المراد به تكثير التّضعيف فوق السّبعمائة ان كان المراد بذلك حصر التّضعيف فى الله او تقييده بمن يشاء.

[عَلِيمٌ] بانفاقكم و قدر المنفق ونيّة المـنفق و حـال المـنفق عـليه فيضاعف بقدر استعدادكم و استحقاقكم ليس فعله و ارادته جزافاً من دون نظرٍ الى استحقاقكم فربّ منفقٍ يبطل انفاقه او يعذّبه الله عليه، و ربّ منفق يجازيه بالاحسن الى العشرة، الى السّبعين، الى السّبعمائة، الى السّـبعة الالاف، الى السّبعين الفاً، الى ما شاء الله، الى مالانهاية له.

[ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ] جواب سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: هذا الكلّ من أنفق او لبعض دون بعض؟

ـ فقال تعالى تفصيلاً للمنفقين: الّذين ينفقون [أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا] العطف بثمّ للتّفاوت بين الاخبارين، و المنّ ان تنظر الى المنفق عليه معتدّاً بانفاقك.

[وَلَآ أَذًى] و هو ان تتطاول عليه و تستحقره و تستقدمه و تستقبله بكلامٍ خشنٍ و تعدّ احسانك عليه.

و من اقبح الخصال الاعتداد باحسانك الى الغير و باساءة الغير اليك و نسيان احسان الغير اليك و نسيان اساءتك الى الغير، و من اجمل الخصال كمال الاعتداد باحسان الغير اليك و التندّم على اساءتك اليه و نسيان احسانك الى الغير و نسيان اساءته اليك، و الاعتداد بالاحسان يورث الانـانيّة المـخالفة للانفاق و الوبال للنّفس مع ابطال الاحسان، و فى الاخبار: انّ المراد المنّ و الاذى لمحمّدٍ ﷺ و آله عليهم السلام.

[لَّهُمْ أَجْرُهُمْ] لم يأت بالفاء ههنا و أتى بـه فـى قـوله: اَلّـذين ينفقون اموالهم باللّيل و النّهار سرّاً و علانية فلهم اجرهم؛ الا ية لانّ المقصود ههنا بيان بطلان الصّدقة بالمنّ و الاذى و لذلك بسط بعداً فى الانفاقات الباطلة و لم يكن المقصود ترتّب الاجر على الانفاق حتّى يأتى بالفاء المؤكّد للترتّب بخلاف ما يأتى فانّ المقصود هناك بيان ترتّب الاجر و ناسبة الاتيان بمؤكّدات التلازم و اضافة الاجر اليهم لتفخيم الاجر و للاشارة الى اختلاف الاجر بحسب اختلاف المنفقين بحيث لا يمكن تحديد حدّ له ألّا بالاضافة الى المنفقين.

[عِندَ رَبِّهِمْ] تشريف آخر لهم بانّ امر اجـرهم غـير مـوكول الى غيرهم [وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] قد مضى وجه اخـتلاف القرينتين فى اوّل السّورة.

[قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ] جواب سؤالٍ مقدّر كأنّه قيل: ما يفعل من لا يقدر على ترك المنّ و الاذى فى انفاقه؟

ـ فقال: قول معروف يعنى مالا ينكره العرف و العقل مع عدم اجـابة السّائل و عدم الاحسان اليه [وَمَغْفِرَةٌ] يعنى اغماض المسؤل عـن قـبائح السّائل و قباح الحاجة او ستر على السّائل و سؤاله، او ادراك مغفرة الله بازاء القول المعروف.

[خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى] اكتفى عن المنّ بذكر الاذى فانّه نحو اذى، و أتى باداة التّفضيل بناء على مخاطبات العرف و الاّ فـلا فـضيلة للصّدقة الّتى يتبعها اذى بل لها و بال كما مضى.

[وَٱللَّهُ غَنِيٌّ] عن صدقاتكم ليس امره بـها لاجـل حـاجة له الى انفاقكم على عياله و انّما افقر بعض عباده لابتلاء بعض آخر لالعدم قدرته على

اغنائه [حَلِيمٌ]لا يعجل بعقوبة من يمنّ و يوذى فى انفاقه و هو يدّل على و بال المانّ بالانفاق.

[يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ] اى اسلموا بالبيعة العامّة و قبول الدّعوة الظّاهرة بعد ما مدح الانفاق و ذمّ المنّ و الاذى عليه نادى المؤمنين خاصّة تلطّفاً بهم و اعتناءً بشأنهم ثمّ نهاهم عن الانفاق المذموم كأنّ غيرهم ليسوا مكلّفين حتّى يتوجّه النّهى اليهم.

فقال: [لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِالْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ] اعلم انّ الانفاق اذا كان الدّاعى اليه صدق المنفق فى امتثال الامر الالهىّ من دون شراكة أغراض النّفس كان صدقة، و ابطالها من حيث انّها صدقة بان لم يكن هذا الصّدق فى الانفاق او كان لكن يذهب به بعده فقوله: **لا تبطلوا صدقاتكم** معناه: لاتذهبوا بصدقكم فى انفاقكم، و الاتيان بعنوان الصّدقات مقام الانفاق للتّنبيه على انّ المؤمن ينبغى ان يكون انفاقه قريناً لصّدق لكن قد يطرو عليه ما يذهب بصدقه.

[كَالَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ] مفعول له او حال.

اعلم انّ العبادات اذا كان الدّاعى اليها قرب العابد من الله بمعنى انّ القرب المستلزم لشدّة الحبّ المستلزم لخدمة المحبوب صار سبباً للعبادة و القيام بخدمة المعبود و امتثال أمر المحبوب كانت عبادة.

و اذا كان الدّاعى انتفاع النّفس من الله و لو بقرب الله لم تكن عبادة حقيقة، واذا كان الدّاعى انتفاع النّفس من الغير لم تكن عبادة لاحقيقة و لاصورة بل كانت محرّمة و بالاً.

و لذلك قالوا: انّ المراءاة فى الصّلوة مبطلةٌ لها بل المرائى اشرّ من تارك الصّلوة بمراتب فانّه مستهزء بالله و منافق و مشرك اوكافر و يحسب انّه

محسن و يعجب بنفسه بخلاف التّارك فانّه متوانٍ فى أمره تعالى و يعلم انّه تارك؛ وكثيراً مايتنبّه و يلوم نفسه.

[وَلَا يُؤْمِنُ] لايذعن [بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ] حين المرائاة او مطلقاً [فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ] اعلم انّ التشبيهات التمثيليّة المركّبة لا يلزم ان يكون جميع اجزاء المشبّه و المشبّه به مذكورةً و لا يلزم التّرتيب بين اجزائهما فى الذّكر و لا ذكر تمام اجزائهما فقوله فمثله يحتمل ان يكون المراد به مثل المنفق المرائى فى صلابة قلبه و قساوته و عدم انبات النّبات فيه و استتار قلبه تحت صورة الانفاق الّذى هو من وجوه الخير الّذى يدلّ على صلاح قلبه و صلاحيته لبذر الاخرة و انباته و نموّه كمثل صفوان.

[عَلَيْهِ تُرَابٌ] صالح للزّرع و نموّه و ابطال المرائاة الصلاحية المترايأة من ظاهر الانفاق كابطال المطر العظيم القطر الصلاحية المترايأة من ظاهر تراب الصّفوان و ان يكون المراد به مثل المال المنفق فى ذهابه عن المنفق و عدم الانتفاع به بشىءٍ من وجوه الانتفاع لابطال الرّياء له مع انّه بحسب صورة الانفاق يترائى انّ المنفق ينتفع به كمثل بذرٍ وقع على صفوانٍ عليه تراب.

[فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا] عن التّراب و البذر جميعاً [لَّا يَقْدِرُونَ] حال عن فاعل ينفق او عن الضّمير المضاف اليه للمثل فانّ المثل يصحّ حذفه و جمع الضّمير مع افراد الضّمير الّذى هو ذوالحال باعتبار لفظ، الّذى، و معناه فانّ معناه الجنس العامّ الشامل لكلّ فرد، او جواب لسؤالٍ مقدّرٍ.

كأنّه قيل: ما حال المنفق المرائى فى انفاقه؟ـ او لم قلت كمثل صفوان؟

ـ او كأنّه قيل: ما حال المبطل انفاقه بالمنّ و المرائى فى انفاقه؟

ـ فقال: لا يقدرون [عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا] فلا اشكال حينئذٍ فى جمع الضّمير و هذا يدلّ على انّ المراد بالانفاق مطلق الاعمال فانّ الكسب اعمّ ممّا يكسب بالانفاق.

[وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ] عطف على لا يقدرون و الاهتمام بالله منع من مراعاة التّناسب بين المتعاطفين او حال و المعنى انّهم بأنفسهم لا يقدرون و لا معين لهم سوى الله و الله يهديهم و وضع الظّاهر موضع المضمر للتصريح بانّهم كافرون و لتعليل الحكم.

بيان ابتغاء مرضات الله
بحيث لا يخلّ باخلاص العمل

[وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ] لفظة من لابتداء الغاية داخلة على الفاعل مثل زعماً منهم و عدم توافق المفعول له و العامل فى المسند اليه مغتفر ههنا لانّه تابع و يغتفر فى الثوانى مالا يغتفر فى الاوائل.

او داخلة على المفعول بتضمين التّثبيت معنى الطّلب اى طلباً للثّبات من أنفسهم، او من للتّبعيض قائمة مقام المفعول به اى تثبيتاً لبعض أنفسهم كأنّ أنفسهم موزّعة على المال و الرّوح و من يجاهد بالمال يثبّت بعض نفسه على الطّاعة او على الانفاق، و من يجاهد بنفسه يثبّت البعض الاخر.

اعلم انّ الانفاق مثل سائر الطّاعات اذا كان الدّاعى عليه امراً زائداً على شاكلة الانسان مقصوداً انتفاعه به سواء كان قرباً من الله او رضاه او نعيمه او الخلاص من جحيمه او غير ذلك من الدّواعى الرّاجحة و المباحة المأذون

فيها و الغير المأذون فيها لم يكن طاعة بل معاوضة و ايتجاراً، و اذا كان شا كلة الانسان غير الهيّةٍ كان اعماله غير الهيّةٍ سواء قصد منها أمراً اخرويّاً او غير اخرويٍّ؛ او لم يقصد أمراً سوى شا كلته و كان الدّاعى نفس شا كلته.

و اذا كان شا كلته أمراً الهيّاً قرباً من الله او ابتغاء مرضاته او التذاذاً بأمره و امتثاله او التشأّن بحبّه و ابتغاء خدمته او غير ذلك من الشّؤن الالهيّة و كان تلك الشّا كلة داعية على العمل من غير قصدٍ لامر زائدٍ و كانت الغاية اشتداد الدّاعى.

فانّ كلّ هذه بذاتها تقتضى الاشتداد و تقتضى القيام بأمره تعالى كان العمل طاعة و عبادة و خالصاً لوجه الله، فعلى هذا يكون معنى الاية مثل الّذين ينفقون أموالهم لحصول ابتغاء مرضاة الله الّذى هو شا كلتهم و لحصول تثبيت أنفسهم الّذى هو شا كلتهم و تمكينها فى شا كلتها يعنى لاقتضاء ابتغاء المرضاة الحاصل لهم او لتحصيل الابتغاء الّذى هو اشتداد شا كلتهم لكن من غير قصد زائد على اقتضاء الابتغاء الاشتداد.

بل بقصد بسيط حاصل فى نفس الاقتضاء الاشتداد فانّه اذا كان الانفاق لتحصيل اشتداد الابتغاء بقصد مركّب عن شعور تركيبيّ و قصد زائد لحصول امر للنّفس نافع لها لم يكن حاصلاً كان المقصود به انتفاع النّفس الّذى يفسد العبادة.

[كَمَثَلِ جَنَّةٍ م] اى كمثل غارس جنّة و قد مضى انّ التّشبيهات المركّبة لا يلزمها ان يكون ترتيب اجزاء المشبّه به مثل اجزاء المشبّه و لا ان يكون التّالى للمثل او لاداة التّشبيه نفس المشبّه به، و لا ان يصحّ التّشبيه بين اجزاء الطّرفين.

[بِرَبْوَةٍ] الرّبوه بتثليث الرّاء، المكان المرتفع؛ و قرئ بالتّثليث، شبّه

المنفق فی زرع القلب بزراعة الاخرة بغارس جنّةٍ واقعة فی مكانٍ مرتفع فی انّهامحفوظة عن الاغبرة الكثيرة الواردة على الامكنةالمنخفضة و عن صدمة السيل و عن ضياع ثمرها باحتباس الهواء، و فی نضارتها و طراوتها بمجاورة الهواء الصّافی و رطوبة الهواء المرتفع، و فی تضعيف ثمرها بذلك.

[أَصَابَهَا وَابِلٌ] لاالسّيل [فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا] ای ثمرها [ضِعْفَيْنِ] بماذكر من اسباب حسنها.

[فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ] بواسطة مجاورة الهواء المرتفع الرّطب، و الطّل ما يقع فی اللّيل على النّبات شبه الثّلج.

[وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] تحذير عن ابطال الانفاق بـالمنّ و الرّياء و ترغيب فی اخلاص الانفاق لله.

[أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ] تمثيل آخر لمن انفق ثمّ ابطل انفاقه بالمنّ و الاذى بعده كما انّ المثال السّابق كان لمن كان ابطاله مع الانفاق فانّه شبّه الانـفاق الّذی هو غرس فی جنّة القلب للاخرة بجنّة كذا و صاحبه بصاحب الجنّة فـی حال شدّة الاحتياج من اصابة الكبر و كونه معيلاً و عياله ذرّيّة ضعفاء و منّه و اذاه بنارأتت فاحترقت جنّته حالكونه لايرجـو غـيرها لكـنّه ادّاه بـالاستفهام الانكاریّ تجديداًللاسلوب لتنشيط السّامع و تهييجه للاستماع و تأكيداً فی التحذير عن المنّ و الاذى.

[أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِی مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ] يعنی تكون الجنّد منهما لكن كان فی خلالهما سائر انواع الاشجار، و يجوز ان يراد بالثّمرات مـطلق المنافع من الثّمرات و الحبوب و غيرها.

[وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ] حتّى يضعف عن القيام بأمر ذرّيّته و يكون كفاية

ذرّيّته من تلك الجنّة.

[وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ] عجزة عن الاكتساب [فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ] الاعصار الرّيح المثيرة للسّحاب، او الّتى فيها نار، او الّتى تهبّ من الارض كالعمود نحو السّماء مستديرة، او الّتى فيها العصار اى الغبار الشّديد.

[فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ] اى مثل بيان هذه الامثال للانفاق الخالص و لابطاله [يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَـٰتِ] الانفسيّة و غيرها.

[لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ] و تنتقلون من ظاهر الامثال الّتى هى الايات الافاقيّة الى الممثّل لها الّتى هى الايات الانفسيّة.

[يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ] اراد ان يذكر حال المنفق بعد ذكر ما الاخلاص فى الانفاق و انّ المنفق ينبغى ان يكون جيّداً محبوباً للنّفس لا خبيثاً مكروهاً لها، فنادى المؤمنين تهييجاً لهم بلذّة المخاطبة و النّداء.

و قال: [أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ] حلاله و جياده [وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ] اى من طيّبات حبوبكم و اثماركم و المستخرجات من معادنكم.

عن الصّادق عليه السلام كان القوم قدكسبوا مكاسب سوء فى الجاهليّة فلمّا اسلموا ارادوا ان يخرجوها من اموالهم ليتصدّقوا بها فأبى الله تبارك و تعالى الاّ ان يخرجوا من طيّبات ماكسبوا.

[وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ] تيمّمه قصده و كأنّه مبدل الياء من الهمزة و قرء تؤمّموا و تيمّموا من باب التفعيل و الخبيث الردىّ.

[مِنْهُ] ممّاكسبتم او ممّا اخرجنا لكم او من كلّ واحدٍ على ان يكون متعلّقاً بتيمّموا او من الخبيث على ان يكون متعلّقاً بقوله تعالى [تُنفِقُونَ] و الجملة حال او مستأنفة.

[وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ] نزلت فى اقوام لهم اموال من ربوا الجاهليّة و كانوا يتصدّقون منها، و فى خبرٍ آخر انّها نزلت فى اقوام كانوا يجيئون بالحشف فيدخلونه فى تمر الصّدقة، و فى خبرٍ آخر اذا امر رسول الله ﷺ بالنّخل ان يزكّى يجيئ قوم بألوان من التّمر هو من اردى التّمر يؤدّونه من زكوتهم تمرة، يقال له الجعرور و المعافارة قليلة اللّحال عظيمة النّوى و كان بعضهم يجىء بها عن التّمر الجيّد فقال رسول الله ﷺ لاتخرصوا هاتين التّمرتين و لاتجيئوا منهما بشىءٍ و فى خبر آخر انّها نزلت فى صدقة الفطر كانوا يأتون بها الى مسجد رسول الله ﷺ و فيها أردى التّمر و يستفاد من مجموع الاخبار انّه لااختصاص للطّيب بالحلال و لاللخبيث بالحرام و لاللصّدقة بالواجبة و لاللواجبة بزكوة المال.

[وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ] يعنى انّ المحتاج قد يقبل الردىّ لحاجته و الله غنىّ لايقبل الردىّ اصلاً [حَمِيدٌ] يعنى الغنىّ الذميم قد يقبل الردىّ بخلاف الحميد فهماكناية عن عدم قبول الردىّ اصلاً.

[ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: مابالنا لانقدر على انفاق الطّيب و ترك تيمّم الخبيث فى الانفاق؟

ـ فقال: لانّ الشّيطان يعدكم [ٱلْفَقْرَ] اى يوعدكم و يخوّفكم [وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ] اى البخل بالطّيب فانّ البخيل يسمّى بالفاحش فى لغة العرب و حينئذٍ لم يكن ما بعده جزءاً من الجواب او التّقدير لم أمرنا الله بالانفاق من الطّيب و نهانا عن تيمّم الخبيث؟

ـ فقال: لانّ الانفاق من الطّيب ليس الاّ بالخروج من انانيّة النفس و حكومته و الدّخول فى حكومة الله و امره، و الانفاق من الخبيث بدل الطّيب ليس الاّ من حكومة الشّيطان و الدّخول تحت امره و الشّيطان يخوّفكم بالفقر

ثمّ يأمركم بالفحشاء.

[وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً] كان مقتضى المطابقة بين الفقرتين ان يقول و الله يعدكم الغنى و يأمركم بالمعروف لكنّه عدل الى ماذ كر لاستنباط الامر بالمعروف من الامر بانفاق الطّيب.

و للاشارة الى انّ وعد الله يعمّ الدّنيا و الاخرة بخلاف ايعاد الشّيطان فانّه لايتجاوز عن الدّنيا، و قدّم المغفرة لانّها وعد اخرويّ بخلاف الفضل، و نكرّهما للتفخيم، و اتى بالفضل مقام الغنى للاشعار بانّ الغنى الموعود ليس كالغنى الموهوم الّذى ليس الاّ الفقر و الحاجة و العناء بل هو من فضل الله الّذى لافقر فيه و لانصب و لانفاد. و قدّم ايعاد الشّيطان لكون المقام لذمّ الّذين تيمّموا الخبيث فاقتضى المقام الاهتمام بايعاد الشّيطان و لان يختم الاية بالخير كما بدئت به و لارادة انجرار وعدالله الى ايتاء الحكمة و الخروج عن مقام ذكر الوعد و الايعاد.

[وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ] لايخاف الضّيق و الفقر فلا خلف فى وعده [عَلِيمٌ] بمصالحكم فلا يأمركم الاّ بمافيه صلاحكم، ولا ينهاكم الاّ عمّا فيه فسادكم.

بيان الحكمة و مراتبها

[يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّ الرّسول ﷺ بعد ما أيقن و شاهد المفاسد المترتّبة على طاعة الشّيطان و المصالح الّلازمة لطاعة الله قال: ما للنّاس لايتأمّلون و لاينظرون الى تلك المفاسد و المصالح؟! و لايرتدعون عن تلك ولا يرغبون فى هذه؟

ـ فقال: لانّ النّظر فى دقائق هذه و العمل بمقتضاها من شعبتى الحكمة النّظريّة و العمليّة و لايؤتى الله الحكمة لكلّ احد بل يؤتيها.

[مَن يَشَآءُ] و يجوز ان تكون الجملة حاليّة او خبراً بعد خبر مفيدة لهذا المعنى، و الحكمة كما مرّ عبارة عن ادراك دقائق المصنوع الالهىّ و غاياته المترتّبة عليه؛ و هى الحكمة النّظريّة، و عن القدرة على صنع مصنوع مشتمل على دقائق الصّنع و الغايات المترتّبة الى غاية هى اشرف الغايات بالنّسبة الى مقام الصّانع؛ و هى الحكمة العمليّة، و تطلق الحكمة على كلّ واحدٍ منهما و على المجموع، و لمّا كان ادراك الدّقائق المودعة فى المصنوعات و اعمال الدّقايق المتصوّره لها خاصّين بالله فالحكيم على الاطلاق هو الله تعالى و سائر النّاس حكماء بقدر ادراكهم و قدرتهم على الصّنع، و تلك الحكمة اى ادراك دقائق المصنوع الالهىّ و الغايات المترتّبة عليه و القدرة على صنع مصنوع مشتمل على غايات منتهيةٍ الى غاية هى اشرف الغايات لا يمكن حصولها الاّ بعد فتح باب القلب بالولاية لانّه مالم يفتح باب القلب لم يفتح عين القلب، و ما لم يفتح عين القلب لم يمكن الادراك الاّ بعين الخيال، و الخيال مخطئ فى ادراكه و غير متجاوزٍ عن الغايات الدّنيويّة، و اذا فتح باب القلب بالولاية يدرك الانسان اوّلا دقائق الصّنع المودعة فى نفسه و عالمه الصّغير، و يدرك حيل الشّيطان فى اغوائه، و لطائف الملك فى تصرّفه، و يقدر على دفع حيل الشّيطان و تقوية تصرّف الملك، فاذا استقام فى ذلك و خلص من تصرّف الشّيطان تمكّن من ادراك دقائق الصّنع فى العالم الكبير و الغايات المترتّبة على مصنوعاته تعالى، و يقدر على التصرّف فيها بقدر قوّته قليلاً او كثيراً، و ادراك الدّقائق فى عالمه الصّغير و القدرة فيه عبارة عن النّبوّة و خلافتها، و ذلك الادراك و القدرة فى العالم الكبير عبارة عن الرّسالة و خلافتها و اساس ذلك هى الولاية كما عرفت فيجوز تفسير الحكمة بكلٍّ من الولاية و النّبوّة و الرّسالة وبمعرفة الامام و طاعته وبمعرفة الامام و اجتناب الكبائر و بالكتاب

و بالثّبات عند اوائل الامور و الوقوف عند عواقبها و بهداية الخلق الى الله و بمعرفة الامام و الفقه فى الدّين، و الحكمة سبب عمارة البيوت فما من بيتٍ ليس فيه شيءٌ من الحكمة الّا كان خراباً، و قد فسّرت بالتشبّه بالاله علماً و عملاً و هى غاية خلق الانسان بل غاية عالم الامكان و لذلك قال تعالى: [وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ] بالحكمة او باستلزامها للخير الكثير [إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ] اعلم انّ الانسان بتمام عباداته و عظيم طاعاته مالم ينعقد قلبه بالولاية كان كشجرة اللّوز و الفستق الّتى كانت كثيرة اللّوز و الفستق اللّذين لم يكن لهما لبٌّ و ينبغى ان يوقد فى النّار و لا يبصر شيئاً من دقائق المصنوع و لامن دقائق حيل الشّيطان فلا يقدر على دفع شيءٍ من حيله، و اذا انعقد قلبه بالولاية صار اثمار أعماله ذوات ألباب و أبصر من الدّقائق و الحيل بقدره فما لم ينعقد قلبه بالولاية لايتذكّر ذلك و اذا انعقد تذكّر [وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ] ممّا يطلق عليه اسم النّفقة قليلاً كان ام كثيراً فى حقّ ام باطل صحيحاً او فاسداً مبطلاً او مبقىً سرّاً او علانيّةً [أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ] كذلك تجزوا به [فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ] و يقدر على المجازاة و لامانع من مجازاته [وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ] اى مانعى الحقوق من اهاليها و معطيها لغير اهاليها فى الانفاق و النذّر او فى مطلق الموارد و منها الانفاق و النّذر [مِنْ أَنصَارٍ] يدفعون عقوبة الله عنهم [إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ابداء الانفاق خير او اسراره؟ـ فقال؟ ان تبدوها [فَنِعِمَّا هِىَ] اى فنعم شيئاً او نعم الشّيء الصّدقات المبدءات و جعل المخصوص ههنا الصّدقات للاشعار بأنّ مدح الابداء انّما هو لمدح الصّدقات بخلاف اخفائها فانّه ممدوح فى نفسه و ممدوح لمدح الصّدقات ايضاً [وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ]

اى الاخفاء [خَيْرٌ لَّكُمْ] كما انّ نفس الصّدقة خير لكم، و جعل المخصوص بالمدح فى الفقرة الاولى ابداء الصّدقات كما قدّروا يذهب باللّطف المندرج فى العبارة. فى الخبر: انّ كلّما فرض الله عليك فاعلانه أفضل من اسراره، و ما كان تطوّعاً فاسراره أفضل من اعلانه، و لو انّ رجلاً حمل زكوة ماله على عاتقه فقسمها علانية كان ذلك حسناً جميلاً، و فى خبر، انّهم يعنى اصحاب الرّسول ﷺ كانوا يستحبّون اظهار الفرائض وكتمان النّوافل، و الوجه فى ذلك انّ الفرائض بعيدة عن المراءاة فيها و العجب و الانانيّة بخلاف النّوافل، لكن نقول: هذا كسائر الاحكام يختلف باختلاف الاشخاص و الاحوال فربّ صدقةٍ نفل يكون اعلانها افضل بمراتب من اعلان الزّكوة الفرض، و ربّ زكوة فرض يكون اسرارها افضل من اسرار النفل [وَ يُكَفِّرُ] اى الله او الاخفاء قرئ بالرّفع عطفاً على مجموع جملة الشّرط و الجزاء، او على الجزاء و لم يجزم لكون المعطوف عليه جملة اسميّة غير ظاهر فيها الجزم، او لتقدير مبتدءٍ حتّى يصير المعطوف على الجزاء جملة اسميّة، و قرئ بالنّون و بالتّاء المثنّاة من فوق على ان يكون الفعل للصّدقات مرفوعاً ومجزوماً [عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ] ترغيب فى الاسرار بعد التّنبيه على انّه افضل بجعله محكوماً عليه بالخير دون الابداء [لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ] كان النّبىّ ﷺ بعد ما اظهر الله تعالى ابطال الصّدقة بالمنّ و الاذى و ابطالها بالرّياء و ان لاناصر لمن ظلم فى الانفاق و النّذر تحرّج ﷺ من عدم اهتداء امّته و قومه الى وجوه الخير فى الانفاق و الى ما فى البخل و ابطال الانفاق من الوبال و الحرمان حتّى لم يهتدوا بسببه الى الاسلام و الايمان و قال: فما أصنع حتّى يهتدوا الى ذلك؟ـ فقال تعالى: ليس عليك هداهم حتّى تتحرّج من عدم هداهم [وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ] [فَ] هو نافع

[لِأَنفُسِكُمْ] فمابالكم تمنّون به على غيركم او تؤذون به من تنفقون عليه او غيره [وَمَا تُنفِقُونَ] اى لا ينبغى لكم ان تنفقوا [إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ] لكنّه ادّاه بصورة الاخبار عن الانفاق لوجه الله تهييجاً لهم على ذلك [وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ] اى من مالٍ حلالٍ مكتسبٍ من جهة حلّيّته الّتى هى الولاية فانّها جهة حلّيّة المحلّلات كما سبق و كما يأتى عند قوله تعالى: **اليوم أكملت لكم دينكم** فانّ خيريّة المال ان يكون مكتسباً من الحلال، و خيريّة النّفقة ان تكون خالصة لوجه الله كما اشير اليه بقوله تعالى: **و ما تنفقون الاّ ابتغاء وجه الله** يعنى نفقة غير مشوبة بالمنّ و الاذى و الرّياء و غير مدنّسة بالاغراض النّفسانيّة و ان تكون سرّاً كما اطلق الخير فى السّابق عليه [يُوَفَّ إِلَيْكُمْ] التوفية تكون باداء ما ينبغى ان يؤدّى [وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ] بنقص فيما يؤدّى اليكم جزاء انفاقكم [لِلْفُقَرَآءِ] جواب لسؤالٍ تقديره قد علم فضل الانفاق و كيفيّته فلمن الانفاق؟ـ فقال: الانفاق للفقراء [ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ] اى حبسهم الله فى السّبيل **بحيث لا يمكنهم** السّير و الترقىّ او احصر هم الله بالامراض البدنيّة و الشّؤن النّفسانيّة عن المكاسب، او أحصر هم الرّسول ﷺ او أنفسهم عن المكاسب، او المعنى احصروا حالكونهم فى سبيل الله بالتعلّم و العبادة و التهيّوء للجهاد. فى الخبر: انّها نزلت فى اصحاب الصّفة و قيل: انّ اصحاب الصّفة كانوا نحواً من اربعمائةٍ كانوا فى صفّة المسجد لم يكن لهم فى المدينة مأوىً و لا عشائر، اشتغلوا بالتعلّم و العبادة و كانوا يخرجون فى كلّ سريّة يبعثها رسول الله ﷺ فحثّ الله النّاس على الانفاق عليهم و للاهتمام بهم و الحثّ عليهم اقتصر فى بيان مصارف الصّدقة عليهم [لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ] للّسلوك الى الاخرة اوللمكاسب [يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ] بحالهم

او مطلقاً [أَغْنِيَآءَ مِنَ] اجل [ٱلتَّعَفُّفِ] عن السّؤال [تَعْرِفُهُم] الخطاب للرّسول ﷺ او عامّ لكلّ من يتأتّى منه الخطاب [بِسِيمَـٰهُمْ] السّومة بالضمّ و السّيمة و السّيما بالقصر و السّيماء بالمدّ و السّيمياء بزيادة الياء و المدّ، و بالكسر فى الاربعة بمعنى العلامة يعنى انّ علامة الفقر عليهم ظاهرة من رثاثة الحال و صفرة الوجه و اغبرار اللّون [لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا] سؤال الحاح او مفعول مطلق من غير لفظ الفعل او حال [وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ] كرّره لتأكيد الشّرطيّة السّابقة فانّ توفية تمام المنفق تقتضى العلم بتمامه و للاهتمام و التّأكيد فى حقّ هؤلاء الفقراء كأنّه قال: و ما تنفقوا من خيرٍ عليهم [فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ] فيجازيكم عليه [ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ] جواب لسؤالٍ ناش من قوله: ان تبدوا الصّدقات؛ تقدير: ما حال من جمع بين السّرّ و العلانية فى الانفاق؟ـ فقال: الّذين ينفقون [أَمْوَٰلَهُم بِالَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ] و هذا من قبيل الفضل فى الجواب او على امكان منشأيّة السّابق للسّؤال عن الجمع بين السّرّ و العلانية فى الانفاق و عن استغراق الانفاق لجميع الاوقات [سِرًّا وَعَلَانِيَةً] لم يعطفه للاشارة الى عدم مغايرة السّرّ و العلانية لما فى اللّيل و النّهار [فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ] اشار الى تفخيم الاجر باضافته اليهم كما مضى [عِندَ رَبِّهِمْ] اشارة اخرى الى تفخيم الاجر [وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] فى المجمع انّ الاية نزلت فى علىٍّ عليه السلام كانت معه اربعة دراهم فتصدّق بدرهم ليلاً، و بدرهم نهاراً، و بدرهم سرّاً، و بدرهم علانيّةً. و ليس المراد من مثل هذا الخبر تعيين درهم واحد للّيل، و درهم واحد للنّهار حتّى يغاير درهم السّرّ درهم العلانية بل المراد انّه عليه السلام تصدّق بشيءٍ فى اللّيل و بشيءٍ فى النّهار و بشيءٍ فى السّرّ ليلاً او نهاراً و بشيءٍ فى العلانية ليلاً او نهاراً، و قيل: انّ الاية اذا نزلت فى شيءٍ فهى منزلة فى كلّ ماتجرى فيه، و

الاعتقاد فى تفسيرها انّها نزلت فى أميرالمؤمنين عليه السلام و جرت فى النّفقة على الخيل و أشباه ذلك، و فى خبر: انّها ليست من الزّكوة.

[ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ] منقطعة عن السّابق لابداء حكمٍ آخر او جواب سؤالٍ ناشٍ عن سابقه كأنّه قيل: قد علم حال المنفق فما حال آخذ مال الغير؟ـ او فما حال آخذ الرّبوا؟ـ فقال: الّذين يأكلون الرّبوا و الأكل ههنا و فى كثيرٍ من الايات بمعنى الاخذ و التّصرّف سواء كان التّصرّف بالأكل اللّغوىّ ام لا، و ذكر الأكل لأنّه عمدة منافع المال و عمدة مقاصدهم منه، و الرّبوا بالكسر الزّيادة على رأس المال و رسم ان يكتب بالواو و الالف اشعاراً بمادّته و تشبيهاً لواوه بواو الجمع و سيجيء بيانه و وجه حرمته [لَا يَقُومُونَ] عن قبورهم او عن قعودٍ او بامور معاشهم [إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ] تخبّط الشّيطان فلاناً مسّه بأذىً او أفسده او أفسد عقله [مِنَ ٱلْمَسِّ] من اجل مسيسه ايّاه و قد يكون المسّ بمعنى الجنون لكنّ المناسب هنا ماذكرنا.

بيان الخبط من مسّ الشّيطان.

اعلم انّ الانسان واقع بين عالم الجنّة و الشّياطين و عالم الملائكة و قابل لتصرّف الارواح الخبيثة و الارواح الطّيّبة فيه، و قوله عليه السلام: لكلّ انسانٍ شيطان يغويه و ملكٌ يزجره؛ يشير اليه فاذا بلغ مبلغ الرّجال و حصل له العقل الّذى هو مناط التّكليف و التّدبير وقع فى تصرّف الملك و الشّيطان، و اسباب غلبة كلٍّ منهما داخلة و خارجة كثيرةٌ مثل اختلاف الاستعدادات بالذّات و تخيّل المتخيّلات الممدّة لكلّ و مدد مركب النّفس بالاغذية المباحة او المشتبهة و الاغذية المأكولة على تذكّر و جمعيّة البال، او على غفلةٍ و تفرقة، و مثل ادراك مدركٍ موافقٍ لكلّ بالمدارك الظّاهرة، و المجالسة مع الاخيار و

الاشرار و الاشتغال بأعمال الابرار و الفجّار و غير ذلك و تصرّف الشّيطان فى اغلب النّاس بالغلبة عليهم بحيث يصدر افعالهم من الشّيطان او بمشاركته من غير استشعارٍ لهم بذلك مع بقاء العقل الّذى هو مناط تدبيرهم و كونه خادماً للشّيطان، و قد يغلب على بعض بحيث يذهب العقل منه فان كان فى قلبه و مداركه قويّاً يبقى الشّعور له و الاّ يغشى عليه، و قد يظهر صورة الجنّ عليه فى حال ذهاب العقل شاعراً او مغشيّاً عليه و قد لايظهر او لايستشعر، و قد يخبر بالامور الغائبة ابتداءً و قد يستنطق عن المغيبات و يستخبر فى خبر شاعراً او غير شاعرٍ، و قد يقع المناسبة بينه و بين الارواحم الخبيثة بحيث يشاهد عالمها و يشاهد صور عال الطّبع فيه من دون زوال عقله فيخبر بالمغيبات و الاتيات، او يظهر عليه بعض من الشّياطين و الجنّة فيخبره بخبر السّماء و الارض فيغترّ بأنّه من عالم الارواح الطيّبة و قد زعم المغترّون بهذا العالم و أهله انّ عالم الارواح واحد و انّ طريق الوصول اليه متعدّد و انّ اقرب الطّرق للوصول اليه طريق الرّياضات الغير الشّرعيّة و ارتكاب منافيات الشّرائع الالهيّة من سفك الدّماء المحرّمة و خصوصاً دم الانسان و شربها و الزّنا لاسيّما مع المحارم و انهتاك حرمة الكتب السّماويّة، و ما اشتهر منهم من تعليق القرآن و سائر الكتب السّماويّة فى المزابل صحيح، و قد يظهر أنواع الخوارق و الاخبار بالمغيبات و الاتيات منهم، و عن الباقر عليه السلام فى بيان ماذكر انّه ليس من يومٍ و لاليلةٍ الاّ و جميع الجنّ و الشّياطين تزور ائمّة الضّلالة و يزور امام الهدى عددهم من الملائكة حتّى اذا اتت ليلة القدر فيهبط فيها من الملائكة الى ولىّ الامر خلق الله او قال قيّض الله عزّ و جلّ من الشّياطين بعددهم ثمّ زاروا ولىّ الضّلالة فأتوه بالافك و الكذب حتّى يصبح فيقول: رأيت كذا و كذا فلو سأل ولىّ الامر عن ذلك لقال رأيت شيطاناً اخبرك بكذا و

كذا حتّى يفسّر له تفسيراً و يعلمه الضّلالة الّتى هو عليها، و هؤلاء لا يدخلون فى طريقهم من ارادوا ادخاله الاّ بعد أخذ الميثاق عنه بما هو مقرّر عندهم، و هكذا الحال فى انواع تصرّف الملائكة و غلبتهم، و قد قال المولوىّ ﷺ فى بيان غلبة الشّياطين و الملائكة:

عقل خود شحنه است چون سلطان رسيد
شحنه‌ى بى‌چاره در كنجى خزيد
چون پرى غالب شود بر مردمى
گم شود از مرد وصف مردمى
هر چه گويد او پرى گفته بود
زين سرى نه زان سرى گفته بود
چون پرى را اين دم و قانون بود
كردگار آن پرى خود چون بود

و انكار الفلاسفة لذوات الجنّة و الشّياطين و تأويلهم لها غير مسموع فى مقابل المشهود، و عن الصّادق عليه السلام انّ رسول الله صلى الله عليه و آله قال لمّا اسرى بى الى السّماء رأيت قوماً يريد احدهم ان يقوم فلا يقدر ان يقوم من عظم بطنه فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ـ قال: هؤلاء الّذين يأكلون الرّبوا لا يقومون الاّ كما يقوم الّذى يتخبّطه الشّيطان من المسّ و اذا هم بسبيل آل فرعون يعرضون على النّار غدوّاً و عشيّاً يقولون ربّنا متى تقوم السّاعة، و فى خبر: آكل الرّبوا لا يخرج من الدّنيا حتّى يتخبّطه الشّيطان، او المقصود انّ آكل الرّبوا لا يكون فى الدّنيا الاّ كالمجنون فانّ المجنون أفعاله و أقواله خارجة عن ميزان عقل المعاش و هو خارج عن ميزان عقل المعاد، فلا فرق بينهما الاّ بشىءٍ غير معتدٍّ به [ذَٰلِكَ] الأكل منهم بواسطة مغلطةٍ وقعت منهم او ذلك العقاب لهم

[بِأَنَّهُمْ] قاسوا الربوا بالبيع حيث رأوا جواز البيع بضعفي القيمة السوقيّة للسّعلة فقاسوا هذا البيع في زيادة الثّمن عن قيمة السّعلة بالبيع الرّبوىّ في زيادة العوض عن اصل المال و [قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ] بزيادة الثّمن [مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ] في الزّيادة فيصحّ الرّبوا كما يصحّ هذا البيع فالتّشبيه انّما وقع في زيادة العوض و الاصل في لذلك هو الرّبوا لافي الصّحة حتّى يرد انّ الاصل في الصّحة هو البيع فينبغي ان يقول انّما الرّبوا مثل البيع و انّما شبّه البيع بالزّيادة عن القيمة بالرّبوا كناية عن تشبيه الرّبوا بالبيع في الصّحة ليكون ابلغ فأبطل تعالى قياسهم بقوله تعالى [وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ] حال بتقدير قد او عطف [وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ] يعنى انّ الصّحة و الفساد ليسا بالتماثل في الصّورة انّما هما بأمر الله و نهيه، قيل: كان الرّجل منهم اذا حلّ دينه على غريمه فطالبه به قال المطلوب منه: زدني في الاجل و ازيدك في المال فيتراضيان عليه و يعملان به، فاذا قيل لهم: هذا ربواً قالوا: هما سواءٌ يعنون بذلك انّ الزيادة في الثّمن حال البيع و الزّيادة فيه بسبب الاجل عند محلّ الدّين سواء. اعلم انّهم كانوا في الجاهليّة يتّجرون ويستربحون بان يدينوا مالاً الى اجل بربحٍ معلومٍ كما هو ديدن اهل زماننا و كانوا يقولون: هذا الرّبح عوض تعطيل مالناً عن التّجارة، او يدينوا جنساً من مثل الحنطة و الشّعير الى اوان بلوغه بازيد من ذلك الجنس و كانوا يقولون ان كان قيمته عشرة معجّلاً صحّ ان نبيعه بخمسة عشر مؤجّلاً فصحّ ان نقرضه عشرةً بخمسة عشر مؤجّلاً، و لمّا كان في ذلك الاتّكال على الرّبح و ترك التّوكّل على الله و تعطيل الاعضاء و القوى عن الحركة في طلب المعاش الّتى هى اعظم اقسام العبادات و تعطيل النّفس عن التّضرّع و الالتجاء الى الله و المسئلة منه و اضرار المدين بأخذ ماله بلا عوضٍ و ترك اصطناع المعروف بالقرض الحسن و كلّ ذلك كان مخالفاً لما اراده

تعالى من عباده نهى الله تعالى عنه و شدّد على فاعله، و فى الخبر درهم ربوا اشدّ عندالله من سبعين زنيةً كلّها بذات محرمٍ، و فى خبرٍ زيد: فى بيت الله الحرام، و عن اميرالمؤمنين عليه السلام: لعن رسول الله صلى الله عليه و آله الرّبوا و آكله و بائعه و مشتريه و كاتبه و شاهديه، و قدذكر فى الاخبار طريق الفرار من الرّبوا و ماتداولوه من المبايعة على شىءٍ و جعل الرّبح اجرة ذلك الشّىء او نقله بصلحٍ و نحوه نحو فرار صحيح، و ما قالوا: انّ العقود تابعة للقصود و ليس المقصود من ذلك الاّ تصحيح الرّبوا فليست المبايعة صحيحة غير صحيح لانّ قصد الفرار من الرّبوا بالعقد قصد صحيح للعقد مأذون فى الشّريعة نعم اذا كانت المرابحة خارجة عن قانون الانصاف كانت من هذه الجهة مذمومةً و ممحوقةً و ما يشاهد من محق اموال المرابحين انّما هو لعدم مبالاتهم بالمبايعة و قولهم: انّما البيع مثل الرّبوا، اولخروجهم عن قانون الانصاف [فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ] الموعظة التّذكير بمايلين القلب و الزّجر عمّا يقسى القلب [مِّن رَّبِّهِۦ فَانتَهَىٰ] عمّا نهى عنه [فَلَهُۥ مَا سَلَفَ] ممّا أخذ من الرّبوا يعنى انّ الانتهاء عندبلوغ نهى الله اليه محلّل لما أخذه قبل ذلك، و لا يستردّ منه شىء و هذا يدلّ على انّ من لم يعلم التّحريم و أخذ فاذا علم كان المأخوذ حلالاً و فى الخبر عنهما عليهما السلام: انّ الموعظة التّوبة لكنّ المراد بها التّوبة عمّا فعل بجهالة لاالتّوبة عمّا فعل عن علم، فانّه لايكون التّوبة محلّلاً لما أكله من مال الغير محرّماً [وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ] لاالى الحكّام حتّى يحكموا عليه بردّ ما اخذه قبل الموعظة [وَمَنْ عَادَ] الى الرّبوا بعد ماجاءه الموعظة [فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ] و فى الخبر: الرّبوا كبيرة بعد البيان، و الاستخفاف بذلك دخول فى الكفر، قيل: أكل الرّبوا اسوء حالاً من جميع مرتكبى الكبائر لانّه معتمد فى رزقه على نفسه و تعيينه، محجوب عن

ربّه، غير متوكّل عليه، و مع ذلك يرى انّه محسن فى فعله مع انّه مخالف لرّبه و يوكلّه الله فى الدّنيا الى نفسه و تعيينه، و لذاترى اموالهم ممحوقةً فى حيوتهم او بعد مماتهم [يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ] يمحوه يعنى المال الحاصل من نفس الرّبوا، او المال الّذى فيه الرّبوا، و افناء المال الرّبوىّ مشهود و ان خذل الله واحداً من النّاس و لم يمحق ماله الرّبوىّ يمحق دينه ثمّ يمحق بعده ماله، و نسب الى الصّادق عليه السلام انّه قيل له: قد رأى من يأ كل الرّبوا يربو ماله فقال: فأىّ محق امحق من درهم ربوا يمحق الدّين و ان تاب منه ذهب ماله و افتقر [وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ] يعنى فى الاخرة او يربى عوضها فيما اخرجت منه، و فى الاخبار اشارة اليهما ففى حبرٍ انّ الله يأخذه يعنى مال الصّدقة بيده و يربيه كما يربى احدكم ولده حتّى تلقاه يوم القيامة و هى مثل أُحدٍ، و فى خبر آخر: ما نقص مال من صدقةٍ [وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ] بأمر الله و نهيه و القيد الواقع فى سياق النّفى قد يعتبر قيداً للنّفى و قد يعتبر قيداً للمنفىّ وارداً عليه النّفى و التّقييد بالكلّ ههنا من قبيل الاوّل [أَثِيمٍ] منهمك فى ارتكاب مناهيه [إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ] بالبيعة العامّة فيكون قوله تعالى [وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ] اشارة الى الايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الخاصّة الولويّة فانّ الولاية الّتى هى البيعة الخاصّة اصل جميع الصّالحات و لاصالح الاّ بها و لافاسد معها، و منها الايتمار بالاوامر و الانتهاء عن المنهيّات [وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] قد مضى الاية بتمام اجزائها فى اوّل السّورة [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ] بعد ما ذمّ الرّبوا و اهله و مدحم الايتمار بالاوامر و الانتهاء عن المناهى نادى المؤمنين تلطّفاً بهم حتّى يجبر كلفة النّهى بلذّة المخاطبة [ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ] اى سخطه فى مخالفة جميع اوامره و نواهيه خصوصاً

فى الرّبوا [وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ] يعنى لاتردّوا ما أخذتم منه ولكن مابقى منه على المدينتين فلا تطالبوه [إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ] شرط تهييجىّ، فى الخبر: انّ الوليد بن المغيرة كان يربى فى الجاهليّة و قد بقى له بقايا على ثقيف فأراد خالد بن الوليد المطالبة بعد ان أسم فنزلت [فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ] ترك ما بقى من الرّبوا [فَأْذَنُواْ] اى اعلموا [بِحَرْبٍ] عظيمة [مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ] و هذا غاية التهديد قلّما يهدّد بمثله [وَإِن تُبْتُمْ] بعد ماعلمتم بالحرب من مطالبة ما بقى من الرّبوا و اعتقاد حلّه [فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ] ليس للمدينين ان يحاسبوا رؤس الاموال فيما أخذتموه من الرّبوا قيل البيّنة [لَا تَظْلِمُونَ] بأخذ الزّيادة على رأس المال [وَلَا تُظْلَمُونَ] بنقصان رأس المال [وَإِن كَانَ] اى وجد [ذُو عُسْرَةٍ] فى غرمائكم [فَنَظِرَةٌ] فله امهال [إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ] قرئ بكسر السّين و ضمّها و بتاء التّأنيث و قرئ بضمّ السّين و اضافتها الى الهاء [وَأَن تَصَدَّقُواْ] على الغريم مليّاً كان او ذاعسرةٍ او على ذى العسرة بابرائه من الدّين [خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ] شرط تهييجىّ او تقييد لخيريّة التصدّق فانّ الجاهل مطالبته و تصدّقه كلاهما و بال عليه، اوالمعنى ان كنتم تعلمون انّ التصدّق خير لكم تصدّقتم، و الاخبار فى فضل انظار المعسر و فضل التّصدّق عليه كثيرة [وَٱتَّقُواْ] عطف على نظرة فانّها بمعنى أنظروه، و المقصود التّقوى عن المداقّة فى المحاسبة و التعنيف فى المطالبة خوفاً من مداقّة الله فى المحاسبة يوم يكون النّاس اشدّ اعساراً من كلّ معسر كأنّه قال، تساهلوا فى المحاسبة فى المحاسبة مع المعسر و اتّقوا بذلك مداقّة الله معكم [يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ] بنقص الجزاء او تضعيف العقاب، نقل انّها آخر آيةٍ نزل بها جبرئيل [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوٓاْ] بالايمان العامّ و البيعة النّبويّة و قبول الدّعوة الظّاهرة فانّ الاحكام الشرعيّة القالبيّة كلّها متوجّهة الى المسلمين بالبيعة العامّة [إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ] تداين القوم دان بعض و استدان آخر، او دان كلّ من الاخر، او تعاملوا بنسيئةٍ يعنى اذا دان بعض منكم و استدان آخر، او اذا وقع منكم معاملة بنسيئة و على هذا فالامر بالكتابة عامّ للداين و المدين و لغيرهم، امّا للدّاين و المدين فلرفع التّخالف و الاشتباه، و امّا لغير هم فللاعانة على البرّ و التّقوى، و ذكر الدّين امّا للامتياز عن التّداين بمعنى المجازاة، او لكون التّداين بمعنى مطلق المعاملة، او لابتناء الكلام على التّجريد و الدّين خاصّ بالقرض المؤجّل او هو بمعنى مطلق القرض فقوله تعالى [إِلَىٰٓ أَجَلٍ] امّا للتأكيد، او مبتنٍ على التّجريد، او على اعتبار كون الدّين بمعنى مطلق القرض [مُّسَمًّى] معيّن [فَاكْتُبُوهُ] ليكون ابعد من الاشتباه و الاختلاف و اضبط لقدر الدّين و مدّته [وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِالْعَدْلِ] الباء للالة و العدل صفة للقلم المقدّر اى بالقلم العدل فانّه ينسب الاعوجاج و الاستقامة الى القلم و الظّرف متعلّق بكاتب او بليكتب، او الباء للالة، و العدل بمعنى استواء الميل الى الطّرفين او بمعنى حفظ الحقوق، او الباء للملابسة، و الظّرف مستقرّ صفة لكاتب [وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ] احد من الكاتبين [أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ] اى كتابة مثل كتابة علّمها الله و هى الكتابة بالعدل او كتابة تماثل تعليم الله الكتابة له، او مطلق تعليم الله له يعنى يكون تعليم الله نصب العين فى الكتابة حتّى يكون الكتابة شكراً لتعليمة و هذا المعنى يفيد التعليل فيكون المعنى: و لا يأب كاتب ان يكتب لاجل تعليم الله [فَلْيَكْتُبْ] و للاهتمام بالكتابة أكّدها بالامر به اربع مرّات [وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ] لانّه المقرّ المشهود عليه [وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ] فى تلقين ما يضرّ بصاحب الحقّ [وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ]

لاينقص من الحقّ او ممّا املى [شَيْئًا فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا] محجوراً عليه [أَوْ ضَعِيفًا] غير محجور عليه لكن لا يميز بين الالفاظ الّتى هى عليه و له كما ينبغى [أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ] تأكيد للمستتر و فائدته نفى الاستطاعة عنه نفسه لاعمّن يقوم مقامه [فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُو] اى ولىّ الّذى عليه الحقّ او ولىّ الحقّ [بِالْعَدْلِ وَٱسْتَشْهِدُوا۟] ادب آخر للمعاشرة و المعاملة فانّه اذا كانت المعاملة و المداينة بالاستشهاد، لم يقع اشتباه و اختلاف بين المعاملين [شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ] بالغين مسلمين حرّين، امّا البلوغ فيستفاد من مفهوم الرّجل، و امّا الاسلام فيستفاد من اضافة الرّجل، و كذا الحرّيّة هكذا فسّر الاية، و نسب الى تفسير الامام عليه السلام: لكن اذا تحمّل العبد الشّهادة فشهادته مسموعة اذا كان مسلماً [فَإِن لَّمْ يَكُونَا] اى الشّاهدان [رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ] اى فليكن رجل [وَٱمْرَأَتَانِ] شهداء او فليشهد رجل او فالشّاهد رجل و امرأتان [مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ] يعنى ممّن ترضون دينه بان يكون على دينكم، و صلاحه بان يكون عادلاً مأموناً، و بصيرته بالامور بان لايكون ممّن يخدع [أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا] علّة لاعتبار امرأتين مقام رجل واحد [فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ] و كيفيّة شهادات الرّجال و النّساء بالانفراد او بالانضمام و محلّها و مقبولها و مردودها و اعتبار عدد الشّهود مذكورة فى الكتب الفقهيّة [وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ] اى من كان اهلاً ليحمل الشّهادة [إِذَا مَا دُعُوا۟] لتحملها او من كان متحمّلاً اذا دعوا لادائها، او المراد بالشّهداء معنى اعمّ منهما، و قد اشير فى الاخبار الى كلّ منهما، و فى بعضها انّ المراد اذا دعوا للتحمّل، و امّا حرمة الاباء عن الاداء فتستفاد من قوله: و من يكتمها فانّه آثم قلبه [وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟] ايّها المتداينون و الشّهداء و الكتّاب [أَن

تَكْتُبُوهُ] اى الدّين او الحقّ او الكتاب نهى المتداينين عن السّأمة لانّ الكتابة حقّهم، و نهى الشّهداء و الكتّاب لانّ الكتابة من المعاونة على البرّ و التّقوى [صَغِيرًا] كان [أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ] متعلّق بمحذوفٍ حال عن الحقّ اى موقّتاً الى اجله فيكون اشارة الى تعيين الحقّ و مدّته فى الكتابة، او متعلّق بقوله تكتبوه اى لاتسأموا ان تكتبوه من جميع علاماته و معيّناته الى اجله او متعلّق بلاتسأموا اى لاتسأموا من اوّل وقوعه الى اجله من الكتابة [ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ] اى ابعد من الافراط بأخذ الوثيقة باضعاف الحقّ مع الكتاب و من التّفريط باهمال الكتابة و الاشهاد [وَأَقْوَمُ] من قام المرأة بمعنى كفى امورها اى اكفى [لِلشَّهَٰدَةِ] من تذكّر دقائقها و قدر الحقّ و مدّته و غير ذلك [وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً] استثناء مفرّغ من قوله تعالى: فاكتبوه اى فاكتبوا الدّين فى كلّ حال الّا ان تكون التّجارة تجارة [حَاضِرَةً] على قراءة نصب تجارة و تقدير اسم تكون ضميراً راجعاً الى التّجارة المذكورة بالتضمنّ، او الاّ ان تكون تجارة حاضرة [تُدِيرُونَهَا] على قراءة الرّفع و تقدير تجارة فاعل تكون تامّاً او اسمه ناقصاً و كون تديرونها خبره، و يجوز ان يكون عامل المستثنى محذوفاً جواباً لسؤال تقديره كلّ تجارة تكتب الاّ ان تكون التّجارة تجارة حاضرة تديرونها [بَيْنَكُمْ] و توصيف التّجارة بالحضور و بالادارة من قبيل الوصف بحال المتعلّق اى حاضراً ما به التّجارة و تديرون ما به التّجارة، او المراد بالتّجارة ما به التّجارة و معنى الادارة يأخذ البائع الثّمن من المشترى و المشترى المبيع من البائع [فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا] و هذا يدلّ على انّ الاوامر السّابقة كانت للوجوب [وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ] فانّه ادفع للنّزاع و امنع لمكرالماكرين [وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ] نهى محتمل لبناء

الفاعل و لبناء المفعول و المعنى لا يضرّ الكاتب و لاالشّهيد بالدّائن و لابالمديون او لا يضرّ الدّائن و لاالمديون بالكاتب و الشّهيد حين الدّعاء للكتابة او تحمّل الشّهادة او ادائها بتعطيل وقت الكتاب و الشّهود عن معيشتهم من غير جعل و على هذا لم يكن الجعالة على الكتابة و الشّهادة اذا كانتا ممّا يستحقّا عليهما جعالة حراماً، او بتعطيل ايديهم عن اشغالهم الّتى يتضرّرون بتركها [وَإِن تَفْعَلُواْ] المضارّة عوقبتم [فَإِنَّهُو فُسُوقُۢم بِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ] فى المضارّة او فى جملة أوامره و نواهيه [وَ يُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ] امثال هذه الواو ممّالا يمكن جعلها و او العطف لعدم ما تعطف عليه فى الكلام؛ او لعدم ارادة معنى العطف منها، و لاجعلها بمعنى مع لعدم انتصاب المضارع بعدها جعلوها و او الاستيناف مثل لنّبين لكم و نقّر فى الارحام، و مثل لاتأكل السّمك و تشرب اللّبن، على رفع تشرب و المقصود من جعلها للاستيناف انّها ليست من حيث اللّفظ مرتبطة بسابقتها لانّها من حيث المعنى منقطعة عمّا قبلها فانّ المعنى فى مثل لاتأكل السّمك و تشرب اللّبن على النّهى عن الجمع بين أكل السّمك و شرب اللّبن سواء كان تشرب بالرّفع او بالنّصب و هذا المعنى لا يستفاد الاّ اذا كانت الواو بمعنى مع لكن لم يقدّر بعدها ان اذا كان مابعدها مرفوعاً كما يقدّر فى صورة النّصب و مثلها الواو ههنا فانّ هذه العبارة تفيد ترتّب العلم على التّقوى سواء قيل اتّقوا الله يعلّمكم الله ام و يعلّمكم الله بالنّصب او بالرّفع فالواو تفيد ههنا معنى المعيّة الّتى هى نحو معيّة الغاية للمغيّا، و لمّا لم يكن ما بعدها منصوباً على نحو الواو الّتى بمعنى مع قالوا انّها للاستيناف مثل حتّى الدّاخلة على المضارع المرفوع فانّه يقال انّها للاستيناف مع انّها مربوطة بما قبلها، و لمّا كان التّقوى بجميع مراتبها ادباراً عن النّفس الّتى هى معدن الجهل و اقبالاً على العقل الّذى هو باب العلم كانت مستلزمة

للعلم و ازدياده كما فى قوله تعالى: ان تتّقوا الله يجعل لكم فرقاناً و قوله: و من يتّق الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لا يحتسب [وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ] فيعلم منكم المضارّة و التّقوى؛ ترهيب و ترغيب، قيل فى سورة البقرة خمسمائة حكم، و فى هذه الاية خاصّة خمسة عشر حكماً [وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ] يعنى حين التّداين [وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا] يكتب لكم وثيقة [فَرِهَـٰنٌ] فالوثيقة رهان او يقدّر ما يناسب المقام مثل المأخوذ و مثله و قرئ رهن بضمّتين و رهن بضمّ الرّاء و اسكان العين و الجميع جمع الرهن [مَّقْبُوضَةٌ] و قد اتّفق الاماميّون على انّ شرط اللّزوم فى الرّهن القبض [فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا] فى السّفر او مطلقاً فى التّداين بترك الكتابة و ترك الرّهان او فى اعطاء الرّهان او فى مطلق الامانات [فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ] اى المديون او مطلق الامين [أَمَـٰنَتَهُۥ] دينه سمّاه امانة لائتمان الدّائن المديون عليه او مطلق الامانة [وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ] فى الخيانة و الخديعة [وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ] خاطب الشّهود [وَمَن يَكْتُمْهَا] من غير داعٍ شرعيٍّ مبيح لكتمانها [فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ] و فى نسبة الاثم الى القلب مبالغة فى الاثم فانّ الاثم من النّفس يظهر على الاعضاء و امّا القلب المقابل للنّفس فانّه برىءٌ من الاثم، و القلب بمعنى النّفس و ان كان منشأً للاثم لكن لا ينسب الاثم اليه بل الى الشّخص او الى اعضائه، و فى نسبته الى القلب ايهام انّ الاثم سرى من اعضائه الى نفسه، و منها الى قلبه البرئ من الاثم، و عن النّبىّ ﷺ انّه نهى عن كتمان الشّهادة و قال: من كتمها اطعمه الله لحمه على رؤس الخلائق و هو قول الله عزّ و جلّ: و لا تكتموا الشّهادة و من يكتمها فانّه آثمٌ قلبه [وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ] من اداء الامانة و الخيانة فيها و اداء الشّهادة و كتمانها [عَلِيمٌ] وعد و وعيد [لِّلَّهِ مَا فِى

ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ]مستأنف فى مقام التّعليل لاحاطة علمه [وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ]و منه ابداء الشّهادة ولكن لااختصاص له بها بل يجرى فى كلّ ما فى النّفوس من العقائد و النيّات و الارادات بل يجرى بوجه فى مكمونات النّفوس الّتى لاشعور لصاحبها بها و ابداء تلك المكمونات بظهورها على صاحبها و شعورهم بها [أَوْ تُخْفُوهُ] و منه كتمان الشّهادة و يجرى فى كلّ خطرة و خيال و نيّة و ارادة و شأن بل فى المكمونات الّتى لاشعور لصاحبيها بها ممّا بقى فى النّفوس قواها و استعداداتها و لم تصر بالفعل بعدُ حتّى يستشعر بها صاحبوها فانّها بمضمون اخرجت الارض اثقالها و يومئذ تحدّث اخبارها يوم القيامة يظهر جميع المكمونات و لا يعزب عنه تعالى شىءٌ منها [يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ]و ماورد فى الاخبار من عدم المؤاخذه على عزم المعاصى او على الخطرات او على الوسوسة انّما هو بحسب المؤاخذة الدّنيويّة و العقوبات الاخرويّة و لاينافى ذلك المحاسبة و عدم ارتفاع الدّرجة، و ماورد فى جواب من ذكر الخطرات من عدم استواء ريح الطيّب و ريح المنتن يدلّ على انّ فيها محاسبة ما، و عن رسول الله ﷺ: وضع عن امّتى تسع خصالٍ: الخطاء، و النّسيان، و ما لايعلمون، و لايطيقون، و ما اضطرّوا اليه، و مااستكرهوا عليه، و الطّيره، و الوسوسة فى التفكّر فى الخلق، و الحسد مالم يظهر بلسانٍ اويدٍ [فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ]قرئ بالرّفع و بالجزم مع الفاء و بدونه [وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ] ابتداء كلامٍ بل ابتداء آيةٍ منقطعةٍ عمّا قبلها كما سيجىء [بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ]و هذا تبجيل و تنصيص من الله على محمّد ﷺ بايمانه [وَٱلْمُؤْمِنُونَ]عطف على الرّسول او ابتداء كلام كما سيجىء [كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَ مَلَـٰٓئِكَتِهِۦ] من المقرّبين و الصّافّات صفاً و المدبّرات

امراً و اولى الاجنحة و الرّكّع و السّجّد ارضيّين كانوا امسماويّين [وَ كُتُبِهِ ى] من الكتاب المبين و الكتاب المحفوظ و كتاب المحو و الاثبات العلميّ و العينيّ [وَرُ سُلِهِ ى] من الملائكة و من البشر في الكبير و الصّغير [لَا نُفَرِّقُ] اى قائلين و قرئ لا يفرّق بالياء حملاً على لفظ كلّ و لا يفرّقون حملاً على معناه [بَيْنَ أَحَدٍ]اضافة بين الى احدٍ امّا لعمومه لوقوعه في سياق النّفى او لتقديره غيره معهاى بين احدٍ و غيره [مِّن رُّسُلِهِ ى] و المقصود عدم التّفريق في التّصديق لافي التّفصيل [وَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ]اغفر او نطلب غفرانك [رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ] اظهار لاقرارهم بالمعاد بعد اظهار اقرارهم بالمبدأ [لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا] بشيءٍ من تكاليف المعاد و المعاش و الجملة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: هل يخرجون من عهدة التّكليف بعد ما قالوا اسمعنا و أطعنا؟ـ فقال: لا يكلّف الله نفساً [إِلَّا وُسْعَهَا] حتّى لا يخرجوا من عهدته و يجوز ان تكون الجملة حالاً مفيدة لهذا المعنى و المراد بالوسع مايسعه قدرتهم و تفضل هى عنه [لَهَا مَا كَسَبَتْ] حال او جواب لسؤالٍ مقدّرٍ [وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ] يعنى انّ نفع حسناتها عائدةٌ اليها لاالى غيرها و كذا ضرّ سيّئاتها، و كسب المال بمعنى اصابه من غير اعتبار تعمّل في تحصيله بخلاف اكتسب فانّ المعتبر فيه التعمّل و الاجتهاد و استعمال الكسب في الطّاعات و المعاصى للاشارة الى انّ الحركات الصّادرة من الانسان بوفاق الامر الالهيّ و بخلافه مورثة لحصول شؤن نورانيّة او ظلمانيّة للنّفس هى كالاموال الحاصلة بالحركات المعاشيّة و استعمال الكسب فى جانب الخير للاشعار بانّ الانسان لمّا كانت فطرته فطرة الخير كان كلّما يحصل له من طريق الخير يبقى للنّفس و النّفس اذا خليّت و طبعها لا تتعمّل فى كسب الخير بخلاف الشّرّ فانّه اذا لم يتعمّل الانسان فى تحصيله لم يبق اثره

لنفسه و انّ النّفس اذا خليّت و طبعها لاتحصل الشّرّ الاّ بالتعمّل [رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ] جزء مقول المؤمنين و قوله تعالى: لايكلّف الله؛ كانت معترضة [إِن نَّسِينَآ] شيئاً من المأمور بها [أَوْ أَخْطَأْنَا] فى شيءٍ من المنهيّات، و الخطاء كالنّسيان يكون فى الفعل الّذى لم يكن الفاعل على عزيمة فيه [رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا] الاصر بالكسر العهد و الذنب و الثقل و قد يضمّ و يفتح فى الكلّ و المراد به هنا الثّقل او الحمل الثّقيل و حمل الاصر من الله عبارة عن التّكاليف الشاقّة الّتى كانت فى الامم السّالفة كما سيأتى و عن الواردات الّتى كان تحمّلها شاقّاً مثل الواردات الّتى كانت فى بنى اسرائيل على ما روى انّ القبطى كانوا يقيّدونهم بالاغلال ثمّ يكلّفونهم نقل الطّين و اللّبن على السّلاليم، و عن الواردات النّفسانيّة الّتى كان تحمّلها شاقّاً قبل الاسلام و الايمان من مهيّجات الغضب و الشّهوة و من المصائب الواردة [كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا] من الامم السّالفة و الجنود النّفسانيّة [رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ]من التّكاليف و البلايا الّتى هى فوق الطّاقة، و وجه استعمال التّحميل الدّالّ على المبالغة ههنا و الحمل الدّالّ على مطلق الحمل هناك يستفاد من مفعولهما [وَٱعْفُ عَنَّا] عفى عنه ذنبه ترك العقوبة عليه او طهّر القلب من الحقد عليه، و قد يستعمل العفو فى المحو و الامحاء [وَٱغْفِرْ لَنَا] و استر ذنوبنا عن خلقك او عن انفسنا لانتفاعنا [وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَـٰنَا]تعليل و استعطاف [فَانصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ] من الشّياطين الانسيّة و الجنيّه فى خارج وجودنا او داخله فانّه حقيق على المولى ان ينصر مواليه على اعدائه. و فى الاخبار انّ هذه الاية مشافهة الله لنبيّه ﷺ حين أسرى به الى السّماء فأوحى الى عبده ما اوحى فكان فيما اوحى اليه هذه الاية: لله ما فى السّموات و ما فى

الارض و ان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء و يعذّب من يشاء و الله على كلّ شيءٍ قدير وكانت الاية قد عرضت على الانبياء من لدن آدم عليه السلام الى ان بعث الله تبارك اسمه محمّداً صلى الله عليه و آله و عرضت على الامم فأبوا ان يقبلوها من ثقلها و قبلها رسول الله صلى الله عليه و آله و عرضها على امّته فقبلوها فلمّا رأى الله عزّ و جلّ منهم القبول على انّهم لا يطيقونها فلمّا ان سار الى ساق العرش كرّر عليه الكلام ليفهمه فقال آمن الرّسول بما انزل اليه فأجاب مجيباً عنه و عن امّته فقال: و المؤمنون كلّ آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله لانفرّق بين احدٍ من رسله. فقال جلّ ذكره لهم الجنّة و المغفرة على ان فعلوا ذلك. فقال النّبيّ صلى الله عليه و آله امّا اذا فعلت ذلك بنا فغفر انك ربّنا و اليك المصير يعنى المرجع فى الاخرة. قال فأجابه الله عزّ و جلّ و قد فعلت ذلك بك و بامّتك. ثمّ قال عزّ و جلّ امّا اذا قلبت الاية بتشديدها و عظم ما فيها و قد عرضتها على الامم فأبوا ان يقبلوها و قبلها امّتك فحقّ عليّ ان ارفعها عن امّتك. و قال: لا يكلّف الله نفساً الاّ وسعها لها ما كسبت من خير و عليها ما اكتسب من شرّ فقال النّبيّ صلى الله عليه و آله لمّا سمع ذلك امّا اذا فعلت ذلك بى و بأمّتى فزدنى. قال: سل. قال: ربّنا لا تؤاخذنا ان نسينا او أخطأنا. قال الله تعالى: لست اؤاخذ امّتك بالنّسيان و الخطاء لكرامة منك عليّ. و كانت الامم السّالفة اذا نسوا ماذ كّروا به فتحت عليهم ابواب العذاب و قد رفعت ذلك عن امّتك. و كانت الامم السّالفة اذا نواما ذ كّروا به فتحت عليهم ابواب العذاب و قد رفعت ذالك عن امتّك. و كانت الامم السّالفه اذا أخطأوا اخذوا بالخطاء و عوقبوا عليه؛ و قد رفعت ذلك عن امّتك لكرامتك عليّ فقال النّبيّ صلى الله عليه و آله: اللّهم اذا اعطيتنى ذلك فزدنى فقال الله تعالى له سل. قال: ربّنا و لا تحمل علينا اصراً كما حملته على

الّذين من قبلنا يعنى بالاصر الشّدائد الّتى كانت على من كان قلبنا فأجابه الله تعالى الى ذلك فقال تبارك اسمه: قد رفعت عن امّتك الاصار الّتى كانت على الامم السّالفة كنت لااقبل صلوتهم الاّ فى بقاع من الارض معلومة اخترتها لهم و ان بعدت و قد جعلت الارض كلّها لامّتك مسجداً و طهوراً؛ فهذه من الاصار الّتى كانت على الامم قبلك فرفعتها عن امّتك، و كانت الامم السّالفة اذا اصابهم اذى من نجاسة قرضوها من اجسادهم و قد جعلت الماء طهوراً لامّتك؛ فهذه من الاصار الّتى كانت عليهم فرفعتها عن امّتك، و كانت الامم السّالفة تحمل قرابينها على أعناقها الى بيت المقدّس فمن قبلك ذلك منه ارسلت اليه ناراًفأ كلته فرجع مسروراً، و من لم اقبل ذلك منه رجع مثبوراً و قد جعلت قربان امّتك فى بطون فقرائها ومساكينها فمن قبلت ذلك منه اضعفت ذلك له اضعافاً مضاعفة، و من لم اقبل ذلك منه رفعت عنه عقوبات الدّنيا و قد رفعت ذلك عن امّتك؛ و هى من الاصار الّتى كانت على الامم قبلك، و كانت الامم السّالفة صلوتها مفروضة عليها فى ظلم اللّيل و أنصاف النّهار و هى من الشّدائد الّتى كانت عليهم فرفعتها عن امّتك، و فرضت عليهم صلوتهم فى أطراف اللّيل و النّهار و فى اوقات نشاطهم (الى ان قال) و كانت الامم السّالفة حسنتهم بحسنة و سيّئتهم بسيّئةٍ و هى من الاصار الّتى كانت عليهم فرفعتها عن امّتك و جعلت الحسنة بعشر و السيّئة بواحدة، و كانت الامم السّالفة اذا نوى احدهم حسنة ثمّ لم يعملها لم تكتب له و ان عملها كتبت له حسنة و انّ امتّك اذا همّ احدهم بحسنة و لم يعملها كتبت له حسنة و ان عملها كتبت له عشر (الى ان قال) و كانت الامم السّالفة اذاهّم احدهم بسيّئة ثمّ لم يعملها لم تكتب عليه و ان عملها كتبت عليه سيّئةٌ، و انّ امّتك اذاهمّ احدهم بسيّئةٍ ثمّ لم يعملها كتبت له حسنة (الى ان قال) و كانت الامم السّالفة اذا اذنبوا كتبت ذنوبهم على ابوابهم

و جعلت توبتهم من الذّنوب ان حرّمت عليهم بعد التّوبة احبّ الطّعام اليهم و قد رفعت ذلك عن امّتك و جعلت ذنوبهم فيما بينى و بينهم و جعلت عليهم ستوراً كثيفة و قبلت توبتهم بلاعقوبة، و لااعاقبهم بان احرّم عليهم احبّ الطّعام اليهم، و كانت الامم السّالفة يتوب احدهم من الذّنب الواحد مائة سنة او ثمانين سنة او خمسين سنة ثمّ لااقبل توبته دون ان اعاقبه فى الدّنيا بعقوبة (الى ان قال) و انّ الرّجل من امّتك ليذنب عشرين سنة او ثلاثين سنة او اربعين او مائة سنة ثمّ يتوب و يندم طرفة عين فأغفر ذلك كلّه. فقال النّبىّ ﷺ: اللّهمّ اذا اعطيتنى ذلك كلّه فزدنى، قال: سل، قل: ربّنا و لاتحمّلنا ما لاطاقة لنا به قال تبارك اسمه: قد فعلت ذلك بك و بامّتك و قد رفعت عنهم عظيم بلايا الامم و ذلك حكمى فى جميع الامم ان لا اكلّف خلقاً فوق طاقتهم، قال: واعف عنّا و اغفر لنا و ارحمنا انت مولينا، قال الله عزّ و جلّ: قد فعلت ذلك بتائبى امّتك، قال: فانصرنا على القوم الكافرين قال الله جلّ اسمه انّ امّتك فى الارض كالشّامة البيضاء فى الثّور الاسود، هم القادرون و هم القاهرون و يستخدمون و لا يستخدمون لكرامتك علىّ و حقّ علىّ ان اظهر دينك على الاديان حتّى لا يبقى فى شرق الارض و غربها دين الاّ دينك او يؤدّون الى اهل دينك الجزية.

و الاخبار فى فضل هذه الاية و الّتى قبلها و انّهما من كنوز العرش كثيرة، و روى انزل الله آيتين من كنوز الجنّة كتبهما الرّحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بألفى سنة من قرأهما بعد عشاء الاخرة اجزئتاه عن قيام اللّيل، و فى رواية: من قرء الايتين من آخر سورة البقرة كفتاه.

سورة ءال عمران

و هی مدنيّة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[الٓمٓ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ] قد مضى اوّله فی اوّل سورة البقرة مفصّلاً و ما بعده فی آية الكرسیّ [نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ] من الكتب و الشّرائع [وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ] هو اسم لكتاب موسى عليه السلام اعجمیّ و دخول اللّام عليه لتعربيه، او هو عربیّ من وری الزند اذا ظهرت ناره، او من واراه اذا ستره؛ واصله و ورية مثل دحرجة مصدر الفعل الملحق بدحرج فأبدلت الواو تاء و الياء الفاً [وَٱلْإِنجِيلَ] بكسر الهمزة و فتحها و هو ايضاً عجمیّ و دخول اللّام لتعربيه او عربیّ مأخوذ من النّجل بمعنى الولد او الوالد او الرّمی بالشّیء، او العمل، او الجمع الكثير، او السّير الشّديد، او المحجّة او محو الصبیّ لوحه او من النّجل بالتّحريك بمعنى سعة العين [مِن قَبْلُ] ای قبل القرآن او هذا الزّمان [هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ] ای القرآن، و يعلم من هذا انّ المراد بالكتاب فی اوّل الاية جملة الكتاب الّتی نزلت على قلبه صلى الله عليه وآله فی ليلة القدر، او جملة احكام الرّسالة، او آثار الولاية الّتی فصّلت بالتّنزيل على مقام صدره و بالتّعبير بالعبارات النّفسيّة و اللّفظيّة بالفاظ الكتاب الالهیّ و الاخبار القدسيّة و النّبويّة فعلى هذا يكون الفرقان مصدراً بمعنى المفروق المفصّل او بمعنى الفارق المفصّل و قد فسّر فی اخبار كثيرة القرآن بجملة الكتاب، و الفرقان بالمحكم الواجب العمل به؛ و هو يشعر بما ذكرنا و قد مضى بيانٌ للقرآن و الفرقان و يستنبط ممّا ذكر وجه التّعبير بالتّنزيل فی تنزيل الكتاب و بالانزال فی انزال

التّوراة و الانجيل و الفرقان؛ فانّ نزول الكتاب كان من مقام الاطلاق الى مقام التّقييد و كان محتاجاً الى كثير تعمّل من جانب القابل المستعدّ لنزوله بخلاف نزول التّوراة و الانجيل و الفرقان فانّها نزلت من مقام التّقييد الاجماليّ الى مقام التّقييد التّفصيليّ فلم تكن محتاجة الى كثير تعمّل و لذلك لم يأت فيها بالتّنزيل الدّالّ على المبالغة و لمّا صار المقام مقام السّؤال عن حال من كفر بالكتب اجاب تعالى بقوله [إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ] مؤكّداً بالتّأكيدات، و الايات اعمّ من الايات الانفسيّة و الافاقيّة و التّدوينيّة فانّ شؤنات النّفوس و وارداتها الجسمانيّة و النّفسانيّة و موجودات العالم الكبير كلّها آيات جماله و جلاله تعالى، و المراد بالكفر بالايات الكفر بها من حيث كونها آياتٍ لا من حيث ذواتها فى انفسها فانّ كثيراً من الكافرين بالايات مشاهدون لذواتها غير ساترين لها مع انّهم كافرون بها من حيث انّها آيات [وَٱللَّهُ عَزِيزٌ] جملة حاليّة او معطوفة فى مقام التّعليل و التّأكيد و معنى عزّته تعالى انّه لا يمنعه مانع من مراده [ذُو ٱنتِقَامٍ] من شأنه الانتقام ممّن خالفه و عصاه [إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ] استيناف فى مقام التّعليل او جواب للسّؤال عن علمه تعالى بهم و بكفرهم كأنّه قيل: هل يعلم كفرهم؟ـ فقال انّه لا يخفى [عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ] اى فى جملة ما سوى الله لانّ الارض تعمّ العوالم الثّلاثة: عالم الاقدار النّورانيّة و الاقدار الظّلمانيّة و الاجساد الطّبيعيّة، و السّماء تعمّ الارواح المدبّرة و الارواح المجرّدة [هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ] حال او مستأنف جواب لسؤالٍ تقديره؛ هل يعلم بواطن الاشياء فيهما؟ـ او جواب لسؤالٍ عن علّة اثبات الحكم يعنى انّه يعلم ظواهر ما فى العالم لانّه هو الّذى يصوّركم [فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ] فهو يعلم بواطن الاشياء و مالم يوجد بعد فكيف لا يعلم ظواهرها الّتى

وجدت فى العالم، و لااختصاص للارحام بأرحام الامّهات الجسمانيّة فانّ النّفوس الحيوانيّة و البشريّة ارحام للّطيفة السيّارة الانسانيّة الّتى يكون خطاب الله متوجّهاً اليها بل الموادّ البعيدة من الحبوب و اللّحوم و البقول و الفواكه الّتى تصير اغذية الاناسىّ و الكيلوس و الكيموس و الدّماء الجارية فى العروق و الاعضاء و الدّماء المتشبّهة بالاعضاء ارحام للنّطف الّتى هى فى المراتب الجنينيّة ارحام للنّفوس الحيوانيّة و البشريّة و اللّطيفة الانسانيّة و المراتب العالية للنّفس الانسانيّة كلّ بوجه رحم للاعلى منها و لذلك فسّر البطن فيماورد من، انّ السّعيد سعيد فى بطن امّه؛ بالولاية. فانّ الانسان مالم يدخل تحت الولاية التّكليفية بالبيعة الخاصّة الولويّة و قبول الدّعوة الباطنة حاله حال النّطفة فى صلب الرّجل و بعد الدّخول فى الولاية بالبيعة الخاصّة حاله حال النّطفة المستقرّة فى الرّحم و لا يظهر السّعادة و الشّقاوة الاّ بعد الدّخول فى الولاية، و لذلك كان علىّ عليه السلام قسيم الجنّة و النّار، و من لم يدخل فى الولاية لايخرج من الدّنيا الاّ بعد عرض الولاية عليه و ظهور علىٍّ عليه السلام لديه حتّى ينكر او يقبل؛ فيشقى او يسعد، روى عن الصّادق عليه السلام: انّ الله اذا اراد ان يخلق خلقاً جمع كلّ صورة بينه وبين آدم عليه السلام ثمّ خلقه على صورة احديٰهنّ فلايقولنّ احدهذالايشبهنى و لايشبه شيئاً من آبائى، و فى حديث خلق الانسان و تصويره فى الرّحم؛ ثمّ يبعث الله ملكين خلاّقين يخلقان فى الارحام ما يشاء الله يقتحمان فى بطن المرأة من فم المرأة فيصلان الى الرّحم و فيها يعنى فى النّطفة الرّوح القديمة المنقولة فى اصلاب الرّجال و ارحام النّساء فينفخان فيها روح الحيوة و البقاء و يشقّان له السّمع و البصر و جميع الجوارح و جميع ما فى البطن باذن الله تعالى ثمّ يوحى الله الى الملكين:ا كتبا عليه قضائى و قدرى و نافذ أمرى و اشترطا لى البداء فيما تكتبان، فيقولان: يا ربّ مانكتب؟ـ قال:

فيوحى الله عزّ و جلّ اليهما: ان ارفعا رؤسكما الى رأس أمّه فيرفعان رؤسهما فاذا اللّوح يقرع جبهة أمّه فينظر ان فيه فيجد ان فى اللّوح صورته و زينته و اجله و ميثاقة شقيّاً او سعيداً و جميع شأنه، قال: فيملى احدهما على صاحبه فيكتبان جميع ما فى اللّوح و يشترطان فيه البداء فيما يكتبان ثمّ يختمان الكتاب و يجعلانه بين عينيه ثمّ يقيمانه قائماً فى بطن امّه قال: فربّما عتا فانقلب و لايكون ذلك الاّ فى كلّ عاتٍ او ماردٍ، و اذا ابلغ اوان خروج الولد (الى ان قال) فيزجره الملك زجرة فيفرغ منها الولد فينقلب فيصير رجلاه فوق رأسه و رأسه فى اسفل البطن ليسهّل الله على المرأة و على الولد الخروج؛ الى آخر الحديث. و اقتحام الملكين من فم المرأة كناية عن دخولهما عن الجهة الّتى بها بقاء الامّ و هى الجهة الغيبيّة و الاّ فلا جهة لدخول الملك و خروجه فى عالم الطّبع لانّه خارج عن الجهات فلا يتحدّد بالجهات، وكتابة القضاء و القدر من اللّوح القارع جبهة الامّ كناية عن استنباط احوال ما بالقوّة عن المحلّ الّذى تلك القوّة فيه و تأثّر ما بالقوّة عن المحلّ باثاره، و اشتراط البداء لكون ما بالقوّة قد يتأثّر من الاسباب الخارجة عن المحلّ [لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ] حال او مستأنف فى موضع التّعليل [ٱلْعَزِيزُ] الّذى لا يمنعه مانعٌ عن تصوير ما يشاء فى الرّحم [ٱلْحَكِيمُ] الّذى لا يصوّره الاّ بصورة اقتضاها استعداده و تستعقب مصالح عائدة اليها او الى العالم [هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ] حال او مستأنف و بيان لحكمته، و الكتاب ههنا عبارة عن جملة ما سوى الله فانّ ما سواه كتابه كما مضى فى اوّل الكتاب، و نزوله عبارة عن ظهوره على مقام محمّد ﷺ مقامه النّازل بصورٍ مناسبةٍ له فى ذلك المقام، او ظهوره على مقام رسالته ﷺ بما أرسل به من الاحكام، او ظهوره بالالفاظ و العبارات و النّقوش و الكتابات الّتى هى كتابه التّدوينىّ منه.

بيان المحكم و المتشابه

[مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ] احكم الامر و البناء اتقنه بحيث لايتطرّق الانثلام و الزّوال اليه، و احكم الحكم اتقنه بحيث لايتطرّق المحو و النّسخ اليه، و احكم اللّفظ اتقنه بحيث لايتطرّق الاحتمال اليه، والمتشابه فى كلّ من هذه مقابل المحكم وكلّما ورد من المعصومين عليهم السلام و نقل من غيرهم فى بيان المحكم والمتشابه راجع الى هذه المعانى، و الكتاب التّكوينىّ الكبير آياته العقلانيّة و النّفسانيّة من حيث وجوهها العقلانيّة محكماتها و اصول متشابهاتها و آياته العينيّة الطّبيعيّة و العلميّة الملكوتيّة العالية و السّافلة من حيث تطرّق المحو و الزّوال اليها مشتابهاتها، و الكتاب التّكوينىّ الانسانىّ المختصر من الكتاب الكبير؛ آياته الرّوحيّة والعقليّة محكماته، و آياته النّفسيّة و الطّبيعيّة متشابهاته، و من حيث نشأته العلميّة علومه العقلانيّة محكماته لعدم تطرّق و الزّوال اليها و عدم تخلّف معلوماتها عنها؛ لانّ معلوماتها من حيث انموذجاتها نفس تلك العلوم و علومه النّفسانيّة كلّيّاتها و جزئيّاتها تصديقاتها و تصوّراتها يقينيّاتها و ظنيّاتها متشابهاته لانمحائها عن النّفس و مغايرتهالمعلوماتها و جواز تخلّف معلوماتها عنها و لذلك سميّت بالظّنّون، و من حيث افعاله الاراديّة جميع افعاله و اقواله و خطراته و لمّاته متشابهاته لزوالها و عدم بقائها، و من جهةٍ اخرى ماكان صدورها عن الله تعالى و رجوعها اليه تعالى معلوماً محكماته، و ماكان صدورها من الله غير معلوم او صدورها من الشّيطان معلوماً متشابهاته، و هكذا حال ماكان رجوعه الى الله معلوماً؛ و حال مالم يكن رجوعه الى الله معلوماً، و من الاحكام التكليفيّة مالم يتطرّق النّسخ اليه كان محكماً، و ماكان منسوخاً او يتطرّق النّسخ اليه كان متشابهاً، و ماكان عامّاً جارياً على كلّ مكلّفٍ كان محكماً، و ماكان خاصّاً غير

جار على كلّ مكلّف كان متشابهاً، و من الكتاب التدوينيّ ما كان واضح الدّلالة غير محتمل غير مدلوله او ما كان ناسخاً او ما كان حكمه عامّاً او ما كان ثابتاً غير منسوخ او ما كان متعيّن التّأويل بعد تعيّن تنزيله كان محكماً، و ما كان خلاف ذلك كان متشابهاً، و لمّا كان عليّ عليه السلام بجميع اجزائه محكوماً بحكم الرّوح و راجعاً الى الله و متحقّقاً بالارواح العالية و مخالفوه بعكس ذلك صحّ تفسير المحكمات بعليٍّ عليه السلام و الائمّة عليهم السلام، و تفسير المتشابهات بمخالفيهم كما ورد عن ابى عبدالله عليه السلام فى قوله تعالى: منه آيات محكمات، و لمّا كان المحكمات اصلاً و عماداً للكتاب قال: [هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ] و لم يقل امّهات الكتاب مع انّ قياس الحمل على الايات يقتضى الجمع لانّه تعالى فرض المجموع المسمّى بالكتاب امراً وحدانيّاً و هذا الفرض يقتضى الوحدة فيما ينسب اليه لاالجمعيّة، و لانّ مجموع المحكمات من حيث الاجتماع يكون اصلاً واحداً للكتاب و ليس كلّ واحد منها اصلاً برأسه [وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ] ميل عن الحقّ و انحراف عن جهة القلب و الاخرة [فَيَتَّبِعُونَ] من العالم الكبير متشابهاته الّتى هى موجودات دار الدّنيا و زينتها الزّائلة الفانية بسرعةٍ، و التّى هى الشّهودات الفانية الممزوجة بالالام و الادراكات الشّيطانيّة و الافعال و الاقوال الزّائغة او المشتبهة بالزّائغة، و من الاحكام مشتبهاتها الموافقة لارائهم الكاسدة، او السّائغة التّأويل اليها، و من القرآن المتشابهات الموافقة لاوهامهم او الجائزة التّأويل اليها فهم يدعون المحكات من الكتاب و يتّبعون [مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ] شاعرين بالابتغاء او غير شاعرين؛ فانّ ابتغاء الفتنة كابتغاء مرضاة الله قد يكون من قصدٍ الهى و قد يكون من غير قصدٍ لانّ الواقعين فى دار النّفس و جهنّام الطّبع لايكون منهم الاّ افساد ارض العالم الصّغير او الكبير

و اهلاك حرثها و نسلها و بكلّ فعل او قول منهم يشتدّ ذلك الافساد، و ذلك الاشتداد هو الابتغاء للافساد سواء لم يكونوا شاعرين باصلاح و افساد او كانوا عالمين بانّه افساد قاصدين له، او كانوا ظانّين انّهم مصلحون غير مفسدين كما تفوّهوا و قال: انّما نحن مصلحون [وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ]الى ما يوافق آرائهم [وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ]جملة حاليّة على جواز دخول الواو على المضارع المنفيّ بما، او معطوفة و التّأويل امّا بمعنى المأوّل الهى او بمعناه المصدريّ يعنى لايعلم ما هو تأويله فى نفس الامر [إِلَّا ٱللَّهُ]اعلم أنّ تأويل الشّىء بمعنى ارجاعه لايصدق الاّ اذا اعيد الى ما منه بدئ، و لمّا كان مبدأ الكلمات الالهيّة التّكوينيّة و التّدوينيّة مقام ظهوره تعالى الّذى هو مقام المشيّة لم يكن يعلم تأويلها بنحو الاطلاق الاّ الله [وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ]رسوخاً تامّاً و هم الّذين بلغوا الى مقام المشيّة و ارتقوا عن مقام الامكان و هم محمّد ﷺ و اوصياؤه الاثنا عشر لاغيرهم كما بلغ الينا، و امّا غيرهم من الانبياء و الاولياء فلمّا لم يرتقوا عن مقام الامكان لم يعلموا تأويلها التّامّ بل بقدر مقامهم و شأنهم، و لمّا كانت الكلمات بوجه ناشئة عن مقام الغيب صحّ ان يقال: لايعلم تأويلها التّامّ الّا الله، و امّا الرّاسخون فى العلم فلا يعلمونه و [يَقُولُونَ] من باب التّسليم [ءَامَنَّا بِهِۦ] و على هذا فالوقف على الاّ الله و قوله الرّاسخون فى العلم ابتداء جملة اخرى فصحّ ان يقال: لايعلم تأويل القرآن الّا الله، او يقال:

علم تأويل القرآن منحصر فى النّبىّ ﷺ و الائمّة عليهم السلام و لايعلمه غيرهم، او يقال: علمه منحصر فيهم و فى خواصّ شيعتهم، و قد اشير الى كلّ من هذه فى الاخبار [كُلٌّ] من المحكم و المتشابه [مِّنْ عِندِ رَبِّنَا] فى خبر نحن الرّاسخون فى العلم، و فى روايةٍ، فرسول الله ﷺ افضل الرّاسخين، و فى خبر:

انّ الرّاسخين فى العلم من لا يختلف فى علمه، و فى خبر، ثمّ انّ الله جلّ ذكره بسعة رحمته و رأفته بخلقه و علمه بما يحدثه المبدّلون من تغيير كلامه قسّم كلامه ثلاثة اقسام: فجعل قسماً منه يعرف العالم و الجاهل، و قسماً لا يعرفه الاّ من صفا ذهنه و لطف حسّه و صحّ تميزه ممّن شرح الله صدره للاسلام، و قسماً لا يعرفه الاّ الله و انبياؤه و الرّاسخون فى العلم، و انّما فعل ذلك لئلاّ يدّعى اهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله ﷺ من علم الكتاب مالم يجعله لهم، و ليقودهم الاضطرار الى الايتمار عن ولاة امرهم فاستكبروا عن طاعته تعزّزاً و افتراء على الله عزّ و جلّ و اغتراراً بكثرة من ظاهرها و عاونهم و عاند الله جلّ اسمه و رسوله [وَمَا يَذَّكَّرُ] انّ فى الكتاب محكماً و متشابهاً، و انّ المتشابه لا يعلمه الاّ الله او من كان خليفة لله، و انّ الكتاب لا يتصوّر ايجاده و انزاله الاّ بالاشتمال على المتشابه.

بيان صيرورة الانسان ذالبّ

[إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ] الّذين صارت اعمالهم و علومهم ذوات الباب بتعقيد قلوبهم على الولاية على ايدى اولياء الامر كما مضى و هو معطوف من الله الحاكى على المحكيّ من قولهم، او هو من المؤمنين القائلين، و الاشكال بأنّ الاتيان بالكلام المتشابه المحتمل الوجوه غير ظاهر المرام ليس من دأب الحكيم ليس فى محلّه؛ لانّ المعنى ان كان من جنس المحسوسات و ممّا يدركه العوامّ يمكن الاتيان بالكلام نصّاً فى المرام و ما يمكن الاتيان به غير محتمل لغيره قد يؤتى به لاغراض صحيحة عقلانيّة محتمل الوجوه العديدة و قد عدّوا الاتيان بالكلام محتمل الوجهين و الوجوه من محسّنات الكلام وان كان من الامور الغيبيّة الّتى لاشبيه لها فى هذا العالم فانّها بمقدّراتها و مجرّداتها نورانيّة و ما فى هذا العالم بجملتها ظلمانيّة و لا مناسبة بوجه من

الوجوه بين النورانيّ و الظّلمانيّ بل النّورانيّ اذا ظهر افنى الظلمانيّ و لذلك قال تعالى: و لو انزلنا ملكاً لقضى الامر لانّ الموجودات النّورانيّة اذا ظهرت فى هذا العالم بوجوداتها افنت ما فيها لا يمكن التعبير عنها الاّ بالامثال، و التّصوير بالامثال لا يمكن الاّ بالعبارات المتشابهة المحتاجة الى التّأويل كالرّؤيا المحتاجة الى التّعبير فانّها تصوير ما فى ذلك العالم عند المدارك الاخرويّة بالامثال و ليست الاّ محتاجة الى التّعبير و لا يجوز ذلك التّأويل و هذا التّعبير الاّ من بصير ناقدٍ بوجوه المناسبة بين الامثال و الممثّل لها نسب الى اميرالمؤمنين عليه السلام انّه قال: اعلم انّ الرّاسخين فى العلم هم الّذين اغناهم الله عن الاقتحام فى السّدد المضروبة دون الغيوب فلزموا الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فقالوا: آمنّا به كلٌّ من عند ربّنا؛ فمدح الله عزّ و جلّ اعترافهم بالعجز عن تناول مالم يحيطوا به علماً و سمّى تركهم التعمّق فيمالم يكلّفهم البحث عنه منهم رسوخاً فاقتصر على ذلك و لا تقدّر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين [رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا] عن الاستقامة على طريق الاعتراف بالعجز فيما لا نعلم و ترك التّصرّف فى المتشابه الّذى لا نعلم تأويله و الاقرار بأنّه من عندالله الى التّصرّف فيما لا نعلم و التفوّه بالاراء و تأويل المتشابه من عند انفسنا و اتّباع ما يوافق منه اهواءنا [بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا] الى التّسليم و ترك الاستبداد بالاراء بقوبل الولاية و البيعة الخاصّة [وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ] سألوا الابقاء على التّبرّى و ازدياد التولّى؛ و الهبة الاعطاء من غير عوضٍ و هذا المعنى على التّحقيق خاصّ بالله او من تخلّق باخلاقه. عن الكاظم عليه السلام انّ الله قد حكى عن قوم صالحين انّهم قالوا ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا و هب لنا من لدنك رحمة انّك انت الوهاب، حين علموا انّ القلوب تزيغ و تعود الى عماها و رداها انّه لم

يخف الله من لم يعقل عن الله، و من لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها و يجد حقيقتها فى قلبه، و لايكون احد كذلك الاّ من كان قوله لفعله مصدّقاً و سرّه لعلانيته موافقاً لانّ الله لم يدّل على الباطن الخفىّ من العقل الاّ بظاهر منه و ناطق عنه [رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ] اى فى يوم او لحساب يوم [لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ] تعليل لقوله تعالى: لاريب فيه او لقوله تعالى انّك جامع النّاس، و الميعاد وقت الوعد او محلّه [إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ] ابتداء كلام من الله منقطع عن سابقه، و يجوز ان يكون من جملة مقول المؤمنين تعليلاً للسّابق و المراد بالكفر بالولاية فانّ الاية تعريضٌ بالامّة و يدلّ عليه قوله تعالى كذّبوا باياتنا [لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ] اغنى زيداً عن عمرو جعله غنيّاً عن الاحتياج الى عمرو، و اغنى العذاب عن زيد جعل العذاب غنيّاً عن الاحتياج الى زيد كأنّ العذاب محتاج اليه فى وروده فجعله غنيّاً عنه كناية عن دفعه عنه فالمعنى لن تدفع عنهم [أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ] حال عن قوله تعالى [شَيْـًٔا] اى لن تدفع شيئاً حالكونه نازلاً من الله [وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ] فى الجحيم كما انّهم فى الدّنيا وقود نار الغضب و الحرص و الحسد و غيرها [كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ] اى شأنهم و ديدنهم و هو متعلّق بلن تغنى، او بوقود النّار، او خبر لمحذوف، [وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا] بالرّسل و اوصيائهم و سائر الايات [فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ] التفات من التكلّم الى الغيبة لانّ المؤاخذة لاتكون الاّ فى المظاهر الدّانية لله بخلاف الايات فانّها منسوبة اليه تعالى باعتبار المقام العالى [بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ قُل] يامحمّد ﷺ [لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ] فى الدّنيا و حال الموت و فى البرازخ و فى المحشر [وَتُحْشَرُونَ] بعد الانتهاء الى المحشر [إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ

ٱلْمِهَادُ] نسب الى الرّواية انّه لمّا اصاب رسول الله ﷺ قريشاً ببدرٍ و قدم المدينة جمع اليهود فى سوق قينقاع فقال: يا معشر اليهود احذروا من الله مثل مانزل بقريش يوم بدر و أسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم انّى نبىّ مرسل تجدون ذلك فى كتابكم فقالوا: يا محمّد ﷺ لا يغرّنك انّك لقيت قوماً اغماراً لاعلم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة امّا و الله لو قاتلتنا لعرفت انّا نحن النّاس فأنزل الله هذه الاية و قد فعل الله ذلك بهم و صدق وعده بقتل بنى قريظة و اجلاء بنى النّضير و فتح خبير و وضع الجزة على من بقى منهم و غلب المشركين و هو من دلائل النّبوّة [قَدْ كَانَ لَكُمْ] ايّها اليهود او مطلق الكفّار او مطلق النّاس من المسلمين و الكفّار [ءَايَةٌ] علامة دالّة على صدق محمّد ﷺ فى رسالته [فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا] ببدرٍ [فِئَةٌ] قليلة عددهم ثلاثمائة و ثلاثة عشر [تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ] كثيرة عددهم قريب من الالف و هم مشركوا مكّة [يَـرَوْنَهُم] الفاعل راجع الى الفئة المسلمة او الكافرة و المفعول امّا راجع الى مرجع الفاعل او الى مقابله و هكذا ضمير قوله تعالى [مِّثْلَيْهِمْ] راجع الى مرجع الفاعل او مقابله و الكلّ صحيح بحسب المعنى و بحسب اللّفظ فانّ المسلمين رأوا المشركين قليلين ليجترؤا عليهم و لعلّهم رأوهم قبل الغزو كثيرين ليلتجئوا الى الله و لا يتّكلوا على عددهم و قوّتهم، و المشركين رأوا المسلمين قليلين قبل الغزو ليقدموا على المقاتلة ثمّ رأوهم كثيرين حين الغزو ليجنبوا و يهزموا [رَأْىَ ٱلْعَيْنِ] لارأى الخيال [وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ] التّقليل و التكثير و الغلبة من القليل على الكثير [لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ] المدركة من الاشياء مايعتبرون به و لمّا صار المقام مقام ان يسأل ما كان سبب توقّف النّاس عن القبول بعد وضوح الايات اجاب بانّه [زُيِّنَ لِلنَّاسِ] اى ذوى

النسيان لاالانسان [حُبُّ ٱلشَّهَوَ ٰتِ] الشّهوة هی المحبّة النفسانيّة و الحبّ اعمّ منها، و تزيين الشّیء اراءته بحيث يكون مرغوباً فيه للرّائی و تعليق التّزيين على الحبّ للاشارة الى انّ تزيّن الشّیء و تزيينه ليس الاّ من حيث نفس الحبّ لا من حيث شیءٍ آخر و لا من حيث خصوصيّات المحبّة من كونها شهوة او حبّاً الهيّاً او عشقاً او شوقاً، و اضافة الحبّ الى الشّهوات للاشارة الى انّ المانع من الاعتبار هو الحبّ الحاصل فی ضمن الشّهوة و على هذا فالحبّ و الشّهوة على معانيهما المصدريّة و قوله تعالى [مِنَ ٱلنِّسَآءِ] حال من الشّهوات و لفظة من ابتدائيّة و تقديم النّساء لكونهنّ اتمّ فی الاشتهاء من سائر المشتهيات [وَٱلْبَنِينَ] بل مطلق الاولاد لكن لكراهة بعض النّفوس للبنات على الاطلاق و كراهة بعضها لهنّ قبل وجودهنّ و نموّهنّ لم يذكر هنّ فی المشتهيات [وَٱلْقَنَـٰطِيرِ] جمع القنطار و هو اربعون وُقيّةً[1] من الذهب، او الف و مائتا دينار، او ثمانون الف درهم، او مأة رطل من ذهب، او فضّة، او الف و مائتا أُقيّة[2] او سبعون الف دينار او ملء مسك ثور ذهباً او فضّة [ٱلْمُقَنطَرَةِ] التامّة المكمّلة [مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ] المرعاة او المعلمة او الحسنة من السّيماء [وَٱلْأَنْعَـٰمِ] الثّلاثة البقر و الغنم و الابل [وَٱلْحَرْثِ] الكسب او جمع المال او الزّرع [ذَ ٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا] جواب لسؤالٍ مقدّر كأنّه قيل: ما حالها؟ـ و متى يكون التّمتّع بها؟ـ و ما لمن تركها؟ـ [وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ] لمن تركها [قُلْ] يا محمّد ﷺ للتّرغيب عنها و التّحريص فيما عندالله

١و٢ـ الاقيّة بضم الالف و كسر القاف و تشديد الياء المفتوحة و كذا الوقيّة عبارة عن سبعة مثاقيل، جمع اواق و اواقی و وقايا.

[أَوُ نَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ]للّذين اتّقوا خبر مقدّم و الجملة بيان للخير مع الزّيادة و لذا لم يأت باداة الوصل او هو مثل سابقه متعلّق بخير و [جَنَّـٰتٌ] مرتفع خبراً لمبتدءٍ محذوفٍ [تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ] اى من تحت عماراتها او من تحت اشجارها او من تحت طبقاتها فانّ الجنّة اذا كانت ذات طبقات و يجرى تحت كلّ طبقةٍ نهر كانت احسن منظراً [خَـٰلِدِينَ فِيهَا] فانّ تمام النّعمة بان لا تزول [وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ] ممّا يستقذر من النّساء من الاحداث و الاخباث و كثافات الاخلاط و ممّا يستكره من رذائل الاخلاق [وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ] الرّضوان بالكسر و الضّمّ مصدر و رضوان الله آخر مقامات النّعن لا نعمة فوقه و هو يستلزم رضى العبد عن الله، و فى تقدّم رضا الله عن العبد على رضا العبد عن الله او تأخّره مثل سائر صفات الله الظّاهرة فى العباد اشكالٌ و قد تقدّم فى اوّل سورة البقرة فى بيان توّابيّته تعالى بيان لذلك و قد اشار تعالى الى مراتب النّعم؛ اوليها اصناف متاع الحيوة الدّنيا، و ثانيتها الجنّات الصوريّة، و ثالثتها الازواج المطهّرة، و رابعتها رضوان الله و ليس فوقه مقام [وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِالْعِبَادِ]فيبصر مقام كلّ و درجات شقاوته او سعادته فيجزى كلاًّ بحسبها [ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ] بلسان حالهم او لسان قالهم فانّ المتّقى لتعلّقه بالله بسبب قبوله الولاية يضطرّ الى قول ربّنا حالاً و قالاً و لذلك جعله بياناً للّذين اتّقوا، و يجوز ان يكون مقطوعاً بالرّفع او النّصب للمدح فعلى هذا كان شأن الّذين اتّقوا ان يقولوا [رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا]كأنّ مقصودهم من اظهار الايمان عرض حالهم عليه تعالى لا المنّة بايمانهم فانّ عرض الحال من العباد مرغوب كما انّ المنّة بالاعمال مكروهة و تمهيد تمهيد لسؤال المغفرة و الحفظ من النّار [فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا] فانّ ظهور الذّنوب علينا شين لنا و شين لصاحبنا [وَقِنَا عَذَابَ

ٱلنَّارِ] لانّ ايلامنا ايلام صاحبنا [ٱلصَّـٰبِرِينَ] وصف آخر للمتّقين [وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ] توسيط العاطف بين الاوصاف لتعدّد مباديها، و للاشارة الى استقلال كلّ و انفراده بالمدح او الذّمّ او غير ذلك من الاغراض، والصّبر أقدم صفات الايمان و لذا ورد انّه من الايمان كالرّأس من الجسد، و به يحصل الصّدق الّذى هو الاستقامة فى الاقوال و الافعال و الاحوال، وبالاستقامة المذكورة يتمّ الطّاعة الّتى هى القنوت و بتمام الطّاعة يسهل الانفاق الّذى هو بذل فعليّات النّفس، و به يحصل القرب من يوم الدّين و الدّخول فى سحر يوم الدّين و ستر مساوى ليل الطّبع، و لمّا كان التّكليف مطابقاً للتّكوين و الظّاهر عنواناً للباطن كلّف الله العباد بالاستغفار اللسّانىّ فى اسحار ليالى الطّبع منفرداً او فى مطلق الصّلوة او فى صلوة الوتر.

كيفيّة شهادة الله بانّه لا اله الّا هو

[شَهِدَ ٱللَّهُ] كلام منقطع عمّا قبله و الشّهادة حفظ القضيّة المشهودة او ما فى حكمها او الاخبار بها و اخبار الله بالتّوحيد لجملة الاشياء عبارة عن خلقها مفطورة على التّوحّد و اقتضاء التّوحّة مع مايجاورها و هذا اخبار من الله لها عن توحّد صانعها و وحدته واحديّته و اخباره تعالى بالتّوحيد لذوى العقول فى مقام العلم بخلق الايات الافاقيّة و جعلها بحيث يدركها العقول فى مقام العلم بخلق الايات الافاقيّة و جعلها بحيث يدركها العقول الصّافية دالّة على وحدة خالقها و خصوصاً الايات الكبرى الدّالّة بالسنة اقوالهم و احوالهم على التّوحيد المشار اليه بقوله تعالى: سنريهم آياتنا فى الافاق و بانشاء الايات الانفسيّة و جعلها دالّة على وجود الحقّ و صفاته المشار اليه بقوله تعالى: و فى انفسهم حتّى يتبيّن لهم انّه الحقّ و فى مقام المشاهدة

بظهوره تعالى فى كلّ شىءٍ و فى ءِالمشار اليه بقوله تعالى او لم يكف بربّك انّه على كلّ شىءٍ شهيد [أَنَّهُو لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ] بذواتهم و السنة احوالهم، و اقوالهم و يجوز ان يكون عطفاً على المستثنى بحيث لا يكون منافياً للتّوحيد و لا مستلزماً لتعدّد الالهة، و قوله تعالى: [قَآئِمَام بِٱلْقِسْطِ] قائم بالمجموع او بالله معنىً و هو بحسب الاعراب صفة لاسم لا او حال عن المستثنى او المستثنى منه و المعنى شهد الله كافياً للخلق بسبب القسط او مقيماً للقسط.

و قول الباقر عليه السلام انّ اولى العلم الانبياء و الاوصياء عليهم السلام و هم قيام بالقسط.

يؤيّد قيامه بالمجموع، و لرفع توهّم تعدّد الالهة على احتمال عطف الملائكة على المستثنى اكّد التّوحيد بقوله تعالى [لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ] من دون عطفٍ كأنّه قيل: يلزم من ذلك تعدّد الالهة المنافى للتّوحيد فقال: لا اله الّا هو لانّ الهة الملائكة و اولى العلم ليست الاّ ظهور الهة الله و ليست آلهتهم مغايرةً حتّى يلزم تعدّد الالهة [ٱلْعَزِيزُ] الغالب الّذى لا محال لالهة غيره معه [ٱلْحَكِيمُ] الّذى لا يجعل احداً مظهراً لالهيّته الاّ بحكم و مصالح [إِنَّ ٱلدِّينَ] له معانٍ و المراد به ههنا الطّريق الى الاخرة و الى الله [عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ] يعنى بعد ظهور الاسلام انحصر الطّريق الى الله فى الاسلام و انقطع ما كان حقّاً من سائر الاديان و قد مضى بيان للاسلام و الايمان فى اوّل سورة البقرة [وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ] من اليهود و النّصارى فى حقّيّته او فى انحصار الدّين فيه [إِلَّا مِنم بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ] بظهوره و بعثة محمّد صلّى الله عليه و آله الاتى به يعنى كانوا متّفقين على حقّيّة محمّد صلّى الله عليه و آله و دينه و انحصار الدّين فى دينه قبل مبعثه الى ان بعث و ايقنوا انّه النّبىّ

الموعود فاختلفوا فى حقّيّة بان اقرّ بعض و انكر بعض بعد يقينهم ببعثته [بَغْيَام بَيْنَهُمْ] استطالة و طلباً للرّياسة فى اهل ملّتهم او طلباً للما كل المقرّرة لهم فى اهل ملّتهم [وَمَن يَكْفُرْ] حال او عطف [بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّـهِ] التّدوينيّة و التّكوينيّة كايات التّوراة و الانجيل النّاطقة بحقّيّته دين الاسلام و صدق محمّد ﷺ و آيات القرآن الدّالّة على حقّيّته و حقّيّته وصيّه وكمحمّد ﷺ و علىّ عليه السلام و اولادهما عليهم السلام فانّ الله يعذّبه على كفره لانّه لا يدع عملاً بلا جزاء و لا يفوته كفر الكافر [فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ] وعيد لمن كفر منهم و من يكفر بعلىّ عليه السلام بعد محمّد ﷺ من امّته [فَإِنْ حَآجُّوكَ] فى حقّيّة الاسلام او فى انحصار الدّين فيه [فَقُلْ] الاسلام اخلاص الوجه لله و [أَسْلَمْتُ] اى اخلصت عن الشّرك و الخديعة او سلّمت [وَجْهِيَ لِلَّهِ] بسبب الاسلام و هذا وصف لا ينكره احد فلا وجه لمحاجتّكم لى فى دين الاسلام و المراد بالوجه الذّات فانّ شيئيّة الشّىء بصورته لا بمادّته و صورة كلّ شيءٍ فعليّته الاخيرة، و فعليّته الاخيرة ما به توجّهه كما انّ وجه البدن ما به توجّهه [وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ] عطف على الضّمير المرفوع و لم يأكّد بالضّمير المنفصل للفصل بينه و بين المعطوف عليه او عطف على الله اى أخلصت وجهى لله و لم اتّبعن، او سلّمت وجهى الى الله و وجه الى الخلق، و الاسلام كما يقتضى اخلاص الوجه لله و تسليمه اليه يقتضى اخلاص الوجه لخلق الله و تسليمه اليهم [وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ] الّذين لا كتاب لهم و لا نبىّ يعنى الّذين ما حصل لهم من الكمالات الانسانيّة شىء سوى الانتساب الى الام [ءَأَسْلَمْتُمْ] يعنى بعد ماذكرت لهم انّ الاسلام يقتضى اخلاص الوجه لله و هو وصف مطلوب لكلّ عاقل صار المقام مقام السّؤال عن اتّصافهم بالاسلام و المعنى اصرتم مسلمين او مخلصين وجوهكم لله [فَإِنْ أَسْلَمُوا۟] صاروا مسلمين او

مخلصين و هو تهييج لهم على الاسلام [فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟] لانّ الاسلام اهتداء و وصول الى طريق الايمان، و اخلاص الوجه لله اهتداء الى الكمالات الانسانيّة [وَّإِن تَوَلَّوْا۟] عن الاسلام او اخلاص الوجه فليس عليك و باله [فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ] اى التبليغ و قد بلّغت و ليس عليك قبولهم حتّى يكون و بال عدم قبولهم عليك، و البلاغ اسم مصدر من الابلاغ او التّبليغ [وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِالْعِبَادِ] فيجازى كلاً بعمله؛ وعد و وعيد [إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ] استناف بيانىّ جواب لسؤالٍ مقدّرٍ [وَ يَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ] للتّبيين لا للتّقييد [وَ يَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ] اى اتّباع الانبياء و المبتاعين بالبيعة الخاصّة فانّ البائع بالبيعة الخاصّة يأمر بالقسط البتّه و لو فى مملكة وجوده [فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ] نزلت فى بنى اسرائيل الّذين قتلوا ثلاثة و اربعين نبيّاً من اوّل النّهار فى ساعةٍ واحدةٍ فقال مائة رجل و اثنا عشر رجلاً من عبّاد بنى اسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف و نهوهم عن المنكر فقتلوا جميعاً فى آخر النّهار فى ذلك اليوم، هكذا روى عن رسول الله ﷺ لكنّ الاية جارية فى كلّ من كان مثلهم و سنخهم و كلّ من قتل نبيّه الباطنىّ و اتباعه و ان لم يقتل نبيّاً فى الخارج و لا تابعاً لنبىٍّ، و تعريض بمن تعرّض لقتل الائمّة و اتباعهم بعد وفاة الرّسول ﷺ [أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ] بطلت و ذهبت [أَعْمَـٰلُهُمْ].

اعلم انّ العمل مقابل العلم عبارة عمّا يظهر على الاعضاء مسبوقاً بقصد من العامل قولاً كان او فعلاً او ما يصدر من النّفس فى الباطن من المجاهدات الباطنيّة، و كلٌّ منهما لا يبقى بنفسه لكنّ النّفس تتجوهر بكيفيّة تكون مصدراً لهما ثمّ تتزايد تلك الكيفيّة منهما و تكون تلك الكيفيّة باقية معها فى الدّنيا و الاخره و ثمرتها فى الدّنيا الخلاص من عذاب الاوصاف

الرّذيلة و فى الاخرة التلذّذ بالامور الاخرويّة و بمناجاة الله، و بعبارة اخرى النّفس تتكيّف منهما بجهتيها، جهتها الدّنيويّة الّتى يحصل بها للانسان الاضافة الى الخلق و جهتها الاخرويّة الّتى بها يحصل الاضافة الى عالم الارواح، و ثمرة كيفيّة جهتها الدّنيويّة الفراغ من رذائل تلك الاضافة و متاعبها، و ثمرة كيفيّة جهتها الاخرويّة التلذّذ بالامور الاخرويّة و بمناجاة الله؛ و على هذا فقوله تعالى: [فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ] حال من اعمالهم او ظرف للحبط [وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ] يدفعون عنهم العذاب الّذى تبشّرهم به [أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ] الم تر الى كذا كلمة تعجّب و تعجيب، و الرّؤية اعمّ من رؤية البصر و رؤية القلب، و نزول الاية ان كان فى احبار اليهود فهى جارية فى كلّ من أقرّ بشريعة و كتاب ثمّ اعرض عن شريعته و كتابه فانّ الكتاب عبارة عن احكام الرّسالة و النّبوّة، و الكتب التّدوينيّة السّماويّة صورة تلك الاحكام و ظهورها، و المنظور منافقوا الامّة حيث أقرّوا بمحمّد ﷺ و شريعته و كتابه و اعرضوا عن كتابه بعد وفاته [يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ] حال او جواب لسؤالٍ مقدّرٍ، و ان كان المراد به التّوراة فالتّعريض بالامّة و القرآن [لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ] قرئ بفتح الياء و ضمّها و فتح الكاف [ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ] عن كتاب الله عطف على يدعون و الاتيان باداة التّراخى اشارة الى انّ التّولّى وقع منهم بعد الدّعاء الى الكتاب بمهلة فانّه ﷺ على ماقيل دخل مدرسهم و دعاهم الى الاسلام فقالوا: على اىّ دين انت؟ـ قال: على ملّة ابراهيم عليه السلام فقالوا: انّ ابراهيم كان يهوديّاً، فقال: انّ بيننا و بينكم التّوراة فأبوا من الرّجوع اليها بعد محاجّاتٍ وقعت بينهم، و نسب فى مجمع البيان الى ابن عبّاس انّه قال: ان رجلاً و امرأة من اهل خيبر زنيا و كانا ذوى شرفٍ فيهم و كان فى كتابهم الرّجم فكرهوا رجمهما لشرفهما و رجوا

ان يكون عند رسول الله ﷺ رخصة فى امرهما، فرفعوا أمرهما الى رسول الله ﷺ فحكم عليهما بالرّجم فقالوا جرت يا محمّد ليس عليهما الرّجم فقال ﷺ: بينى و بينكم التّوراة، قالوا قد أنصفتنا قال: فمن أعلمكم بالتّوراة؟ـ قالوا: ابن صور ياساكن فدك فارسلوا اليه فقدم المدينة و كان جبرئيل قد وصفه لرسول الله ﷺ الى ان قال فدعا رسول الله ﷺ بشىءٍ من التّوراة فيها الرّجم مكتوب فقال له: اقرء فلمّا اتى على آية الرّجم وضع كفّه عليها و قرأ ما بعدها فقال ابن سلام يا رسول الله ﷺ قد جاوزها و قام الى ابن صوريا و رفع كفّه عنها ثمّ قرأ على رسول الله ﷺ و على اليهود بانّ المحصن و المحصنة اذا زنيا و قامت عليهما البيّنة رجما، فأمر رسول الله ﷺ باليهوديّين فرجما، فغضب اليهود و أنكروا على ابن صوريا فأنزل الله هذه الاية [وَهُم مُّعْرِضُونَ] و الحال انّ سجيّتهم الاعراض عن الحقّ مطلقاً [ذَٰلِكَ] التولّى و الاعراض [بِأَنَّهُمْ] سهّلوا على أنفسهم عقوبة الاخرة [قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ] قيل يعنى عدد ايّام عبادة اسلافهم العجل اربعين يوماً او سبعة ايّام و قيل ايّاماً منقطعة [وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ] من انقطاع العذاب او قولهم: نحن ابناء الله و احبّاؤه، او ان ابّائهم الانبياء يشفعون لهم، او انّ الله وعد يعقوب ان لا يعذّب اولاده [فَكَيْفَ] حالهم تهويل لهم و تفخيم لعذابهم [إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ] فى يوم او لمجازاة يوم [لَّا رَيْبَ فِيهِ] لا ينبغى الرّيب فيه روى انّ اوّل راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفّار راية اليهود فيفضمهم الله على رؤس الاشهاد ثمّ يأمربهم الى النّار [وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ] اديّت اليها تمام ماكسبت على تجسّم الاعمال او تمام جزاء ماكسبت [وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ] بنقص ثواب او زيادة عقاب.

اعلم انّ النفوس البشريّة تكسب فعلية من الاعمال البدنيّة و

الرّياضيات النّفسيّة و تلك الفعليّة ليست كيفيّة عرضيّة كما يظنّ بل هى شأن جوهرىّ من شؤن النّفس على ما حقّق فى الفلسفة من الحركات الجوهريّة و ذلك الشّأن ان يبق للنّفس بعد رفع حجب الطّبع بالموت الاختيارىّ او الاضطرارىّ يتمثّل بصورة موافقة له مملوكة للنّفس و هذا معنى تجسّم الاعمال و يتفضّل الله على صاحبهما بمثل تلك الصورة او يضعف عذابها بمثلها على اختلاف الكسب و هذا احد وجوه الجنّتين فى قوله تعالى: و لمن خاف مقام ربّه جنّتان واحد وجوه قوله لكلّ ضعف و لكن لاتعلمون و التّوفية تأدية تمام ماينبغى ان يؤدّى و على هذا جاز ان يقال أعطاه الله نفس ماكسبت و ان يقال أعطاه الله جزاء ماكسبت و حبط الاعمال و محو السّيئات عبارة عن بطلان تلك الفعليّة و انمحاؤها عن صفحة النّفس، و تبديل السّيئات حسنات عبارة عن تسخير تلك الفعليّة للعاقلة بعد ان كانت مسخرة للشّيطان و العفو عن السّيئات و غفرآنها عبارة عن بقاء تلك الفعليّة مع سترها عن الانظار و عدم تمثّلها و عدم ظهورها بصورة مناسبة لها.

[قُلِ ٱللَّهُمَّ] اصله يا الله حذف اداة النداء و اتى بالميم المشدّدة فى الاخر عوضاً عنها تعظيماً لاسمه الشّريف ان يؤتى بصورة النّداء و تفخيماً للفظه و اشعاراً باشتداد المحبّة فانّ شدّة الحبّ كشدّة الغضب تقتضى التّشديد فى اللّفظ و قيل اصله يا الله أُمّ بخير فخفّف بحذف حرف النّداء و همزة القطع و عدم التفوّه بهذا الاصل و عدم اجتماع الميم مع حرف النّداء دليل الاوّل [مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ] صفة اللّهمّ او منادى بحذف حرف النّداء و الاتيان به قبل الحكم للبراعة، و ليكون مشعراً بعلّة الحكم، و المراد بالملك عالم الملك المقابل للملكوت و يقال لعالم الطّبع عالم الملك لانّه ليس فيه الاّ حيثيّة المملوكيّة بخلاف الملكوت و الجبروت لانّ فيهما حيثيّة المالكيّة اظهر من

حيثيّة المملوكيّة و الملك بتثليث الميم و بالفتحتين و بالضّمّتين ما تملكه و تستبدّ بالتصرّف فيه، او المراد به مطلق عالم الامكان من الملك و الملكوت و الجبروت، او مطلق مراتب العالم الصّغير و الكبير حتّى يشمل ملك القلوب و دولة الرّسالة و النّبوّة و خلافتهما [تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ] حال او مستأنف جواب لسؤالٍ مقدّرٍ او مستأنف للمدح و المراد بالملك الثّانى امّا عين الاوّل كما هو المتبادر من تكرار المعرفة، او المراد به بعض معانى الاوّل [مَن تَشَآءُ] ان تؤتيه من غير مانع و عجز [وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ] اعزازه و العزّة ههنا مقابل الذّلّة و المراد به امّا عزّ الملك فيكون تأكيداً لمفهوم الاوّل، او غير العزّة اللازمة للملك فيكون تأسيساً [وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ] لا بيد غيرك جنس [ٱلْخَيْرُ] او جميع انواعه و افراده و هذه الجملة حال او مستأنف جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ او للمدح و تخصيص الخير بالذّكر امّا لكون المقام للتّرغيب فيما عنده و المناسب له ذكر الخير، او لانّ الشرّ عدميّ راجع الى العدم و العدم لاشىء محض لايجرى عليه حكم الشّىء [إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] تعميم بعد تخصيص و الجملة كالجمل السّابقة فى الاعراب [تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ] و هذه كالجمل السّابقة فى الاعراب و المراد بايلاج اللّيل فى النّهار ايلاج بعضه بنقصان اللّيل و الزّيادة فى النّهار، او المراد تعقيبه للنّهار فيكون المراد ايلاج اللّيل مكان النّهار و لااختصاص للّيل بليل الزّمان بل يشمله و يشمل عالم الارواح الخبيثة و عالم الطّبع و مادّة الانسان و طبيعته و مرضه و غمّه و ألمه و رذائله و كفره و جهله، و ذكر هذه بعد تعميم القدرة للاشارة الى صعوبتها كأنّها معدودة من الممتنعات الغير المقدور عليها فانّها جمع بين الاضداد [وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ] هذه تعلم بالمقايسة [وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ] الحيوان من الجماد، او

المؤمن من الكافر، او العالم من الجاهل، او النّفس الانسانيّة من النّفس الحيوانيّة، او النّفس الحيّة من الطّبع الميّت، او الباقى من الفانى، فانّ فناء الانسان موت حقيقىّ له و بقاءه بعد الفناء حيوة حقيقيّة بحيوة الله تعالى، او المراد تميز الحىّ من الميّت بالمعانى السّابقة [وَ تُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ] تعلم هذه بالمقايسة [وَ تَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ]ذكر هذه بعد تعميم القدرة لاقتضاء مقام التّرغيب فيما عنده التّكرير و التّأكيد بامثاله [لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ] اى اولياء المودّة او اولياء التصرّف [مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ]قد مضى بيان معنى من دون فى اوّل البقرة عند قوله و ادعوا شهداءكم من دون الله و انّ دون بمعنى الغير و لفظة من للتّبعيض و الظّرف مستقرّ حال و المعنى حالكون الكافرين بعضاً من غير المؤمنين و التّقييد به للاشعار بعلّة الحكم و لتحريك الغيرة فى المؤمنين، و قيل فى مثله اشياء اخر [وَ مَن يَفْعَلْ ذَ ٰلِكَ] اى اتّخاذ الكافرين اولياء [فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ] اى ليس فى شىءٍ من النّسب و الولايات حالكونها ناشئة من الله او ليس فى شىءٍ من المراتب و المعارج حالكونها بعضاً من الله لانّ الله ذو المعارج [إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ]استثناء مفرّغ من قوله: لا يتّخذ المؤمنون، او من قوله: و من يفعل ذلك اى الاّ لان تتّقوا، او فى ان تتّقوا، و فى الكلام التفات من الغيبة الى الخطاب [مِنْهُمْ] اى من شرّهم و اضرارهم [تُقَـٰةً] قرئ بكسر القاف و الياء المشدّدة و بفتح القاف و الالف و هو مفعول مطلق او مفعول به فى معنى اسم المفعول يعنى ان خاف احد من الكافرين على نفسه او ماله او عياله او عرضه او اخوانه المؤمنين جاز له اظهار الموالاة مع الكافرين مخالفة لما فى قلبه لا انّه يجوز موالاتهم حقيقة فانّ التقيّة المشروعة المأمور بها ان تكون على خوف من معاشرك ان اطّلع على ما فى قلبك فتظهر الموافقة

له بما هو خلاف ما فى قلبك و لااختصاص لها بالكافر فانّه ذكر فى حديثٍ انّه ذكر التقيّة عند علىّ بن الحسين عليه السلام فقال: لو علم ابوذرّ ما فى قلب سلمان لكفّره [وَ يُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ] فلا تتجاوزوا فى موالاتهم عن موضع الرّخصة [وَإِلَى ٱللَّهِ] لا الى غيره [ٱلْمَصِيرُ] فلا ينبغى الموالاة لغيره و لاالحذر من غيره الّا باذنه [قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ] من المودّة للكافرين و غيرها [أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ] تعميم بعد تخصيصٍ [وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ] فيقدر على اعزازكم من دون موالاة الكافرين و اذلالكم بموالاتهم فلا تتعرّضوا المانها كم عنه ظنّاً منكم انّ عزّتكم تحصل منه [يَوْمَ تَجِدُ] ظرف لتودّ او لقدير على معنى ظهور قدرته فى ذلك اليوم، او ليعلم ما فى السّماوات، اوليعلمه الله على هذاالمعنى، اولاذكر مقدّراً [كُلُّ نَفْسٍ] خيّره و شريره [مَّا عَمِلَتْ] صورة ما عملت على تجسّم الاعمال كما سبق تحقيقه او جزاء ما عملت او صحيفة ما عملت [مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ] عطف على ما عملت من خير او لفظة ما شرطيّة و جمله [تَوَدُّ] جزاؤها و ارتفاعه لكون الشّرط ماضياً غير ظاهر فيه الجزم، او لفظة ما موصولة متضمّنة لمعنى الشّرط مبتدء خبره جملة تودّ [لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا] غاية [بَعِيدًا] و لفظة لو هذه مصدريّة محذوفة الفعل او شرطيّة محذوفة الفعل و الجواب اى لو ثبت انّ بينها و بينه امداً بعيداً تودّ ذلك [وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ] كرّره للتّوكيد و التّذكير و التّطويل فى مقام التّهديد [وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ] و لذا لايعجّل العقوبة للمسيئين و يحذّرهم رأفةً بهم جمع بين صفتى اللّطف و القهر للترّهيب و الترّغيب [قُلْ] ابتداء خطاب للهداية الى حقّ و صواب [إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ] جملة

شرطيّة و فعل الشّرط محبّة العباد مقيّدة بالانتساب الى الله و التّمكين فيها المستفاد من تخلّل قوله كنتم فانّ الاتيان بلفظ كان فى امثال المقام للاشارة الى الاستمرار و كون الفعل كالسجيّة و مفهوم مخالفته انتفاء المحبّة المتعلّقة بالله الصائرة كالسجيّة و انتفاؤها امّا بانتفاء المقيّد او بانتفاء كلّ من القيدين [فَاتَّبِعُونِى] جزاء للشّرط المذكور [يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ] جزاء للشّرط المقدّر المستنبط من الاتّباع الّلازم للمحبّة المقيّدة المذكورة و المقصود انّ محبوبيّتكم لله لازمة لاتّباع الرّسول ﷺ بعد المحبّة الثّابتة الرّاسخة لله فمن لم يكن له محبّة كأكثر اهل الجبال و الرّساتيق والاكراد و الأعراب و غيرهم ممّن لايعرفون من المحبّة الّا حبّ المأكول والمشروب و الوقاع، او كان له محبّة ما؛ لكن كان محبّته للارواح الخبيثة فقط او للارواح الخبيثة و الطيّبة شاعراً بانّ محبّته للارواح الخبيثة كالابليسيّة و الكهنة و الثنويّة يعنى المحقّقين المكاشفين منهم او غير شاعر كالهنود المرتاضين بالمخالفات الشّرعيّة الظّانّين انّ عالم الارواح واحد و قالوا: انّ طريق الوصول اليه امّا طريق التأسيسات الشّرعيّة و هذا أبعد الطريقين، او طريق مخالفة النّواميس الشّرعيّة و هذا اقرب الطريقين، وكالمبايعين بالبيعة الخاصّة مع من لم يكن اهلاً للبيعة مثل اهل السّلاسل الباطلة الباقية آثارهم الحقّة فى ايدى المبطلين المتشبّهين بالمحقّين فانّ المبايعين لهؤلاء المبطلين كانت لهم محبّة صادقة و بعد انحرافهم الى المبطلين صارت محبّتهم محبّة شيطانيّة و كلّ هؤلاء الفرق محبّتهم للارواح الخبيثة و لمظاهرها الانسيّة شديدة و ليست محبّة الهيّة و هؤلاء و من لم يكن لهم محبّة اصلاً له يصيرون محبوبين لله سواء اتّبعوا الرّسول ﷺ ظاهراً اولم يتّبعوا، و من كان له محبّة الهيّة لكن لم محبّته راسخة كأكثر افراد الانسان الّذين لم يستهلك فطرتهم تحت البهيميّة و السبعيّة و

الشّيطنة فانّهم قد يشتأّنون بشأن المحبّة الالهيّة و يتألّمون من بعدهم عن الحضرة الالهيّة و يتحسّرون على تضييع أعمارهم فى غير الطّلب لتلك الحضرة لم يفوزوا بالمحبوبيّة مالم يتمكّنوا فى تلك المحبّة باتّباع رسولٍ حقّ من الله، نعم ان تمكّنوا فيها بسبب اتّباع رسول حقّ فازوا بالمحبوبيّة لله تعالى و من كان متمكّناً فى المحبّة الالهيّة كالمجذوبين و المبتاعين بالبيعة الخاصّة مع من كان اهلاً للبيعة لكن لم يكونوا ذوى عناية بالشّريعة و اتّباع من كان اهلاً لبيان احكام الكثرة لم يكن محبوباً لله تعالى و ان لم يكن مبغوضاً له ايضاً، و من كان متمكّناً فى المحبّة الالهيّة ثابتاً فى اتّباع الشّريعة كان محبوباً لله تعالى مغبوطاً لجملة المقرّبين و هذا تأديب من الله تعالى لا كثر السّلاك البائعين بالبيعة الخاصّة مع من كان اهلاً للبيعة المغترّين بالايات و الاخبار المثيرة للغرور مثل آية **ثمّ اورثنا الكتاب الّذين اصطفينا من عبادنا** (الى آخر الاية) و مثل آية: **الله ولىّ الّذين آمنوا يخرجهم من الظّلمات الى النّور**، و مثل: حبّ علىٍّ حسنة لا يضرّ معها سيئة، و مثل ولىّ علىٍّ عليه السلام لا يأكل الاّ الحلال، و مثل: اذا عرفت فاعمل ماشئت من قليل الخير و كثيره، و مثل: لادين لمن دان الله بولاية امام جائر ليس من الله، و لا عتب على من دان الله بولاية امام عادل، و مثل قوله عليه السلام: قال الله تعالى: لأعذّبنّ كلّ رعيّة فى الاسلام دانت بولاية كلّ امام جائرٍ ليس من الله و كان كانت الرّعيّة فى اعمالها برّة تقيّة و لاعفونّ عن كلّ رعيّةٍ فى الاسلام دانت بولاية كلّ امام عادل من الله و ان كانت الرعيّة فى انفسها ظالمة مسيئةً و غير ذلك من امثال ما فيه شبهة غرور فانّ هؤلاء و ان فرض انّهم لم يكونوا مبغوضين لكن اين هؤلاء من المحبوبين فالسّالك ينبغى له ان يكون تمام اهتمامه باتّباع الشّريعة المطهّرة بحيث لا يشذّ عنه ادب من آدابه المستحبّة و لا يقنع بعدم المبغوضيّة حتّى فاز

بدرجات المحبوبيّة [وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ].

اعلم انّ اقتضاء المحبوبيّة ان لا يبقى فى نظر المحبّ نقص و شين من المحبوب بل كلّ ما فعل الحبيب كان حبيباً عنده و لذلك كان تعالى يجزيهم بأحسن ما كانوا يعملون لانّ تمام افعال الحبيب و جميع اوصافه و اخلاقه تظهر فى نظر المحبّ مثل احس افعاله و اوصافه و هذا احد وجوه تبديل السّيئات حسناتٍ، و هذا احد معانى غفران الذّنوب فمن اراد ان يكون بجميع اعماله و اوصافه محبوباً لله فليتّبع الرّسول بشرائط المتابعة و مواثيق المباعية بعد ما نكت فى قلبه نقطة المحبّة و ليحذر من مخالفة دقيقة من دقائق الشّريعة [وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ] جملة حاليّة مؤكّدة مشعرة بعلّة غفرانه لمحبوبه و المعنى انّه من شيمته المغفرة و الرّحمة بالنّسبة الى كلّ احد فكيف يكون مغفرته لمن يكون محبوبه [قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ] يعنى بعد ما قلت لهم انّ محبوبيّة الله فى متابعتك بعد محبّة الله قل لهم اطيعوا الله [وَٱلرَّسُولَ] لم يكرّر اطيعوا اشعاراً بانّ اطاعة الله تكليفاً ليس الاّ طاعة الرّسول لا انّ طاعة كلّ مستقلة مغايرة لطاعة الاخر [فَإِن تَوَلَّوْاْ] لفظ تولّوا هذا مشترك بين المضىّ و المضارعة [فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ] بطاعة الله و طاعة الرّسول ﷺ لانّ المراد به الكفر بالطّاعة ههنا و المعنى انّه يبغضهم و ان كان نفى الحبّ اعمّ من البغض فانّه يستعمل فى امثال المقام فى احد فرديه و وضع الظّاهر موضع المضمر للاشارة الى علّة الحكم و الى انّ التولّى عن الطّاعة كفر [إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ] فى موضع تعليل للامر بطاعة الرّسول و سببيّة اتّباعه ﷺ للمحبوبيّة كأنّه قال ﷺ: فاتّبعونى و اطيعونى لانّى نبىّ من ذرّيّة ابراهيم و من آله و انّ الله اصطفى [ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ] لنبوّتهم [عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ] و قد ورد فى اخبار كثيرة انّهم قرؤا آل ابراهيم

و آل عمران و آل محمّد على العالمين، و فى بعض آل ابراهيم و آل محمّد صلّى الله عليه و آله بدل آل عمران و قال عليه السلام فوضعوا اسماً مكان اسمٍ و المراد بال عمران موسى عليه السلام و هارون عليه السلام و اولادهما، او عيسى عليه السلام و مريم ابنة عمران، و لعلّ هذا هو المراد كما سيجىء او المجموع لصدق آل عمران على المجموع، و قيل بين العمرانين كان الف و ثمانمائة سنة و المراد بال ابراهيم، ابراهيم و آله كما سبق الاشارة اليه، و العدول من ابراهيم الى آل ابراهيم ليعمّ الانبياء عليهم السلام و الاوصياء عليهم السلام بعده بلفظٍ واحدٍ فانّ الكلّ منسوبون اليه بالنّسب الجسمانيّة كما انّهم منسوبون اليه بالنّسب الرّوحانيّة و ذكر آل عمران و آل محمّد صلّى الله عليه و آله بعده من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ للاهتمام بالخصاّ كأنّه قال: انّ الله اصطفى آل ابراهيم و اصطفى منهم آل عمران و آل محمّد صلّى الله عليه و آله [ذُرِّيَّةَم] حال من نوح و آل ابراهيم و مابعده، او منصوب بفعلٍ محذوفٍ للمدح، او بدل من ما قبله، و الذّريّة بالضمّ و الكسر ولد الرّجل للواحد و الجمع [بَعْضُهَا] ناش [مِنم بَعْضٍ] ولا ينافى كون بعضها من بعض تشعّبها من ابراهيم بشعبتبن [وَٱللَّهُ سَمِيعٌ] لاقوال عباده بلسان استعدادهم و لسان قالهم فيعطى كلّاً من المصطفى و غيره بحسب استعداده [عَلِيمٌ] بمكمونات العباد من القوى البعيدة من الاستعدادات القريبة من الفعل فينظر منهم الى قواهم البعيدة من الفعل و لايعطى جزافاً كما لايمنع جزافاً فاصطفى هؤلاء باستحقاقهم و استعدادهم و الجملة حالٌ او عطف على جملة انّ الله اصطفى او على معمولى انّ فى مقام التّعليل لاصطفاء هؤلاء، او هى فى مقام التّعليل لاصطفاء آل عمران كأنّه كان وجه اصطفاء آدم و نوحٍ و آل ابراهيم معلوماً بخلاف اصطفاء آل عمران فقال فى بيان وجهه: انّ الله اصطفى آل عمران لانّه كان سميعاً لاقوال امرأة عمران عليماً باستحقاقها [إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ]

فعلى هذا لفظ اذ كان ظرفاً لسميع و عليم او مفعولاً به لهما باعتبار المضاف اليه نظير الوصف بحال المتعلّق، او ظرف لاصطفى المقدّر قبل آل عمران و على الوجه الاوّل قوله و الله سميعٌ عليمٌ كان مفعولاً لاذكر مقدّراً و كان منقطعاً عمّا قبله و اسم امرأة عمران كان حنّةً و كانتا اختين احداهما عند عمران بن اشهم من ولد سليمان عليه السلام بن داود عليه السلام و قيل عمران بن ماثان و كان بنوماثان رؤساء بنى اسرائيل، و الاخرى عند زكريّا و كان اسمها اشياع، و فى اخبارنا انّ زوجة زكريّا كانت اخت مريم لااخت امّها و كانت حنّة قد امسك عنها الولد حتّى اسنّت فبينا هى تحت شجرة اذرأت طائراً يزّق فرخاً له فتحرّكت نفسها للولد فدعت الله ان يرزقها ولداً فحملت بمريم و نذرت ولدها لخدمة بيت المقدّس و روى انّ الله اوحى الى عمران انّى واهب لك ذكراً سويّاً مباركاً يبرء الاكمه و الابرص و يحيى الموتى باذن الله و جاعله رسولاً الى بنى اسرائيل فحدّث امرأته حنّة فلمّا حملت بها كان حملها عند نفسها غلاماً فلمّا وضعتها قالت ربّ انّى وضعتها انثى و ليس الذّكر كالانثى لايكون البنت رسولاً يقول الله تعالى و الله اعلم بما وضعت فلمّا وهب الله لمريم عيسى عليه السلام كان هو الّذى بشّر به عمران و وعده ايّاه فاذا قلنا فى الرّجل منّا شيئاً و كان فى ولده او ولد ولده فلاتنكروا ذلك، و لمّا ظنّت انّ حملها الذّكر الموعود نذرته لخدمة بيت المقدّس وقالت [رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا] معتقاً من خدمتنا لخدمة المتعبّدات او مختاراً او مهذّباً مقوّماً من الحريّة مقابل الرقيّة او بمعنى كون الشىء مختاراً او من تحرير الكتاب بمعنى تقويمه و ذكروا انّ المحرّر اذا حرّر جعل فى الكنيسة يقوم عليها و يكنسها و يخدمها لا يبرح حتّى يبلغ الحلم ثمّ يخيّر فان احبّ أن يقيم فيه اقام و ان احبّ ان يذهب ذهب حيث شاء [فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ] نذرى [إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ] لقولى و نذرى

[ٱلْعَلِيمُ] بنيّتى و انّى لااريد بنذرى سواء رضاك [فَلَمَّا وَضَعَتْهَا] وكانت ترجوا ان تضع ذكراً و رأتها انثى خجلت و استحيت [قَالَتْ] منكّسة رأسها مظهرةلخجلتها [رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ] او لمّا وضعتها انثى و كانت ترجو انّ الولد ذكر و خابت عن متمنّاها قالت اظهاراًلخيبتها ربّ انّى وضعتها انثى او لمّا وضعتها ورأت انّها انثى و علمت انّ الانثى تكون ضعيفة فى عقلها قالت تقدمة لسؤال استعاذتها ربّ انّى وضعتها انثى و الانثى تقدمة لعدولها عن نذرها يعنى انّ الانثى لاتصلح لخدمة المعابد فلا اقدر على الوفاء بنذرى قيل: مات عمران حين حملها و وضعتها بعد وفات عمران [وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ] جملة معترضة من الله لتبجيل ما وضعت يعنى هو اعلم بشأن ما وضعت و مقامها العالى و تحسّرها على كونها انثى كان لجهلها بمقامها و قرئ بضمّ التّاء على ان يكون من كلامها تسلية لنفسها و بكسر التّاء على ان يكون من كلامها خطاباً لنفسها تسلية لها و على ان يكون من كلام الله تعالى خطاباً لها و تسلية لها قوله تعالى [وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلأُنثَىٰ] من كلامه تعالى تسلية لها يعنى ليس الذّكر المتمنّى مثل هذه الانثى المولودة فى الشّرف و المقام او هو من كلامها تعليلاً لتمنّيها و تحسّرها على الانثى اى ليس جنس الذّكر مثل جنس الانثى فى الخسّة و الممنوعيّة من الرّسالة و المعابد بواسطة الانوثة و الحيض، او ليس الذّكر الموعود مثل هذه الانثى فى الخسّة و الممنوعيّة و قيل فيه غير هذا [وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ] تفؤّلاً فانّ مريم كانت بمعنى العابدة [وَإِنِّيۤ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ] نسب الى النّبىّ ﷺ انّه ما من مولودٍ الّا و الشّيطان يمسّه حين ولد فيستهلّ صارخاً من مسّ الشّيطان ايّاه الاّ مريم و ابنها [فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا] مع انوثتها من المنذور لخدمة بيت المقدّس و لم يقبل قبلها انثى فى ذلك او المعنى تقبّلها و

تكفّل امرها بحيث ما عرتها علّة ساعة من ليل او نهار او تقبّلها بتكفيل نبيّه لها [بِقَبُولٍ حَسَنٍ] الباء فيه مثل الباء فى قوله فتستجيبون بحمده فالباء فيه للمصاحبة او للالة و حسن قبولها اخذها مقام الذّكر و حفظها من الافات و تسلّمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر و تصلح للخدمة و تكفيلها زكريّا نسب الى الرّواية انّ حنّة لمّا ولدتها لفّتها فى خرقة و حملتها الى المسجد و وضعتها عند الاحبار و قالت: دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانّها كانت بنت امامهم و صاحب قربانهم فانّ بنى ماثان كانوا رؤس بنى اسرائيل و ملوكهم فقال زكرّيا: انا احقّ بها عندى خالتها فأبوا الاّ القرعة و كانوا سبعة و عشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفى قلم زكريّا و رسبت اقلامهم فتكفّلها [وَأَنبَتَهَا] من حنّة او انماها فى نفسها [نَبَاتًا] امّا مصدر من غير لفظ الفعل او حال موطّئة للتّوصيف يعنى انبتها حالكونها نباتاً [حَسَنًا] بان سوّى خلقها او بان جعلها بحيث كانت تنمو فى يوم ما ينمو غيرها فى عام، او جعلها بحيث صامت نهارها و قامت ليلها و تبتّلت الى الله حين بلغت حتّى فاقت الاحبار [وَكَفَّلَهَا] الله [زَكَرِيَّا] كماسبق و قرئ بتخفيف الفاء و زكريّا كان من ولد سليمان و فيه ثلاث لغات المدّ و القصر و تشديد الياء بدون الالف و لمّا كفّل زكريّا مريم بنى لها بيتاً و استرضع لها او ضمّها الى خالتها امّ يحيى حتّى اذا شبّت و بلغت مبلغ النّساء بنى لها محراباً فى المسجد و جعل بابه فى وسطه لا يرقى اليها الّا بسلّم مثل باب الكعبة و لا يصعد اليها غيره و كان يأتيها بطعامها و شرابها و دهنها كلّ يوم [كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ] اى بيتها سمّى محراباً لكونه معبدها و محلّ محاربتها للشّيطان [وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا] فاكهة فى غير حينها غضّاً طريّاً و الجملة جواب كلّما [قَالَ] جواب سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ما قال لها كلّما وجد عندها رزقاً؟ـ فقال تعالى: قال [يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا] كيف

لك او من ايّ مكانٍ لك هذا الرّزق و هو للتجّب [قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ] استيناف فى مقام التّعليل [هُنَالِكَ] فى ذلك المكان او فى ذلك الزّمان [دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُو] يعنى بعد ما شاهد من مريم ما شاهد من اكرام الله لها حنّ الى ولد كريم على الله مثلها فدعا ربّه [قَالَ رَبِّ هَبْ لِى] لانتفاعى [مِن لَّدُنكَ] لا من لدن غيرك من الملائكة او الشّياطين حتّى يكون عوده الى حضرتك [ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ] اى مجيبة فانّ السّماع فى امثال المقام يستعمل فى الاجابة و الجملة مستأنفة لبيان علّة الدّعاء او لبيان حاله تعالى فى مقام الدّعاء [فَ] أجاب الله تعالى دعاءه و [نَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ] فى مصّلاه [أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًام بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ] هذا اجابة منه تعالى لدعائه عليه السلام فانّ التصديق بكلمة الله دليل الطيبوبة و المراد بكلمة الله هو المسيح فانّه لفنائه فى نفسه و بقائه بربّه صار كالكلمة الغير القارّة الغير المستقلة بنفسها القائمة بالمتكلّم [وَسَيِّدًا] للخلق فى الشّرف و لقومه فى الطّاعة [وَحَصُورًا] مبالغاً فى منع النّفس عن الشّهوات و لذلك فسّر بمن لا يأتيه النّساء [وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ] و اتّصافه بالاوصاف الثّلاثة من الفضل فى الاجابة [قَالَ] قد مضى مكرّراً انّ امثال هذا جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ما قال بعد البشارة من الله بالولد؟ـ قال [رَبِّ أَنَّىٰ] كيف [يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ] و الكبير لا يصلح نطفته لانعقاد الولد كان الظّاهر ان يقول و قد بلغت الكبر لكنّه نسب البلوغ الى الكبر للاشعار بانّ الهرم كالطّالب الاتى الى الانسان [وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ] ما كان يصلح رحمها لانعقاد الولد قبل الكبر فكيف بعد الكبر و هذا تعجّب و استعباد منه للولد بحسب الاسباب الطبيعيّة و لذلك اتى بعده بانقطاع

الاسباب الطبيعيّة و تبجّح منه بافضال الله و اكرامه مع عدم الاسباب لانّـه انكار منه لفعل الله بدون الاسباب حتّى يكون مخالفاً لمقام الانبياء عليهم السلام قيل كان زكريّا يوم بشّر بالولد ابن عشرين و مائة و كانت امرأته بنت ثمان و تسعين سنة [قَالَ] الله او الملك المنادى [كَذَٰلِكَ] خبر مبتدء محذوف اى الامر كما بشّرت به او متعلّق بيفعل يعنى مثل اعطاء الولد مـن غـير وجـود الاسـباب الطبيعيّة [ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ] كانت اسبابه موجودة او لم تكن، و قيل: كان استفهامه على سبيل التعرّف ايعطيهما الولد عـلى حـال الشّـيخوخة ام يجعلهما شابّين ثمّ يعطيهما، و قيل: يحتمل ان يكون اشتبه الامر عليه ايعطيه من أمرأته العجوز العاقر ام من امرأة أخرى شابّة صالحة للولد، و قيل: انّـما سأل ذلك ليعرف انّ البشارة كانت حقّة و كانت من الملك ام كانت من الشّيطان و لذلك [قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً] و قيل انّما قال ذلك ليتعرّف بها وقت الحمل ليزيد فى العبادة و الشّكر او ليـتعجّل السّـرور بـه [قَـالَ ءَايَـتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ] لاتقدر على التكلّم [ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا] اسـتثناء مفرّغ منقطع اى لكن ترمز اليهم رمزاً، او المراد بالتكلّم الافهام و الاسـتثناء متّصل و المعنى آيتك ان لاتفهم النّاس ما فى ضميرك نحواً من الافـهام الاّ افهام رمزاً و فى حال من الاحوال الاّ رامزاً او رامزين و انّما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصّةً دون ذكر الله ليخلص فى تلك المدّة لشكره و ذكره قضاء لحقّ النّعمة، و هذا دليل على انّ طلب الاية كان لمعرفة وقت الحمل طلباً لازدياد الشّكر و الذّكر.

[وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا] يعنى فى تلك الايّام عرّفه انّ حبس لسانه عن الكلام بغير ذكر الله لاعن ذكر الله ليكثر ذكر الله فى تلك المـدّة [وَسَـبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ] قيل من الزّوال الى الغروب، و قيل من العصر الى ذهاب صـدر

اللّيل و هذا هو المتبادر، و قيل: من الغروب الى ذهاب صدر اللّيل [وَٱلْإِبْكَٰرِ] من طلوع الفجر الى الضّحى و التّسبيح بمعنى التّنزيه و التّطهير لكنّه اذا نسب الى الله يراد به تنزيه من النّقائص مع عدم اعتبار تنزّهه عن النّسب و الاضافات، او مع اعتبار النّسب و الاضافات الى الكثرات كما سبق تحقيقه و تحقيق الفرق بينه و بين التّقديس فى اوّل سورة البقرة عند قوله و نحن نسبّح بحمدك و نقدّس لك.

تحقيق تسبيح الرّبّ و تسبيح اسم الرّبّ.

اعلم انّ فى كلّ فرد من افراد بنى آدم بل فى كلّ جزء من اجزاء العالم لطيفة الهيّة هى تربيّه و تحرّكه الى كمالاته الثّانويّة و تخرجه من القوى و الاستعدادات المودعة فيه الى فعليّاته، و تلك اللّطيفة بوجهٍ ربّه و بوجهٍ اسم ربّه و قول الشّاعر:

دل هر ذرّه راكه بشكافى آفتابيش در ميان بينى

و قول الاخر:

يكى ميل است با هر ذرّه رقّاص
كشاند ذرّه را تا مقصد خاصّ
رساند گلشنى را تا بگلشن
دواند گلخنى را تا بگلخن

اشارة الى هذه اللّطيقة و هذه محتجبة تحت اعدام الطّبع و رذائل النّفس، و تنزيهها عبارة عن تطهيرها عن الاعدام و النّقائص و الرّذائل و لايمكن ذلك الاّ بكثرة الذّكر المأخوذ ممّن كان مجازاً من الله بلاواسطة او بواسطة او بوسائط. و لذا أمر به بعد الامر بالذّكر الكثير و كلّما ذكر تسبيح مطلقاً او مقيّداً باسم الرّبّ او بالرّبّ او بالله واقعاً عليها بنفسه او متعلّقاً بها

باللّام او بالباء فالمراد تنزيه تلك اللّطيفة لانّها اسم للرّبّ و ربّ و نازلة من الله و المراد بالعشيّ و الابكار امّا تمام الاوقات فانّه قد يراد بذكر طرفى النّهار استغراق جميع الاوقات فى العرف، او خصوص طرفى النّهار فانّهما وقت نشاط النّفس و اشتداد شوقها الى اصلها بخلاف جوف اللّيل و وسط النّهار فانّهما وقت كلال النّفس و فتور القوى و لاتقربوا الصّلوة و انتم كسالى [وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ] عطف على قوله اذ قالت امرأة عمران او مستأنف بتقدير اذكر او ذكّر اذ قالت الملائكة لمريم شفاهاً سواء كانت رأتهم ام لم تر اشخاصهم لانّها كانت محدّثة و المحدّث قد يرى و قد لا يرى كما سبق الاشارة اليه عند قوله و اثمهما اكبر من نفعهما [يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَـٰكِ] من ذرّيّة الانبياء [وَطَهَّرَكِ] من السّفاح [وَٱصْطَفَـٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ] اى عالمى زمانك لولادة عيسى عليه السلام و هذا مضمون ما فى الخبر و قيل فيه اشياء أخر، و لعلّ المراد بالاصطفاء الاوّل اصطفاؤها بالنّظر الى نفسها و استعدادها و استحقاقها و بالاصطفاء الثّانى اصطفاؤها بالنّسبة الى نساء عالمها و لذا جاء بالتّطهير بينهما يعنى يا مريم انّ الله نظر اليك و وجدك اهلاً لخدمته و قربه فاصطفاك لخدمته و طهّرك من نقائص الكثرات و قرّبك اليه و افناك ممّا ينبغى ان يفنى عنه ثمّ ابقاك ببقائه و أحياك بحيوته و احياك بما يحيى الباقون بعد الفناء حتّى تفضّلت على نساء العالمين فاصطفاك عليهنّ [يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى] اطيعى او اديمى القيام فى العبادة او ادعى او اسكتى [لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى] اخضعى او انحنى [وَٱرْكَعِى] صلّى او كبّى على وجهك و امّا معنى القنوت و السّجود و الرّكوع الشرعيّة فغير مراد قطعاً اذا الحقائق الشرعيّة على فرض ثبوتها انّما هى فى شريعتنا لا فى الشّرائع السّابقة على انّ قنوت صلوة شريعتنا و سجودها و ركوعها غير ثابتة فى شريعتها و

على هذا فلا حاجة الى بعض التّوجيهات و لا الى القول بانّ الاية ممّا قدّم و أخّر بعض اجزائها [مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ] اى المصلّين الاتيان باسم الفاعل الدالّ على دوام الفعل و ثباته دون الّذين ركعوا للاشارة الى انّ الامر امر بدوام الرّكوع فانّ المصاحب بفعله لدائم الفعل لابدّ ان يكون دائم الفعل، و الاتيان بجمع المذكّر للاشارة الى تشريفها بجعلها فى عداد الرّجال [ذَٰلِكَ] الاخبار باخبار امّ مريم عليها السلام و زكريّا عليه السلام و مريم عليها السلام [مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ] اى من الانباء الّتى كانت فى غيب منك او من انباء الغائبين و الغائبات منك [نُوحِيهِ إِلَيْكَ] خبر بعد خبر او حال او خبر ابتداء او مستأنف جواب لسؤالٍ مقدّرٍ [وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ] قد مضى حكاية القرعة فى كفالة مريم [وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ] فى كفالة مريم حين لفّتها امّها فى خرقةٍ و اتت بها الى الاحبار او حين كبرها و عجز زكريّا عن تربيتها كما قيل، و يجوز ان يراد اذ يختصمون عند ولادة عيسى عليه السلام [إِذْ قَالَتِ] بدل من قوله اذ يختصمون او من قوله اذ قالت الملائكة يا مريم انّ الله اصطفيك و قوله و ما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم و ما كنت لديهم اذ يختصمون اذ قالت [ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ] تعليل لكون الاخبار فى غيب منه [يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ] قد مضى وجه تسمية عيسى عليه السلام لكلمة الله [ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ] و هو بالعربيّة بمعنى المبارك و له معان اخر تناسب التّسمية بها و قيل هو معرّب مشيحا بالسّريانية بمعنى المبارك [عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ] خبر بعد خبر او خبر مبتدء محذوف [وَجِيهًا] حال مقدّرة من كلمة و الجاه و الوجاهة رفعة المنزلة [فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ] من الله [وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ] هو ما يمهد لمضجع الصبىّ [وَكَهْلاً] يعنى يكلّم النّاس فى طفوليّته

كما تكلّم حين الشّهادة لنفسه و لأمّة بالطّهارة عن السّفاح بقوله انّى عبدالله اتانى الكتاب او يكلّم النّاس فى طفوليّة بالرّسالة و المحاجّة عليها فانّه بعث فى ابن خمس او ابن سبع و فى زمان بلوغه مبلغ الكمال لاالكهولة العرفيّة على ما قيل انّه رفع فى شبابه و قيل: انّ المرادبتكلّمه كهلاً تلكّمه حين نزوله من السّماء [وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ قَالَتْ] مثل زكريّا عليه السلام مستغربة بحسب الاسباب الطبيعيّة [رَبِّ أَنَّىٰ] كيف [يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ] و يجوز ان يكون استفهاماً و سؤالاً لتعلم انّ الولد يكون بلازوج او يكون بعد تزوّجها [قَالَ كَذَٰلِكِ] الولد من غير مسيس البشر [ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا] استيناف جواب سؤالٍ مقدّرٍ عن كيفيّة خلقه ما يشاء [فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ] من غير اسبابٍ كما جرى سنّته بان يخلق الاشياء الطبيعيّة تدريجاً بالاسباب [وَيُعَلِّمُهُ] قرئ بالنون و بياء الغيبة و هو عطف على يخلق امر على الله يخلق او على كذلك الله يخلق ما يشاء، و يجوز ان يكون عطفاً على ما قبل قوله تعالى: قالت ربّ انّى يكون لى ولد و يكون هذا القول معترضاً حتّى يكون تعليمه الكتاب ممّا بشّرت به و المعنى انّ الله يبشّرك بكلمة يعلّمه [ٱلْكِتَـٰبَ] قد مضى تحقيق الكتاب فى اوّل الكتاب و يجون ان يراد به الكتابة هنا فانّه قيل انّ الله أعطى عيسى عليه السلام تسعة اجزاء من الخطّ و سائر النّاس جزئاً واحداً [وَٱلْحِكْمَةَ] آثار الولاية [وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ] خصّ الكتابين لشرفهما بالنّسبة الى سائر الكتب السّالفة [وَرَسُولًا] عطف على يعلّمه الكتاب على ان يكون هو عطفاً على ما قبل قالت ربّ انّى يكون لى ولد او عطف عليه بتقدير يرسله او يكلّم رسولاً [إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ] خصّ بنى اسرائيل لانّه كان رسولاً اليهم، او لانّهم كانوا اشرف المرسل اليهم، او لانّ المراد ببنى اسرائيل من لم ينقطع نسبته

الفطريّة الى الانبياء فانّهم المنتفعون بهم و المرسل اليهم حقيقة [أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم] بانّى قد جئتكم على تقدير التكلّم و النّطق قبل رسولاً او تضمين رسولاً معنى النّطق [بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ] حجّة لاتشكّون انّها ليست من قوّة البشر على صحّة نبوّتى [أَنِّىٓ أَخْلُقُ] بدل من آية من ربّكم او بدل من انّى قدجئتكم او خبر مبتدءٍ محذوف اى هى انّى اخلق [لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ] اى فى هذا الطّين او فى المخلوق من الطّين او مماثل هيئة الطّير على ان يكون الكاف اسماً [فَيَكُونُ طَيْرَۢا] اى حيّاً ذا لحم و عظم و جناح و طيران و لمّا كان صيرورة الطّين لحماً و عظماً و جناحاً و ذاحيوة ممّا يخرج من قدرة البشر قيّده بقوله تعالى [بِإِذْنِ ٱللَّهِ] لئّلا يتوهّم متوهّم ما توهمّه النّصارى فى حقّه والمعروف انّه الخفّاش المعروف [وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ] الاعمى او الّذى ولد اعمى او الممسوح العين [وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ] تكرار باذن الله للاهتمام بدفع ذلك التوهّم، و لمّا كان الغالب فى زمان عيسى عليه السلام والمعتبر فى انظار اهله الطّبابة و المعالجات الغريبة الّتى يعجز عن امثالها اكثر اطّباء الامصار اعطى الله تعالى عيسى عليه السلام آية من سنخ ما كان معتبراً عندهم خارجة عن قدرة البشر حتّى يعترفوا بعد ما عرفوا بحذاقتهم انّها خارجة عن قدرتهم بأنّها من الله [وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ] يعنى اخبركم بأحوالكم الّتى هى معلومة لكم و غائبة عنّى حتّى تعلموا انّى اعلم المغيبات [إِنَّ فِى ذَٰلِكَ] المذكور من خلق الطّير من الطّين الى قوله و ما تدّخرون او فى ذلك الانباء [لَأَيَةً] عظيمة [لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ] اى ان كان سجيّتكم الاذعان و التّصديق بما يذعن به او ان كنتم مؤمنين بالانبياء السّلف، نسب الى الباقر عليه السلام انّه قال: انّ عيسى عليه السلام كان يقول لبنى اسرائيل: انّى رسول

الله اليكم و انّى اخلق لكم من الطّين كهيئة الطّير فانفخ فيه فيكون طيراً باذن الله و ابرئ الاكمه و الابرص، و الاكمه هو الاعمى قالوا: ما نرى الّذين تصنع الاّ سحراً فأرنا آيةً نعلم انّك صادق قال: أرأيتكم ان اخبرتكم بماتأ كلون و ما تدّخرون في بيوتكم يقول ماأ كلتم في بيوتكم قبل ان تخرجوا و ما ادّخرتم باللّيل تعلمون انّى صادق؟ـ قالوا: نعم و كان يقول: انت اكلت كذا و كذا، و شربت كذا و كذا، و رفعت كذا و كذا، فمنهم من يقبل منه فيؤمن، و منهم من يكفر، و كان لهم في ذلك آية من كانوا مؤمنين [وَ مُصَدِّقًا] عطف على رسولاً او على قد جئتكم بتقدير جئت او عطف على اخلق بتقدير كنت او جئت بان جعل تصديقه للتّورية آية صدقة و المعنى انّه قد جئتكم باية من ربّكم انّى كنت مصدّقاً [لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم] عطف على مصدّقاً باعتبار المعنى فانّ المقصود منه التّعليل او عطف على جئت مصدّقاً بتقدير جئت او عطف على قد جئت باية من ربّكم بتقدير جئت لاحلّ لكم [بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ] ببغيكم مثل كلّ ذى ظفر و شحوم البقر و الغنم و بعض الاعمال في يوم السّبت و غير ذلك، نسب الى الصّادق عليه السلام انّه قال كان بين داود عليه السلام و عيسى بن مريم عليه السلام اربعمائة و كانت شريعة عيسى عليه السلام انّه بعث بالتّوحيد و الاخلاص و بما اوصى به نوح عليه السلام و ابراهيم عليه السلام و موسى عليه السلام و أنزل عليه الانجيل و أخذ عليه الميثاق الّذى أخذ على النّبيّين و شرع له في الكتاب اقام الصّلوة مع الدّين و الامر بالمعروف و النّهى عن المنكر و تحريم الحرام و تحليل الحلال و انزل عليه في الانجيل مواعظ و امثال و حدود و ليس فيها قصاص و لااحكام حدود لافرض مواريث و أنزل عليه تخفيف ما كان على موسى في التّوراة و هو قول الله عزّ و جلّ في الّذى قال عيسى بن مريم عليه السلام لبنى اسرائيل و لاحلّ لكم بعض الّذى حرّم عليكم و امر عيسى عليه السلام

من معه ممّن اتّبعه من المؤمنين ان يؤمنوا بشريعة التّوراة و الانجيل [وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ] كان احلال المحرّمات فى شريعة ثابتة مصدّقة محلّاً للانكار و موهماً لكذب المحلّل واراد ان يأمر بطاعته بعد ما اتى بما هوموهم لكذبه كرّر قوله جئتكم باية من ربّكم ليكونوا على ذكر من معجزاته فلا ينكروه ولا ينكروا امره [فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ] يعنى اذاكنت جئتكم باية من ربّكم دالّة على رسالتى منه فاتّقوا اسخطه فى مخالفتى [وَأَطِيعُونِ] فيما أدعوكم اليه و فيما أمرتكم به و نهيتكم عنه.

تحقيق كون الانسان فطرىّ التعلّق و اقتضاء ذلك الايتمام بامرٍ

اعلم انّ اللّطيفة السيّارة الانسانيّة خلقت مفطورة التعلّق بمعنى انّ التعلّق ذاتىٌّ لها لاانّه عرضىّ لها كسائر الاعراض بل نقول: ذاتها ليست الاّ التعلّق وكلّما كان سواها فهو ليس ذاتاً و لاذاتيّاً لها بل هو عرضىٌّ مانع لها من ظهورها بذاتها و عائق لها عن قربها من اصلها وكمالها بطرح ما سوى التعلّق و ظهور التعلّق بدون قيد من القيود و لذلك قال تعالى حين تماميّة كمال محمّد ﷺ وكمال قربه من مبدئه دنا فتدلّى يعنى انتهى فى دنّوه حتّى لم يبق له الاّ التدلّى الّذى هو ذاته و الّافالتدلّى كان له من اوّل وجوده، و قولهم: القيد كفر و لو بالله؛ اشارة الى انّ ذات الانسان تعلّق محض من دون ضميمة قيدٍ اليها و كلّما ضمّ اليه قيد من القيود و لو كان تقيّداً بالله اقتضى ذلك القيد الاثنينيّة و الاستقلال فى الوجود وحجبه عن ذاته و عن مشاهدة ربّه، و هذابخلاف سائر الموجودات الامكانيّة فانّها كلّها متحدّدات بحدود مخصوصة يكون كمالها ببلوغها الى تلك الحدود و وقوفها فى تلك المواقف واستقلالهابحدودها فهى و ان كان مقتضية للتعلّق لكنّ التعلّق فيها مختفية تحت التحدّد و الاستبداد و

كانت ارباب انواعها تحب ربّ نوع الانسان لتحدّدها و اطلاقه و لمّا كانت تلك اللّطيفة بذاتها مقتضية للتعلّق و كان التّكليف مطابقاً للتّكوين امروا العباد بالاقتداء و التعلّم و الايتمام و الطّاعة و ذكروا انّ طاعة الامام اصل كلّ الخيرات فانّه نسب الى ابن جعفر عليه السلام انّه قال: زروة الامر و سنامه و مفتاحه و باب الاشياء و رضى الرّحمن تبارك و تعالى الطّاعة للامام بعد معرفته ثمّ قال: انّ الله تبارك و تعالى يقول: من يطع الرّسول فقد أطاع الله؛ و فى هذا المعنى اخبار كثيرة. و نسب الى علىّ عليه السلام انّه قال: اعلموا انّ صحبة العالم اتّباعه دين يد ان الله به، و طاعته مكسبة للحسنات، ممحاة للسيّئات، و ذخيرة للمؤمنين، و رفعة فيهم فى حيوتهم، و حبل بعد مماتهم، بل ورد فى اخبار كثيرة صراحة و اشارة الى انْ لاخير و لاحسنة لغير المطيع، و لاذنب للمطيع، و ان اتى غير العارف المطيع للامام بجميع اعمال الخير و العارف المطيع بجميع اعمال الشرّ، و الاخبار الدّالّة على انّ من مات و لم يكن له امام مات ميتة الجاهليّة او ميتة كفر؛ تدلّ على فضل الطّاعة للامام، و لذلك امر الانبياء اممهم اوّل دعوتهم بالتّقوى الّتى هى قبل الاسلام ثمّ بالطّاعة لهم و قال الكبار من المشايخ رحمهم الله: ان كنت تحت طاعة عبدٍ حبشيٍّ كان خيراً لك من ان تكون تحت طاعة نفسك، و قال الفقهاء رضي الله عنهم: من عمل من المقلّدين بطاعة ربّه من غير تقليدٍ لعالم وقته و كان عمله مطابقاً لحكم الله كان باطلاً غير مقبول ان كان مقصّراً فى ترك التقليد، و الاخبار الدّالّة على وجوب طلب العلم مثل: طلب العلم فريضة على كلّ مسلم و مسلمة، و مثل: لو يعلم النّاس ما فى طلب العلم لطلبوه و لو بسفك المهج و خوض اللّجج و الاخبار الدّالّة على انّ اصناف النّاس ثلاثة: عالم و متعلّم و غثاء، او همج، او سواقط، كلّها تدلّ على وجوب الطّاعة فانّ العلم على التّحقيق ليس بمحض انتقاش النّفوس بنقوش

المحسوسات و المظنونات و المعلومات، بل هو من شؤن النّفوس و فعليّاتها في طريق الانسان لانّ انتقاش النّفوس بنقوش المدركات و فعليّاتها و شؤنها اذا لم تكن في طريق الانسان بل كانت الشّيطان او الحيوان لم يكن علماً بل يسمّى جهلاً عند اهل الله، و الحقّ انّه لايحصل فعليّة في طريق الانسان بعد بلوغ الانسان مبلغ الرّجال الاّ باتّباع صاحب الطّرق و طاعته. فانّ الانسان لاتوجّه له اختياراً من اوّل طفوليّته الّا الى البهيميّة و السّبعيّة، و اذا بلغ اوان التّكليف يزداد عليهما الشّيطنة و ان كان يحصل له حينئذٍ زاجرٌ الهيٌّ ايضاً لكنّ الزّاجر الالهيّ يكون في غاية الضعف و هذه الثّلاثة في غاية القّوة و لايمكنه الخلاص من حكومة هذه و السّير على الطّريق المستقيم الانسانيّ الاّ بالتمسّك بولاية صاحب الولاية الّتي هي العروة الوثقى الّتي لاانفصام لها، و قوله تعالى ضربت عليهم الذلّة اينما ثقفوا الاّ بحبل من الله و حبل من النّاس اشارة الى الزّاجر الالهيّ اعني الولاية التكوينيّة و الى الولاية التكليفيّة يعني لايكفي الحبل من الله الاّ بضميمة الحبل من النّاس الّذي هو الولاية و الطّاعة لوليّ الامر، و لعدم حصول العلوم و الفعليّات في طريق الانسان الاّ باتّباع الامام او من اجازه للاقتداء قالوا بطريق الحصر: نحن العلماء و شيعتنا المتعلّمون و سائر النّاس غثاء، و لعلّ بعضهم لم يتعلّموا ساعة بطريق المعروف بل كان جمّالاً او راعياً او محترفاً، و لمّا كان حصول الفعليّات و العلوم في طريق الانسان بسبب الاتّصال المعنويّ الّذي عبّر عنه بالحبل و كان الاتّصال الصوريّ سبباً للاتّصال المعنويّ و قنطرةً له كان الانبياء عليهم السلام و اوصياؤهم عليهم السلام من لدم آدم عليه السلام الى الخاتم صلى الله عليه و آله مهتمّين بأمر البيعة و عقد الايمان و معانين فيها و لم يكونوا اليدعوا احداً من تابعيهم بدون اخذ البيعة و الميثاق عنه [إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ في مقام التّعليل للامر بتقوى الله و لمّا اراد تعليل الامر

بالتّقوى بالالهة و بالمرسلية و بربوبيّتهم اتى بهذه العبارة فكأنّه قال: جئتكم باية من ربّكم دالّة على صدقى فى ادّعائى الرّسالة فاتّقوا الله فى مخالفتى لالهته و ربوبيّته لكم و ارساله ايّاى لانّ صاحب الالهة هو ربّكم و ربّكم مرسلى اليكم [فَاعْبُدُوهُ] اى اذا كان الله ربّكم فاعملوا له اعمال العبيد او صيروا عبيداً له خارجين من عبوديّة أنفسكم [هَـٰذَا] المذكور من العبادة و اعتقادالربوبيّة او من التّقوى و الطّاعة للنّبىّ [صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ] فانّ العبادة و الخروج من الانانيّة و الدّخول تحت امر الامر الالهىّ صراط مستقيم انسانىّ كما سبق و كذا التّقوى الّتى هى الخروج من الانانيّة و الاستقلال بالرّأى و الطّاعة اى الدّخول تحت امر الامر الالهىّ صراط مستقيم انسانىّ [فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ] بعد ما دعاهم الى الله و أتمّ لهم الحجّة و المراد باحساس الكفر ادراكه اوّل الادراك و لذا فسّر فى الخبر بقوله عليه السلام لمّا سمع و رأى انّهم يكفرون [قَالَ] معرضاً عنهم مقبلاً على الله داعياً لمن يريد الموافقة له [مَنْ أَنصَارِىٓ] حمل الجمع على لفظ من باعتبار معناه اى من الّذين يذهبون معى بالاعانة لى [إِلَى ٱللَّهِ] او من انصارى مع الله لاظهار الدّين و اعلانه؟ او من انصارى مع الله على معاداة الكفّار و مقاتلتهم؟ و يجوز ان يكون معيّة الله مع الانصار و مع المنصور؛ هكذا فسّرت الاية، لكنّ الاوّل هو المراد لانّه كما نقل كان كلّما احسّ من قوم كفراً و معاداةً اعرض عنهم فرّ منهم الى قوم آخر [قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ] سمّوا به لأنّهم كانوا قصّارين يبيّضون الثّياب روى انّهم اتّبعوا عيسى عليه السلام و كانوا اثنى عشر و كانوا اذا جاعوا قالوا: يا روح الله جعنا فيضرب بيده على الارض سهلاً كان او جبلاً فيخرج لكلّ انسان منهم رغيفين يأكلهما، و اذا عطشوا قالوا: يا روح الله عطشنا فيضرب بيده على الارض سهلاً كان او جبلاً فيخرج ماءً فيشربون؛

قالوا: يا روح الله من افضل منكم من يعمل بيده و يأ كل من كسبه، فصاروا يغسلون الثّياب بالكرى او لانّهم كانوا مبيّضى الثّياب، او لانّهم كانوا انصاراً له فانّ الحوارىّ يطلق على النّاصر و على ناصر الانبياء، او لانّهم كانوا مبيّضى القلوب مخلصين فى أنفسهم و مخلصين غيرهم من دنس الذّنوب و اصله الحوار اتّصل به الياء المشدّدة للمبالغة و كأنّه لم يستعمل فى هذه المعانى بدون الياء [نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ] كان اقتضاء التّوافق فى الجواب ان يقولوا: نحن انصارك الى الله لكنّهم عدلوا الى هذا للاشعار بانّ نصرته نصرة الله من غير فرق [ءَامَنَّا بِاللَّهِ] استيناف بيانىّ فى مقام التّعليل او لبيان حالهم [وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ] منقادون مطيعون، او المراد بالايمان الاذعان و بالاسلام البيعة العامّة، او المراد بالايمان و الاسلام كليهما البيعة العامّة النبويّة و قبول دعوة الظّاهرة ثمّ صرفوا الخطاب عن عيسى عليه السلام و خاطبوا الله بقولهم [رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ] على عيسى عليه السلام او بجملة ما انزلت [وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ] يعنى عيسى عليه السلام [فَاكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ] بوحدانيّتك و رسالة رسولك او مع محمّد صلى الله عليه وآله و امّته فانّهم الشّهداء على النّاس بقوله تعالى: لتكونوا شهداء على النّاس و يكون الرّسول عليكم شهيداً [وَمَكَرُوا۟] اى اليهود الّذين احسّ عيسى عليه السلام منهم الكفر مكروا القتله بما سيجىء و المكر اخفاء المقصود و اظهار غيره للعجز عن امضاء المقصود جهاراً و بهذا المعنى لايجوز اطلاقه على الله الاّ من باب المشاكلة [وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ] من حيث المكر لكون الاخفاء و الاعلان بيده و فى حكمه بخلاف غيره من الماكرين، او لكون المكر منه عدلاً و من غيره ظلماً، او لكون مكروه و استدراجه ماضياً لامحالة دون غيره.

تفصيل حال عيسى و اخذه و صلبه

نقل انّ عیسی عليه السلام بعد اخراج قومه ایّاه من بین اظهر هم عاد الیهم مع الحواریّین و صاح فیهم بالدّعوة فهمّوا بقتله و تواطؤوا علی القتل فذلك مکرهم به، و مکر الله بهم القاؤه شبهه علی صاحبه الّذی اراد قتل عیسی عليه السلام حتّی قتل و صلب و رفع عیسی عليه السلام الی السّماء و قیل: لمّا اراد ملك بنی اسرائیل قتل عیسی عليه السلام دخل خوخته و فیها کوّة فرفعه جبرئیل من الکوّة الی السّماء و قال الملك لرجل منهم خبیث: ادخل علیه فاقتله فدخل الخوخة فألقی الله علیه شبه عیسی عليه السلام فخرج الی اصحابه یخبرهم انّه لیس فی البیت فقتلوه و صلبوه و ظنّوا انّه عیسی عليه السلام و قبل اسرّوه و نصبوا له خشبة لیصلبوه فأظلمت و صلبوه و ظنّوا انّه عیسی عليه السلام و قیل اسرّوه و نصبوا له خشبة لیصلبوه فأظلمت الارض و ارسل الله الملائکة فحالوا بینه و بینهم فأخذوا رجلاً یقال له یهوداً و هو الّذی دلّهم علی المسیح و ذلك انّ عیسی عليه السلام جمع الحواریّین تلك اللّیلة و أوصاهم ثمّ قال: لیکفرّن بی احدکم قبل ان یصیح الدّیك بدراهم یسیرةٍ؛ فخرجوا و تفرّقوا، و کانت الیهود تطلبه فاتی احد الحواریّین الیهم فقال: ما تجعلون لی ان ادلّکم علیه؟ فجعلوا له ثلاثین درهماً فاخذها و دلّهم علیه فالقی الله علیه شبه عیسی عليه السلام لمّا دخل البیت و رفع عیسی عليه السلام فأخذ فقال: انا الّذی دللتکم علیه فلم یلتفتوا الی قوله و صلوبه و هم یظنّون انّه عیسی عليه السلام فلمّا صلب شبه عیسی عليه السلام و اتی علی ذلك سبعة ایّام قال الله عزّ و جلّ لعیسی عليه السلام: اهبط علی مریم لتجمع لك الحواریّین فهبط و اشتعل الجبل نوراً فجمعت له الحواریّین فبثّهم فی الارض دعاةً ثمّ رفعه الله سبحانه و تلك اللّیلة هی اللّیلة الّتی یدّخر فیها النّصاری فلمّا اصبح الحواریّون حدّث کلّ واحد منهم بلغة من ارسله عیسی عليه السلام الیهم فذلك قوله عزّ و جلّ، و مکروا و مکر الله و الله خیر الماکرین، و ذکر فی الانجیل انّ یهودا الّذی دلّهم علی عیسی عليه السلام ندم علی

فعله و القى الدّراهم اليسيرة و كانت ثلاثين قطعة من الفضّة فى معبدهم و قتل نفسه. و ورد فى اخبارنا انّه القى شبه عيسى عليه السلام على شابّ من تابعيه ليكون معه فى درجته. و فى الانجيل انّ الّذى كفر به اللّيلة الّتى اخذ فيها ثلاث مرّات قبل ان يصيح الدّيك كان شمعون و انّه كفربه، و انكره ثلاث مـرّات، و فـى الانجيل انّ اليهود صلبوا عيسى عليه السلام و التمس رجل من تابعيه من المـلك ان يدفن جثّته فأذن له و دفنه فى قبر نحته من الحجر لنفسه و القى على بابه حجراً عظيماً ثمّ رفع من القبر بعد الموت و اجتمع له الحواريّون و علّم كلّ بلغة من ارسل اليهم، و روى عن النّبىّ صلى الله عليه وآله انّه قال بعث الله عيسى بـن مـريم عليه السلام و استودعه النّور و العلم و الحكم و جميع علوم الانبياء قبله و زاده الانجيل و بعثه الى بيت المقدّس الى بنى اسرائيل يدعوهم الى كـتابه و حكـمته و الى الايمان بالله و رسوله فابى اكثرهم الاّ طغياناً و كفراً فلمّا لم يؤمنوا دعا ربّه و عزم عليه فمسخ منهم شياطين ليريهم آية فيعتبروا فلم يزدهم ذلك الاّ طغياناً و كفراً فاتى بيت المقدّس فمكث يدعوهم و يرغّبهم فيما عندالله ثلاثة و ثلاثين سنة حتّى طلبته اليهود و ادّعت انّها عذّبته و دفنته فى الارض حيّاً، و ادّعى بعضهم انّهم قتلوه و صلبوه و ما كان الله ليجعل لهم سلطاناً عليه و انّما شّبه لهم، و روى عن الباقر عليه السلام انّ عيسى عليه السلام وعد اصحابه ليلة رفعه الله اليه فاجتمعوا اليه عند الماء وهم اثنا عشر رجلاً فأدخلهم بيتاً ثمّ خرج عليهم من عـين فـى زاوية البيت و هو ينفض رأسه من الماء فقال انّ الله اوحى الىّ انّه رافعى اليه السّاعة و مطهّرى من اليهود فايّكم يلقى عليه شبحى فيقتل و يصلب فيكون معى فى درجتى؟ـ فقال شابّ منهم: انا يا روح الله قال فأنت هو فـقال لهـم عيسى عليه السلام اما انّ منكم من يكفر بى قبل ان يصبح اثنتى عشرة كفرة فقال له رجل منهم انا هو يا نبىّ الله فقال عيسى عليه السلام اتحسّ بذلك فى نفسك فلتكن هو

ثمّ قال لهم عيسى عليه السلام اما انّكم ستفرقون بعدى على ثلاث فرق، فرقتين مفتريتين على الله فى النّار و فرقة تتّبع شمعون صادقة على الله فى الجنّة، ثمّ رفع الله عيسى عليه السلام اليه من زاوية البيت و هم ينظرون اليه ثمّ قال انّ اليهود جائت فى طلب عيسى عليه السلام من ليلتهم فأخذوا الرّجل الّذى قال له عيسى عليه السلام انّ منكم لمن يكفر بى قبل ان يصبح اثنتى عشرة كفرة، و أخذوا الشابّ الّذى القى عليه شبه عيسى عليه السلام فقتل و صلب و كفر الّذى قال له عيسى عليه السلام يكفر بى قبل ان يصبح اثنتى عشرة كفرةً.

[إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ] اى قابضك من الارض بحيث لم ينالوا منك شيئاً من غير قبض روحك من توفّيت مالى بمعنى أخذته بتمامه او متوفّيك توفّى منامٍ على ما روى انّه رفع نائماً نظيره قوله هو الّذى يتوفّاكم باللّيل اى ينيمكم او متوفّيك توفّى مماةٍ؛ على ما نقل انّه اماته ثلاث ساعاتٍ او على ما نقل فى الانجيل انّه صلب و قتل و دفن او هو على التّقديم و التّأخير معنى بناء على انّ الواو لايفيد ترتيباً اى انّى رافعك ثمّ متوفّيك [وَرَافِعُكَ إِلَىَّ] اى الى سمائى و سمّى رفعه الى السّماء رفعاً الى نفسه تشريفاً للسّماء لانّهابمنزلة حضرته [وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟] من لوث مجاورتهم و معاشرتهم او من منقصة قصدهم و قتلهم ايّاك [وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟] بك من اليهود المكذّبين و غيرهم و امّاالمسلمون فانّهم غير مكذّبين له و غير كافرين به بل هم الّذين اتّبعوه حقيقة فى اخباره ببعثة محمّد صلى الله عليه وآله فهم ايضاً فوق الّذين كفروا بالحجّة و الغلبة فى الدّنيا و الاخرة، و اتى باسم الفاعل فى الاوصاف المذكورة الدالّ على الثّبات والاستمرار للاشارة الى انّها واقعة منه من حين التكلّم و على هذا يجوز ان يكون [إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ] متعلّقاً بالجميع على سبيل التّنازع لابجاعل

الّذين اتّبعوك فقط [ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ] الخطاب لعيسى عليه السلام و تابعيه و مكذّبيه [فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ] ثمّ بيّن الحكم بينهم بقوله تعالى [فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا] كون هذه الجملة تفصيلاً لقوله تعالى فاحكم بينكم و ترتّب قوله فاحكم بينكم على قوله تعالى ثمّ الىّ مرجعكم و تعقبيه لقوله تعالى و جاعل الّذين اتّبعوك فوق الّذين كفروا الى يوم القيامة يدلّ على انّ الرّجوع الى الله بعد اتمام جعلهم فوق الكفّار بالوصول الى يوم القيامة و التّعذيب فى الدّنيا يكون بعد رجوعهم الى الله و هو يدلّ على انّ الرّجوع الى الله يجوز ان يقع حين كونهم فى الحيوة الدّنيا كما عليه محقّقوا العلماء و العرفاء يعنى اذا تمّ فوقيّة المؤمنين على الكفّار بوصولهم الى يوم القيامة حالكونهم فى الحيوة الدّنيا انقلب ابصارهم و رأوا رجوع الكلّ الى الله و انّه فى المحاكمة بينهم بتعذيب الكفّار فى الدّنيا برذائل النّفوس و وارداتها و مخوفاتها بحيث يحسبون كلّ صيحةٍ عليهم و بالواردات الغير الملائمة من القتل و الاسر و النّهب و غير ذلك [وَٱلْأَخِرَةِ] بأنواع العذاب الجحيم او فى الدّنيا بالواردات الغير الملائمة البدنيّة و فى الاخرة بالاوصاف و الواردات الغير الملائمة النّفسانيّة [وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ] لافى الدّنيا و لافى الاخرة [وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ] فى الدّنيا و الاخرة بقرينة من الكافرين للاشعار بذمّ آخر لهم [وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ] اى يبغض كما مرّ مراراً [ٱلظَّـٰلِمِينَ] ابدل الظّالمين من الكافرين للاشعار بذمّ آخر لهم [ذَٰلِكَ] المذكور من قوله انّ الله اصطفى آدم و نوحاً الى قوله و الله لايحبّ الظّالمين و اتى باسم الاشارة البعيدة مقدّماً للاشعار بتعظيمه [نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأَيَـٰتِ] من بيانيّة و المراد بالايات

الايات التّدوينيّة او الايات العظام من الانبياء المذكورين و امّ مريم و مريم و زكريّا و يحيى عليه السلام و عيسى عليه السلام و ابناؤهم المذكورة [وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ] تعبير عن الايات بوصف آخر فانّها كلّها ذكر لله لانفسها و لغيرها بحيث لايتطرّق النّسيان و الغفلة و لاالابطال و الافساد اليها،

او من فى قوله من الايات ابتدائيّة اى نأخذها من الايات العظام الّتى هى الّذكر الحكيم و الكتاب المبين و اللّوح المحفوظ و القلم الاعلى و لمّا كان خلق عيسى عليه السلام بلااب محلّاً للشّكّ و الانكار و موهماًللريبة و البهتان كما وقع ذلك لليهود و النّصارى فقال بعضهم انّه من السّفاح و بعضهم انّه من يوسف النّجّار الّذى كانت مريم عليها السلام فى خطبته كما كان موهماًللغلو و الالهة حتّى قالوا: انّه آله و كان مورثاً للسّؤال عن حاله هل له مثال ردّ الله تعالى هذا الوهم و اجاب عن هذا السّؤال فقال: [إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ] فلاغرو فى خلقه بلااب لانّ آدم عليه السلام خلق بلااب و امّ و هم يقرّون به مع انّه اغرب [خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ] مستأنف جواب لسؤال مقدّر او حال بتقدير قد و بيان لوجه الشّبه يعنى خلق عيسى عليه السلام من الرّيح مثل خلق آدم من التّراب، و نكّر التّراب للاشعار بأنّه كان تراباً خاصّاً لايمكن تعريفه [ثُمَّ قَالَ لَهُۥ] اى لادم و الاتيان بثمّ للتفاوت بين الاخبارين فانّ التّفصيل مرتبة بعد الاجمال او المعنى قدّر خلقه من تراب ثمّ قال له [كُن] او صوّر صورته من تراب ثمّ قال له كن بشراً تامّاً [فَيَكُونُ] و قد مرّ هذه الكلمة و بيانها عند قوله بديع السّماوات و الارض و اذا قضى امراً فانّما يقول له كن فيكون من سورة البقرة [ٱلْحَقُّ] اى هذا المذكور من خلق عيسى عليه السلام بلااب و عدم كونه من سفاحٍ، او من ابٍ وكونه مخلوقاً لله لاالهاً هو الحقّ [مِن رَّبِّكَ] او الحقّ مبتدء و من ربّك خبر عنه و المعنى انّ جنس الحقّ او جميع

افراده من ربّك فلا حقّ من غيره و كلّما كان مغايراً لما هو من ربّك فهو باطل [فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ] فى توحيد الله بسبب قولهم انّه ثالث ثلاثة، و لا فى رسالتك بانكارهم رسالتك، و لا فى امر عيسى عليه السلام بقولهم انّه ولد من ابٍ من سفاحٍ او انّه ربّ او انّه ابن الله [فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ] اى فى عيسى عليه السلام او فى الحقّ الّذى من ربّك من التّوحيد و رسالتك و خلق عيسى عليه السلام و كونه بنفخ من الله من غير سفاح و من غير ابٍ و فى كونه عبداً غير ربّ [مِن م بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ] من بيانيّة او تبعيضيّة و لم يقل من بعد ما اخذت او تعلّمت العلم للاشعار بانّ العلم اجلّ و ارفع من ان يحصل بالكسب و انّما هو نور يقذفه الله فى قلب من يشاء و التّفسير بمجىء البيّنات الموجبة للعلم كما عن العامّة تفسير مستغنى عنه [فَقُلْ] لهم بعد ان لم ينجع فيهم الحجّة و لم يرتدعوا بالبيان و البرهان [تَعَالَوْاْ] الينا او الى مجتمع النّاس حتّى نجىء نحن للحجّة الفارقة الّتى لا يشكّ احد عند مشاهدتها فى الغالب و المغلوب و المحقّ و المبطل و تلك الحجّة هى الابتهال الّذى هو الاجتهاد فى الدّعاء بخير او بشرٍّ ليلحق لعن الحقّ تعالى و عقوبته للمبطل منّا و يظهر بطلانه، و دعاء الخصم الى مثل هذا الامر لا يكون الاّ من العلم بصدق نفس الدّاعى و بطلان خصمه و اليقين باجابة الله له، فانّ الشاكّ فى امره لا يجترئ على مثل هذا الامر، و الشاكّ فى الاجابة يتخوّف من بطلان الدّعوى بعدم الاجابة، و لكونه على يقين من أمره أمر بدعاء أعزّة آهالهم فانّ الانسان لا يقدم على اهلاك اهله معه بل يخاطر بنفسه دونهم و يجعل نفسه غرضاً للبلايا و القتل لحفظهم و لذلك قدّم الاهمّ فالاهمّ فانّ الابناء اعزّ الانفس على الرّجل ثمّ النّساء لانّ غيرة النّاموس تقتضى الدّخول فى المهالك لحفظهنّ و من ثمّ كانوا يسوقون الظّعائن فى الحروب معهم لتمنعهم من الهرب و قال: تعالوا.

تحقيق شرافة من كان مع محمّد فى المباهلة

[نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ] هذا من قبيل قالوا كونوا هوداً او نصارى [وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ] يجتهد كلّ منّا فى الدّعاء على الاخر [فَنَجْعَل] بدعائنا [لَّعْنَتَ ٱللَّهِ] طرد الله و ابعاده من رحمته و هو كناية عن العقوبة [عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ] هذه الاية من أدلّ الدّلائل على صدقه فى نبوّته، و على شرافة من أتى بهم للمباهلة و كونهم أعزّة اهله و اصحابه، و لا خلاف بين الفريقين انّه ﷺ لم يأت بأحدٍ معه للمباهلة سوى الحسنين عليهما السلام و فاطمة عليها السلام و عليّ عليه السلام. روى عن الصّادق عليه السلام انّ نصارى نجران لمّا و فدوا على رسول الله ﷺ و كان سيّدهم الاهتم و العاقب و السيّد و حضرت صلوتهم فأقبلوا يضربون بالنّاقوس و صلّوا فقال اصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله ﷺ هذا فى مسجدك؟- فقال: دعوهم، فلمّا فرغوا دنوا من رسول الله ﷺ فقالوا الى ما تدعو؟- فقال: الى شهادة ان لا اله الّا الله و انّى رسول الله ﷺ و انّ عيسى عبد مخلوق يأكل و يشرب و يحدث، قالوا: فمن ابوه؟-فنزل الوحى على رسول الله ﷺ فقال: قل لهم ما تقولون فى آدم عليه السلام اكان عبداً مخلوقاً يأكل و يشرب و يحدث و ينكح؟-فسألهم النّبيّ ﷺ، فقالوا: نعم، قال: فمن أبوه؟-فبهتوا أنزل الله: انّ مثل عيسى عندالله كمثل آدم الى قوله فنجعل لعنة الله على الكاذبين، فقال رسول الله ﷺ: فباهلونى فان كنتُ صادقاً انزلت اللعنة عليكم و ان كنتُ كاذباً انزلت علىّ، فقالوا: انصفت فتواعدوا للمباهلة فلمّا رجعوا الى منازلهم قال رؤساؤهم: ان باهلنا بقومه باهلناه فانّه ليس نبيّاً و ان باهلنا بأهل بيته خاصّة فلا نباهله فانّه لا يقدم الى اهل بيته الاّ و هو صادق، فلمّا أصبحوا جاؤا الى رسول الله ﷺ و معه أميرالمؤمنين عليه السلام و فاطمة عليها السلام و الحسن عليه السلام و الحسين عليه السلام فقال النّصارى: من هؤلاء؟-فقيل

لهم: انّ هذا ابن عمّه و وصيّه و ختنه علىّ بن ابى طالب عليه السلام و هذه بنته فاطمة عليها السلام و هذان ابناه الحسن عليه السلام و الحسين عليه السلام ففرقوا و قالوا الرّسول الله صلى الله عليه و آله: نعطيك الرّضا فاعفنا عن المباهلة فصالحهم رسول الله صلى الله عليه و آله على الجزية و انصرفوا، و فى الكشّاف روى: انّه صلى الله عليه و آله لمّا دعاهم الى المباهلة قالوا: نرجع و ننظر فلمّا تخلّوا قالوا العاقب و كان ذارأيهم: يا عبد المسيح ماترى؟- فقال: و الله لقد عرفتم يامعشر النّصارى انّ محمّداً صلى الله عليه و آله نبىٌّ مرسل و لقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم و الله ما باهل قوم نبيّاً قطّ فعاش كبيرهم و لانبت صغيرهم و لئن فعلتم لنهلكنّ فان ابيتم الاّ الف دينكم و الاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرّجل و انصرفوا الى بلادكم، فأتوا رسول الله صلى الله عليه و آله و قد غدامحتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن و فاطمة تمشى خلفه و علىّ عليه السلام خلفها و هو يقول: اذا انا دعوت فأمنّوا، فقال اسقف نجران: يا معشر النّصارى انّى لأرى وجوهاً لوسألوا الله ان يزيل جبلاً من مكانه لازاله بها، فلاتباهلوا فتهلكوا و لايبقى على وجه الارض نصرانىّ الى يوم القيامة، فقالوا: يا اباالقاسم رأينا ان لانباهلك و ان نقرّك على دينك و نثبت على ديننا، قال: فاذا ابيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ماللمسلمين و عليكم ما عليهم، فأبوا قال: فانّى انا جزكم، فقالوا: مالنابحرب العرب من طاقةٍ و لكن نصالحك على ان لانغزونا و لاتردّنا عن ديننا على ان نؤدّى اليك كلّ عام ألفى حلّة الف فى صفرٍ و الف فى رجبٍ و ثلاثين درعاً من حديد؛ فصالحهم على ذلك، و قال: و الّذى نفسى بيده انّ الهلاك قد تدلّى على أهل نجران و لولا عنوا المسخوا قردةً و خنازير، و لاضطرم عليهم الوادى ناراً و لاستأصل الله نجران و أهله حتّى الطير على رؤس الشّجر. و عن عائشة رضى الله عنها انّ رسول الله صلى الله عليه و آله خرج و عليه مرط مرحّل من شعر اسود فجاء الحسن عليه السلام فأدخله ثمّ جاء الحسين عليه السلام فأدخله

ثمّ فاطمة عليها السلام ثمّ عليّ عليه السلام ثمّ قال: انّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس اهل البيت، فان قلت: ما كان دعاؤه الى المباهلة الاّلتبيين الكاذب منه و من خصمه و ذلك امر يختصّ به و بمن يكاذبه فما معنى ضمّ الابناء و النّساء؟ـ قلت: ذلك اكد فى الدّلالة على ثقته بحاله و استيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزّته وافلاذ كبده و احبّ النّاس اليه لذلك و لم يقتصر على تعريض نفسه له و على ثقته بكذب خصمه حتّى يهلك خصمه مع احبّته و اعزّته هلاك الاستيصال ان تمّت المباهلة و خصّ الابناء و النّساء لانّهم أعزّ الاهل و ألصقهم بالقلوب و ربّما فداهم الرّجل بنفسه و حارب دونهم حتّى يقتل و من ثمّ كانوا يسوقون مع أنفسهم الظّعائن فى الحروب لتمنعهم من الهرب و قدّمهم فى الذّكر على الانفس لينبّه على لطف مكانهم و قرب منزلتهم و ليؤذن بأنّهم مقدّمون على الانفس مفدون بها، و فيه دليل لاشىء اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام، و فيه برهان واضح على صحّة نبوّة النّبىّ صلى الله عليه وآله. تمّ ما نقل من الكشّاف، و قد نقلناه بطوله ليعلم انّهم مقرّون بفضل اصحاب الكساء و انّهم عليّ عليه السلام و فاطمة عليها السلام و الحسن عليه السلام و الحسين عليه السلام، و انّه لم يكن احد اعزّ عليه من هؤلاء و انّ من منعهم حقّهم او آذاهم كان اشدّ على نفسه ممّن منع حقّه و آذاه و الحمدلله [إِنَّ هَـٰذَا] المذكور من بناء عيسى عليه السلام و حمل مريم عليها السلام به و تولّده الى آخر ما ذكر فى حقّه [لَهُوَ ٱلْقَصَصُ] مصدر قصصت الحديث و اقتصصته رويته على جهته و هو بمعناه المصدرىّ اى بمعنى المقصوص و هذا يفيد الحصر سواء كان الضّمير للفصل او اسماً مبتدءً ثانياً و المراد الحصر الاضافىّ بالنّسبة الى ما قالوه فى حقّ عيسى عليه السلام فانّه لا يخلو من شوب باطل بخلافه فانّه القصص [ٱلْحَقُّ] الّذى لا يشوبه باطل [وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ] تصريح ببعض ما يستفاد من الحصر السّابق يعنى هذا هو الحقّ لا ماقالوه فى حقّه و من

جملة ماقالوه انّه آله و انّه ثالث ثلاثة و ما مـن آله الاّ الله [وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ] الغالب الّذى لايمنع من مراده [ٱلْحَكِيمُ] فى علمه و عمله و هـو عطف فى معنى التّعليل يعنى انّ الاله ينبغى ان يكون عزيزاً وحكيماً حتّى يعلم غايات الامور على ماينبغى، و يتمكّن من العمل على ماينبغى، و حتّى لايغلب فى مراده؛ و هذه الاوصاف منحصرة فى الله فما من آله الاّ الله لاعيسى عليه السلام متفرّداً او مشاركاً [فَإِن تَوَلَّوْاْ] يعنى هؤلاء المحاجّون عنك او عن دينك او عن قصص عيسى عليه السلام عـلى مـا ذكـر فـليحذروا [فَـإِنَّ ٱللَّـهَ عَـلِيمُم بِالْمُفْسِدِينَ] اى بهم و وظع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بأنّـهم فـى التّولّى مفسدون فى عالمهم الصّغير و الكبير [قُلْ] يا محمّد صلى الله عليه وآله بعد ما اتممت لهم الحجّة بتقرير حال عيسى عليه السلام و اثبات المخلوقيّة و العبديّة له مـن بـيان احواله ثمّ بالزامهم بالمباهلة بعد ان لم تنجع فيهم الحجّة البيانيّة و انـقيادهم شيئاً من الانقياد مع بقائهم على دينهم لعـموم اهـل الكـتاب مـن اليـهود و النّصارى بطريق اللّطف فى المحاجّة و المداراة فـيها [يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِـتَـٰبِ تَعَالَوْاْ] من الخلاف و الشّقاق [إِلَىٰ] الاتّفاق و الاجتماع فى [كَلِمَةٍ] واحدةٍ هى توحيد الله فى العبادة و فـى الالهـة و فـى الطّـاعة [سَـوَآءٍم بَـيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ] يعنى حتّى تصير تلك الكلمة متساوية النّسبة فى القـبول بـيننا و بينكم فلفظ سواء مصدر بمعنى اسم الفاعل للزّمان الاتى [أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ] بخلاف عبدة عزيرٍ باعتقاد انّه ابن الله من اليهود، و عبدة المسيح باعتقاد انّه الله و انّه ابن الله من النّصارى و هو خبر مبتدءٍ محذوفٍ او بـدل مـن كـلمة [وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا] فى الالهة بخلاف من قال من النّصارى انّ الله ثالث ثلاثةٍ [وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ] فى الطّاعة بخلاف من اتّخذ الاحبار و الرّهبان و الرّؤساء ارباباً فى الانـقياد و الطّـاعة

ثابتين بعضاً من غير الله، او ناشئة ربوبيّتهم من غير الله، او من غـير اذن الله فلفظ من للتّبعيض و الظّرف لغو، او مستقرّ و صفة لارباباً، و طاعة المخلوق فى الدّين من غير اذن الله و أمره به نحو عبادة للمطاع من حيث لا يشعر؛ و لذلك قال فى سورة التّوبة: اتّخذوا احبارهم و رهبانهم ارباباً من دون الله و المسيح بن مريم و ما امروا الاّ ليعبدوا آلهاً واحداً يعنى انّ طاعتهم للاحبار من غير نظرٍ الى اذن الله و أمره عبادة لهم و ما أمروا الاّ بالعبادة للاله الواحـد و روى انّه لمّا نزلت آية اتّخذوا احبارهم و رهبانهم ارباباً من دون الله قال عدىّ بن حاتم: ماكنّانعبدهم يا رسول الله ﷺ ؟ـ قال: اليس كانوا يحلّون لكم و يحرّمون فتأخذون بقولهم؟ـ قـال: نعم، قال: هو ذلك [فَإِن تَوَلَّوْاْ] عن الاتّفاق فى الكلمة معكم مع انّ الانبياء و امهم كانوا متّفقين فى تلك الكلمة [فَقُولُواْ] جمع الامّة معه ﷺ فى الخطاب لانّ هذا الكلام امر بالمواعدة معهم بعد اتمام الحجّة و الزامهم، و هذا الجميع الامّة بخلاف الكلمات السّابقة فانّها كانت دعوة و احتجاجاً و ليسا الاّ شأنـه ﷺ و لذلك خصّه فى السّابق بالخطاب [ٱشْهَدُواْ] يعنى تبجّحوا و تفاخروا بالانقياد لتلك الكلمة و قولوا لمن تولّوا عن الانقياد: اشـهدوا عـلينا [بِأَنَّـا مُسْلِمُونَ] منقادون لتلك الكلمة [يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ] نداء من محمّد ﷺ و امّته لهم على سبيل التبجّح و ما بعده من كلامهم او مستأنف من الله تعالى او النّداء من الله لهم و على ايّ تقدير يدلّ الاتيان باداة نداء البعيد على كـمال غفلتهم و حاجتهم الى نداء البعيد [لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِـيمَ] اى فـى شريعته و ملّته و انّه على ايّ ملّة كان على ما قيل انّ احبار اليهود و نصارى نجران اجتمعوا عند رسول الله ﷺ فتنازعوا فى ابراهيم عليه السلام فقالت اليهود: ما كان الاّ يهوديّاً، و قالت النّصارى، ما كان الاّ نصرانيّاً فأنزل الله هذه الاية [وَمَآ

أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَلٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنم بَعْدِهِۦٓ]يعنى انّ ملّة التهوّد و شريعته كانت من التّوراة و شريعة التّنصر كانت من الانجيل و نزلت التّوراة بعد ابراهيم نحواً من الف سنة و نزل الانجيل بعده نحواً من الفين [أَفَلَا تَعْقِلُونَ] انّ هذه دعوى برهان بطلانها معها و لا يدّعى مثلها العاقل [هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ] منادى او بدل او خبر والاتيان به و بأداتى التّنبيه للاشعار بانّهم من حمقهم و بلادتهم لا يتنبّهون بدون التأكيد فى التّنبيه و بدون النّداء و اذا كان هؤلاء بدلاً او خبراً كان كالتّصريح ببلادتهم فانّ المعنى انتم هؤلاء الحمقى الّذين ادّعوا دعوى برهان بطلانها معها [حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ] من امر موسى عليه السلام و شريعته و امر عيسى عليه السلام و شريعته يعنى كان فى ذلك علم اجمالىّ لكم و شأنكم ان يكون ذلك معلوماً لكم فحاججتم و صرتم مغلوبين فى المحاجّة [فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ] من امر ابراهيم و شريعته يعنى انّ العاقل اذا صار مغلوباً حين المحاجّة فى امر يكون معلوماً له او من شأنه ان يكون معلوماً له ينبغى ان يتحرّز عن المحاجّة فيما ليس له به علم، و من لم يتحرّز عن المحاجّة فيما ليس من شأنه العلم به كان سفيهاً غير عاقل [وَٱللَّهُ يَعْلَمُ]فيعلّم نبيّه [وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ]فمحاجّتكم مع الرّسول محاجّة الجاهل مع العالم و ليست وصف العاقل [مَا كَانَ]متعلّق بيعلم و لا تعلمون على سبيل التّنازع و علّقهما لفظ ما عن العمل، او ابتداء كلام من الله للردّ على اليهود و النّصارى و المشركين فى دعاويهم الباطلة فانّه بعد ماسفّههم تلويحاً و تصريحاً صرّح بالمدّعى و ابطال دعواهم فقال: ما كان [إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا] مستقيماً او مائلاً الى الدّين الحقّ من الاديان الباطلة و لمناسبة احد المعنيين فسّر بالخالص و هو تعريض بهم [مُّسْلِمًا] منقاداً لله او صابراً ذا

سلامة من عیوب النّفس و بهذا المعنی فسّر بالمخلص و هو ایضاً تعریض بهم [وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ] ردّ علی المشرکین لانّه ادّعی مشرکوا مکّة انّ ملّتهم ملّة ابراهیم علیه السلام و لمّا کان نفی الاشراك خارجاً ممّا کان البحث و المحاجّة فیه کرّر النّفی و الفعل للاشعار بکونه نفیاً آخر، نسب الی امیرالمؤمنین علیه السلام انّه قال: لایهودیّاً یصلّی الی المغرب و لانصرانیّاً یصلّی الی المشرق و لکن کان حنیفاً مسلماً علی دین محمّد صلی الله علیه و آله [إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ کأنّه قیل: اذا لم یکن الیهودیّة و النّصرانیّة و ملّة الشّرك منسوبة الی ابراهیم فمن کان اقرب الخلق الیه؟ـ فقال: انّ اقرب النّاس و احقّهم [بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ] فی زمانه و بعده الی بقاء امّته [وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟] ای اسلموا بالبیعة العامّة علی یده تعریض بهم و نفی لاولویّتهم به فانّهم ادّعوا اولویّتهم به کلّ بوجه فقال تعالی: انّ الاولی به فی زمانه امّته، و فی هذا الزّمان محمّد صلی الله علیه و آله و امّته لانّهم احیوا ملّته و ما خالفوه فی اصول العقائد، و اولی النّاس بالانبیاء اعملهم بما جاؤا به، عن الصّادق علیه السلام هم الائمّة و من اتّبعهم یعنی الّذین آمنوا فأراد من الایمان، الایمان الخاصّ الحاصل بالبیعة الخاصّة الولویّة و قبول الدّعوة الباطنة المورثة دخول الایمان فی القلب و الباعثة لمعرفة هذا الامر و الدّخول فی أمرهم و عن عمر بن یزید عنه قال: انتم و الله من آل محمّد صلی الله علیه و آله فقلت: من أنفسهم جعلت فداك؟ـ قال: نعم و الله من أنفسهم ثلاثاً ثمّ نظر الیّ و نظرت الیه، فقال: یا عمرانّ الله یقول فی کتابه: انّ اولی النّاس؛ الایة، و عن امیرالمؤمنین علیه السلام انّ اولی النّاس بالانبیاء أعملهم بما جاؤا به، ثمّ تلا هذه الایة: قال: انّ ولیّ محمّد صلی الله علیه و آله من أطاع الله و ان بعدت لحمته، و انّ عدوّ محمّد صلی الله علیه و آله من عصی الله و ان قربت قرابته [وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ] تشریف آخر لهم و تعریض بأهل الکتاب حیث قالوا: نحن

ابناء الله و احبّاؤه، [وَدَّت]كلام منقطع عن سابقه كانّه اراد بعد تسفيه اهل الكتاب و تشريف المؤمنين ان يهيّجهم لئلّا يغترّوا باضلال اهل الكتاب فقالت: ودّت [طَّآئِفَةٌ] قليلة لان أ كثرهم كالبهائم لا يتنبّهون بضلال و اضلال و هداية [مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ] اى اضلالكم [وَمَا يُضِلُّونَ]بارادة اضلال المؤمنين [إِلَّآ أَنفُسَهُمْ] فانّ الضّالّ اذا اراد اضلال الغير اشتدّ ضلال نفسه فهو باضلال الغير يضلّ نفسه [وَمَا يَشْعُرُونَ] انّهم فى اضلال الغير و منعه عن الخير يضلّون أنفسهم و يمنعونها عن خيرها، او ما يضلّون من المؤمنين الّا أسناخهم فانّ من لم يكن من سنخهم من المؤمنين لا يضلّ باضلالهم، و من يضلّ باضلالهم كان من سنخهم لانّه كان كافراً مثلهم و كان الايمان عرضاً معاراً لهم، او مايضلّون و مايزيدون بارادة اضلال اضلال قرينة للمؤمنين اشتدّ ضلاله [يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ] ناداهم بنداء البعيد تحقيراً و تبعيداً لهم عن ساحة الحضور و تنبيهاً على كمال غفلتهم [لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ]التّدوينيّة الثّابتة فى التّوارة و الانجيل و القرآن فى نعت محمّد ﷺ و وصيّه عليه السلام و فى الاحكام المشروعة لكم فيها، او التّكوينيّة الثّابتة فى العالم الكبير من موسى عليه السلام و عيسى عليه السلام و محمّد ﷺ، او الثّابتة فى العالم الصّغير من العقول الزاجرة عن اتّباع الهوى و اواردات الزاجرة و المرغّبة [وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ] تعلمون آيات الله او حاملون للشّهادة لايات الله، و الكفر و الكتمان بعد العلم اشدّ، او انتم تؤدّون الشّهادة بصدق الايات اذا خلوتم مع امثالكم،

او انتم شاهدون و تعاينون الايات من حيث انّها آيات، و هذه الاية مثل الاية الاتية تعريض بأمّة محمّد و كفرهم بايات الله التّدوينيّة و التّكوينيّة مع تحملّهم للشّهادة على خلافة علىّ عليه السلام [يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ] كرّر النّداء لما

ذكر من وجه الاتيان بنداء البعيد [لِمَ تَلْبِسُونَ] تخلطون [ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ] و المراد به ما كانوا يفعلونه من تحريف التوراة و الانجيل و كتمان ما فيهما من نعت محمّد ﷺ و وصيّه عليه السلام و من اظهار الاسلام صدر النّهار و الرّجوع منه آخره تدليساً على المؤمنين و تشكيكاً لهم، و من اظهار الكفر بمحمّد ﷺ و ابطان التّصديق به و من اظهار تصديق موسى عليه السلام و عيسى عليه السلام، و ابطان انكار ماورد منهما فى نعت محمّد ﷺ و يجرى ذلك الخلط و الكتمان فى اهل الكتاب ممّن اسلم على يد محمّد ﷺ بالبيعة العامّة او آمن بالبيعة الخاصّة فانّه يقال لهم: لم تلبسون العقائد الحقّة المأخوذة بالاراء الكاسدة النّفسانيّة، و اللّمّات الالهيّة باللّمّات الشّيطانيّة، و الزاجرات الملكيّة بالشّهوات الحيوانيّة، و العبادات القالبيّة و القلبيّة بالاغراض الفاسدة، و لو كانت قرباً من الله او رضاه من العابد او انعامه عليه [وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ] الحقّ او اللّبس و الكتمان، او انتم العلماء و كون الاية تعريضاً بالامّة ظاهر [وَقَالَت طَّآئِفَةٌ] قليلة لما ذكر فى السّابق من انّ اكثرهم كالبهائم لا يهتدون الى الحيل الشّيطانيّة [مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟] اى اظهروا ايمانكم [بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ] لتتمكّنوا من الانكار و القاء الشّبه فى قلوب الّذين آمنوا فانّ المقرّ بشىءٍ اذا انكره كان انكاره اوقع و اشدّ تأثيراً من انكار من لا يعرف ذلك الشّىء لانّ السّامع يظنّ انه ابصر خللاً فيه و انكره [وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ] اى آخر النّهار [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] روى فى نزول الاية انّ رسول الله ﷺ لمّا قدم المدينة و هو يصلّى نحو بيت المقدّس اعجب ذلك القوم فلمّا صرفه الله عن بيت المقدّس الى بيت الله الحرام وجدت اليهود من ذلك و كان صرف القبلة صلوة الظّهر فقالوا: صلّى محمّد ﷺ الغداة و استقبل قبلتنا فامنوا بالّذى

انزل على محمّد ﷺ وجه النّهار و اكفروا آخره، يعنون القبلة حين استقبل رسول الله ﷺ المسجد الحرام لعلّهم يرجعون الى قبلتنا [وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ] من كلام تلك الطّائفة و عطف على آمنوا و المعنى لاتظهروا ايمانكم اللّسانيّ مع ابطان التّهوّد او التّنصّر [إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ] اى الّا لمن كان على دينكم قبل اسلامه فانّهم اقرب الى قبول قولكم و لا يكون رجوعهم الّا الى دينكم فيتقوّى به دينكم و اهل دينكم بخلاف غيرهم فانّهم لا ينجع فيهم قبولكم و انكاركم، و لو نجع لاتنتفعون برجوعهم عن دين الاسلام لعدم دخولهم فى دينكم، او المعنى لاتصدّقوا الّا لمن تبع دينكم، او لاتظهروا اقراركم بان يأتى احد مثل ما اوتيتم الّا لمن تبع دينكم، او قوله تعالى و لاتؤمنوا خطاب من الله للمؤمنين يعنى لاتغترّوا ايّها المؤمنون بقول اهل الكتاب بمحض اظهار الايمان و لاتصدّقوا لاحد الاّ لمن تبع دينكم حتّى يظهر صدق قوله باثار فعله و على ايّ تقدير فقوله تعالى: [قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ] معترضه و قوله تعالى [أَن يُؤْتَىٰٓ] متعلّق بلاتؤمنوا و المعنى لاتؤمنوا بان يؤتى، او قوله قل انّ الهدى ابتداء كلام من الله و هدى الله بدل من الهدى، او خبر له و ان يؤتى خبر له على الاوّل و خبر بعد خبر على الثّانى و المعنى انّ الهدى اعتقاد ان يؤتى [أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ] من الكتاب و الشّريعة [أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ] بان يحاجّوكم او حتّى يحاجّوكم و ضمير يحاجّوكم راجع الى احد لعمومه معنى و قرئ ان يؤتى بالمدّ بهمزة الاستفهام و تخفيف همزة ان على معنى اتذكرون ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتّى يحاجّوكم عند ربّكم و قرئ بكسر همزة ان على معنى النّفى [قُلْ] لاهل الكتاب ليس فضل الله بأيديكم حتّى تؤتوه و تمنعوه بحيلكم [إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ] و المراد بالفضل اعمّ من الكتاب و الحكمة و الرّسالة و النّبوّة و الهداية و السّعة فى الصّدر و الدّنيا

[يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ] لانفاد فى فضله بايتائه لموسى عليه السلام و عيسى عليه السلام و امّتهما حتّى لايؤتيه غيرهما كما زعمتم و ادّعيتم [عَلِيمٌ] بمن كان اهلاً لايتائه فكلّما وجد أهلاً له اعطاه و لوكرهتموه [يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ] اى يميز برحمته من يشاء من غيره و لمّا كان الفضل عبارة عن الرّسالة و عن قبولها بالبيعة العامّة النبويّة و قبول الدّعوة الظّاهرة و كان الرّحمة عبارة عن الولاية و عن قبولها بالبيعة الخاصّة الولويّة و قبول الدّعوة الباطنة اتى فى جانب الفضل بالايتاء الدالّ على مطلق الاعطاء لعموم دعوة الرّسالة و عموم قبولها و فى جانب الرّحمة بالاختصاص المشعر بالامتياز و الاختيار [وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ] بحيث لانفاد فى فضله و لاضنّه له فى اعطائه [وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ] عطف باعتبار المعنى كأنّه قال: من اهل الكتاب من يحتال بالحيل الشّيطانيّة و منهم من يكون سالماً من الحيل، و من اهل الكتاب فى مقام الامانة و الخيانة [مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ] الباء للتّعدية و القنطار اربعون وقيّة من الذّهب او الف و مأتا دينار او ثمانون الف درهم، او مائة رطل من الذّهب او الفضّة، او الف دينار او ملء مسك ثور ذهباً او فضّة، او الف و مأتا وقيّة، اوسبعون الف دينار و المراد مدح بعضهم بأنّك ان تأمنه بكثيرٍ من المال لايخنه و [يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ] قيل: المراد بهذا البعض النّصارى [وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ] اصله دنّار بدليل دنانير و المقصود المال القليل يخنه و [لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَادُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا] اى الاّ مالم تغب عن نظره و قيل: المراد بهذا البعض اليهود و الحقّ انّه لااختصاص لشىءٍ منهما بفرقة منهما [ذَٰلِكَ] المذكور من عدم الاداء [بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى] حقّ [ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ] يعنى ليس علينا عقوبة فى التّقصير فى حقوق من ليسوا من اهل الكتاب و المراد بالامّيّين

امّا اهل مكّة او اهل الاسلام لانتسابهم الى محمّد ﷺ المبعوث من مكّة، او محمّد ﷺ الّذى لم يقرأ و لم يكتب، او المراد كلّ من لم يكن له كتاب و شريعة و ملّة الهيّة و ذلك انّهم استحلّوا ظلم من خالفهم و قالوا: لم يجعل لهم فى التّوارة حرمة و عن النّبىّ ﷺ انّه لمّا قرأ هذه الاية قال: كذب اعداء الله ما من شىءٍ كان فى الجاهليّة الاّ و هو تحت قدمى الاّ الامانة فانّها مؤدّاة الى البرّ و الفاجر [وَ يَقُولُونَ] اى يعلّقون بقولهم هذا [عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ] انّه كذب و هذا تعريض بالامّة و ما أحدثوه بعد وفاة الرّسول ﷺ من الاختلاف و انكار كلّ فرقةٍ حرمة الاخرى كما هو واقع فى زماننا بين المنتحلين للتّشيّع و المقرّين بالائمّة الاثنى عشر حيث يكفّر و يلعن بعضهم بعضاً و يستحلّون أموالهم ودماءهم و فروج المحصنات من نسائهم بادّعاء كلٍّ انّ المخالف لمذهبنا لا حرمة له فى نفسه و ماله و عرضه [بَلَىٰ] عليهم سبيل فانّ الله لا يدع ظلامة العباد [مَنْ أَوْفَىٰ] ابتداء كلام تعليل لجملة تضمّنتها بلى يعنى عليهم سبيل لانّ كلّ من اوفى [بِعَهْدِهِى] الّذى عاهده مع نبىٍّ ﷺ او وصىّ نبىّ عليه السلام بالبيعة العامّة او الخاصّة و الوفاء بسائر العهود من الوفاء بهذا العهد فانّه مأخوذ فيه [وَ ٱتَّقَىٰ] من مخالفة ما عاهد به فى بيعته و الامانة جزء ما عاهد به سواء كان امّيّاً او من اهل الكتاب [فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بعلّة الحكم فكأنّه قال: فانّ الله يحبّه و المحبّ ينقم ممّن ظلم محبوبه و يجوز ان يكون بلى تقريراً لسابقة على مرجوحيّة و يكون المعنى: بلى لا سبيل على المؤمن المعاهد بشرط الوفاء بالعهد و اتّقاء مخالفة ما وصف فى عهده لانّ من او فى بعهده و اتّقى المخالفة صار محبوباً لله و المحبوب لا يناله مكروه من المحبّ و لا يؤاخذه المحبّ على ما فرط منه بالنّسبة الى عدوّه [إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ] كان اقتضاء المقابلة

ان يقال: و من لم يوف بعهده و لم يتّق فانّ الله يبغضهم لكنّه ابرزه صورة الجواب لسؤالٍ مقدّرٍ ليكون اوقع، وا كّده بمؤكّدات و بسط فى الكلام لاقتضاء مقام السّخط ذلك فكأنّه قيل: قد علم حال الوافى بالعهد المتّقى فما حال هؤلاء النّاقضين النّا كثين؟ـ فقال: انّ الّذين يشترون [بِعَهْدِ ٱللَّهِ] الّذى عاهدوه فى البيعة [وَأَيْمَـٰنِهِمْ] جمع اليمين بمعنى القسم و انّما سمّى يميناً لانّهم كانوا حين الحلف يعقدونه بايمانهم، او المراد عقود البيعة فانّ البيعة لاتعقد الاّ بالايمان [ثَمَنًا قَلِيلاً] من اعراض الدّنيا و اغراضها فانّ الدّنيا برمّتها ثمن بخس عند من يرتضيها، و امّا من كان متوجّهاً الى الاخرة متلذّذاً بلذائذها فهو نافر منها كلّ النفرة منزجر عنها كلّ الانزجار، و ان توقّف عليها بأمر من الله كان كمن حبس فى مزبلة كثيرة الحشرات خبيثة الموذيات [أُوْلَـٰٓئِكَ] تكرار المبتدأ باسم الاشارة البعيدة للتّأكيد و للاحضار بالاوصاف الذّميمة وللتبعيد عن ساحة الحضور [لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ] لانصيب لهم [فِى ٱلْأَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ] عدم التّكليم و عدم النّظر كناية عن سخطه تعالى عليهم [وَلَا يُزَكِّيهِمْ] لايثنى عليهم و لايذكرهم بخير، او لايطهّرهم من ذنوبهم [وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] اثبت العذاب الاليم بعد ما نفى الاوصاف الّتى فيها تشريف بترتيب الاشرف فالادون عنهم، نسب الى النّبىّ ﷺ انّه من حلف على يمين يقطع بها مال اخيه لقى الله عزّ و جلّ و هو عليه غضبان فأنزل الله تصديقه فى كتابه، انّ الّذين يشترون؛ الاية [وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَـٰبِ] عطف على قوله: من اهل الكتاب من ان تأمنه و اتى بأداتى التّأكيد فى المعطوف لأنّه ابلغ فى الذّمّ و يتطرّق الشّكّ و الانكار فيه، و لواه فتله و ثناه، و يشبه ان يكون الكلام على القلب و التّقدير يلوون الكتاب بألسنتهم و مثل هذا القلب كثيرٌ، او

هو على الاصل بناء على تشبيه اللّسان بالمفتول و الكتاب بالة الفتل، او على كون المعنى يحرّكون السنتهم بالكتاب، و المقصود انّهم يحرّفون الكتاب بحسب اللّفظ بالزّيادة و النّقيصة و التّبديل، و بحسب المعنى بالتّغيير عن معناه و الحمل على المعنى الغير المراد، او المعنى يفتلون الكتاب بالسنتهم لا بلسان الله او يحرّكون السنتهم لا لسان الله بالكتاب [لِتَحْسَبُوهُ] اى الّذى جرى على ألسنتهم [مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ]التشابهه صورة بما فى الكتاب يعنى أنّهم بارائهم و انانيّاتهم يقرؤن شيئاً من التّوراة و الانجيل، او يذكرون شيئاً من أحكام شريعة موسى عليه السلام و عيسى عليه السلام بناءً على عدم اختصاص الكتاب بصورة التّوراة و الانجيل لتحسبوا المقروّا و المذكور ايّها السّامعون من التّوراة و الانجيل، او من الشّريعتين.

تحقيق التواء الكتاب باللّسان المضاف الى النّفس

[وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ] لانّ الكتاب هو الّذى يجرى على لسان صار لسان الله لخلوّ صاحبه من نسبة الوجود الى نفسه وصيرورته و صيرورة اعضائه الات الله، و هذا المقرّو و ان كان بصورة الكتاب لكنّه جار على لسانٍ لانسبة بينه و بين الله، و نقوش الكتاب و حروفه و ان كانت كلّيّة لا اختصاص لها بنقش كتاب مخصوص و لا بحرف لسان مخصوص لكن شرط صدق الكتاب عليها ان تكون صادرة عن يد منتسبة الى الله، او لسان منسوب اليه كأيدى الانبياء عليهم السلام و ألسنتهم، غاية الامر ان يكون نسبة التّابع اضعف من نسبة النّبىّ صلى الله عليه وآله المتبوع، و نظير هذه الاية قوله تعالى: فويل للّذين يكتبون الكتاب بأيديهم يعنى لا بيدالله ثمّ يقولون هذا من عندالله ليشتروا به ثمناً قليلاً؛ الاية، و للاشارة الى انّه ينبغى ان يكون لسان العبد حين القراءة و كذلك يده حين الكتابة لسان الله و يده امر الله تعالى

عباده بتلاوة القرآن و امر المعصومون ان يقولوا: لبّيك اللّهم لبّيك؛ عند قولهم: يا ايّها الّذين آمنوا، و ان يقولوا كذلك الله ربّى؛ عند قرأة التّوحيد، و ان يسبّحوا و يحمدوا و يستغفروا الله؛ عند قرأءة اذا جاء نصر الله، و امثال ذلك ممّا يدل على انّه ينبغى ان يفرض لسان القارى لسان الله ثمّ عومل مع المقرّو نحو معاملة مقرّو الله كثيرة [وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ] بل هو من عند أنفسهم و من عند الشّيطان [وَ يَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ] بهذا القول [وَهُمْ يَعْلَمُونَ] انّه كذب، او هم المعدودون من العلماء، او المعنى يقولون على الله الكذب غير ما يفتلونه بالسنتهم و هم يعلمون انّه كذب [مَا كَانَ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: هل يجوز لنبىّ ﷺ ان يدعو النّاس الى نفسه؟ـ او هو جواب لسؤالٍ كان مذكوراً و لم يحك لنا على ما قيل: انّ ابا رافع القرظىّ و السّيد النجرانىّ قالا: يا محمّد ﷺ أتريد ان نعبدك و نتخذك ربّاً؟ـ فقال: معاذ الله ان نعبد غير الله و ان نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثنى، و لا بذلك أمرنى، فنزل ما كان اى ما صحّ [لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ] و المراد بالكتاب الرّسالة و احكامها و الكتاب التّدوينىّ صورتها و بالحكم الولاية و آثارها و النّبوّة برزخ بينهما و لذلك أخّرها [ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّى] لانّه مالم يخرج من انانيّته و لن يجى بانانيّة الله و لم يبق بالله لم يؤث الكتاب، و اذا خرج من انانيّته لم يكن له نفسيّة حتّى يقول: كونوا عباداً لى [مِن دُونِ ٱللَّهِ] بل ان قالوا كونوا عباداً لى كان قوله متّحداً مع قوله كونوا عباداً لله فانّه ان قال انا كان اناه من الحقّ جارياً على لسانه لامن نفسه كما اشار اليه المولوىّ قدّس سرّه:

گفت فرعونى انَا الحق گشت پست
گفت منصورى انَا الحق و برست

این انَا هو بـود در سرّای فـضول
ز اتّـحاد نـور نـزراه حـلول
بود انا الحق در لب مـنصور نـور
بـود انَـا الله در لب فـرعون زور
آن انَا بی وقت گـفتن لعـنت است
وين اَنا در وقت گفتن رحمت است

و كما انّه لايجوز الدّعوة الى نفسه لمن بقى عليه من انـانيّته شـىءٌ كذلك لايجوز ذلك اذا كان المدعوّمحجوباً عن مشاهدة الحـقّ تـعالى فـى المظاهر فانّالمحجوب اذا دعى الى المظاهر كان اضلالاً و دعوة الى عبادة الاسم دون المعنى، و لهذا طرد الصّادق عليه السلام اباالخطّاب بعد مـا كـان يـدعو المريدين ممّن لايرى الله فى المظاهر الى الهة الصّادق عليه السلام، و اذا خرج الدّاعى من انانيّته و بقى بانانيّة الله كان الدّاعى هو الله لانّ الدّعوة كانت من الله بالة لسان الدّاعى و اذا كان المدعوّ ايضاً لايرى فى مظهر النّبىّ صلى الله عليه وآله الاّ الله كـان النّبىّ اسماً محضاً من غير شوب كونه مسمّى، فاذا دعا هذا الدّاعى الى نفسه كان دعاؤه الى الله و اذا لم ير المدعوّ فى مظهر الدّاعى الاّ الله لم يكن توجّهه الاّ الى المسمّى لاالاسم فلم يكن عبادته الاّللمسمّى بايقاع الاسم عليه، و بهذا الوجه قيل بالفارسيّة:

اگـر كـافر ز بت آگـاه بـودى
چـرا در ديـن خـود گـمراه بـودى
اگر مؤمن بـدانسـتى كـه بت چـيست
يقين كردى كه دين در بت پرستى ست

[وَلَـٰكِن] يقول [كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّينَ] هو منسوب الى الرّبّ بزيادة

الالف و النّون و هذه الزّيادة تدلّ على المبالغة فى النّسبة الى الربّ، و المبالغ فى الانتساب الى الربّ من لايرى فى المظاهر الاّ الربّ و خصوصاً فى المظاهر الفانية من أنفسهم فلا يرى للدّاعى نفسيّة حتّى يكون دعوة الى نفسه فيقول النّبىّ ﷺ: كونوا خارجين عن حجب انانيّاتكم حتّى تروا الله فى كلّ المظاهر [بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ] يعنى كونوا تعلّمون الكتاب و تدرسونه حتّى تكونوا ربّانيّين بماكنتم تعلّمون الكتاب امثالكم على قراءة تشديد اللّام [وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ] اى تقرؤن الكتاب على قراءة تخفيف الرّاء لانّ الاشتغال بالكتب السّماويّة والتّدبّر فى الشّرائع الالهيّة و تذكّرها بخرجكم تدريجاً من ظلمات انانيّاتكم و يدخلكم فى نور ظهور عبوديّتكم و بروز ربوبيّتكم و قرء تعلمون بتخفيف اللام و تدرسون من باب التّفعيل اوالافعال [وَلَا يَأْمُرَكُمْ] ايّها النّاقصون المؤتّمون قرء بالرّفع و حينئذٍ فالفاعل امّا راجع الى الله و الجملة عطف على ما كان لبشرٍ فانّه فى معنى لايأمر الله بشراً ان يدعو النّاس الى عبادته، او حال بتقدير مبتدءٍ لعدم جواز الواو فى المضارع المنفىّ بلا، او راجع الى بشر بالوجهين السّابقين فى اعرابه، و قرئ بالنّصب و الفاعل ايضاً امّا راجع الى الله فيكون الواو بمعنى مع، او الى بشرٍ فيكون الفعل عطفاً على يقول، و لفظة لازائدة لتأكيد النفى السّابق، او يكون الواو بمعنى مع اى مع ان لايأمركم و المقصود انّ الله لايأمر الانبياء ان يدعوا النّاس بعبادتهم و لايأمر العباد ان يعبدوا الانبياء و الملائكة تعريضاً بالنّصارى و اليهود فى عبادة عيسى ﷺ و عزيرٍ و بعبادة الملائكة فلا يأمركم [أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا] لمّا كان الخطاب للامم النّاقصين الّذين لايرون من المظاهر الاّ المظاهر و لايتمكّنون من رؤية الله فى المظاهر لم يأت بقيد من دون الله لعدم الاحتياج الى ذكره، او ترك ذكره

بقرينة السّابق و بقرينة قوله تعالى: [أَ يَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ] بقبول النبوّة من الانبياء و البيعة معهم بالبيعة العامّة النبويّة [وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ] اذكر او ذكّرهم يجوز ان يكون اذهذه عطفاً على اذ فى قوله بعد اذانتم مسلمون و المعنى ايأمركم بالكفر بعد اذانتم مسلمون منقادون و بعد اذ اخذ الله [مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّينَ] ميثاق كلّ على يد النّبىّ السّابق او وصيّه او فى عالم الذّرّ على ايمان كلّ بالاخر او على ايمان الكلّ بمحمّد ﷺ او بعد اذ اخذ الله ميثاق امم النّبيّين على ايدى انبيائهم او فى عالم الذّرّ على ان يؤمن كلّ امّة بالنّبىّ الّذى يأتى بعد نبيّهم او بمحمّد ﷺ ان ادركوا زمانه ﷺ يعنى انّه اخذ ميثاق كلٍّ من الانبياء على الايمان و النّصرة لمن يأتى بعده او لمحمّد ﷺ و كذلك اممهم فكيف يأمر الانبياء بالاستقلال و الرّبوبيّة و الامم باتّخاذهم ارباباً و قد اشير الى كلّ من المعانى فى الاخبار و قيل: اذا اخذ الله عطف على قوله اذ قالت الملائكة و هو فى غاية البعد و لو قال هو عطف على قوله اذ قال الله يا عيسى كان اقرب، و الميثاق العهد الّذى يثق المتعاهد به شبه العهد بالرّهن ثمّ استعمل الاخذ استعارة تخييليّة و ترشيحاً للاستعارة [لَمَآ ءَاتَيْتُكُم] كان حقّه ان يقول: لما آتاهم لكنّه اتى بالتكلّم و الخطاب حكاية لحال الخطاب [مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ] قرئ بكسر اللّام صلة للاخذ و ما مصدريّة او موصولة و اذا كانت موصولة فالعائد محذوف من الصّلة و العائد فى الجملة المعطوفة تكرار الموصول اعنى لما معكم، و لفظة من تبعيضيّة على تقدير كون ما مصدريّةً، و بيانيّة على تقدير كونها موصولةً، و قرئ بفتح اللّام فاللّام تكون موطّئة و ما شرطيّة او موصولة، و اذا كانت موصولة فالعائد مثل السّابق، و المراد بالكتاب أحكام الرّسالة و الكتاب التّدوينىّ صورتها و بالحكمة آثار الولاية [ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ] من

الكتاب و الاحكام القالبيّة و الحكمة الّتی هی العقائد الحقّة الدّقيقة الّتی لاتدرك الاّ بالمشاهدة بعين البصيرة [لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ] الّلام للقسم و الجملة منقطعة عن سابقها علی قراءة كسر لام لما آتيتكم و تكون بمنزلة جواب القسم لقوله: اذ اخذ الله ميثاق النّبيّين فانّه بمنزلة القسم و هی خبر لما علی قراءة فتح الّلام و كون ما موصولة و جواب للقسم و الشّرط علی تقدير كون ما شرطيّة، و الضّمير المجرور راجع الی ما فيما آتيتكم، او الی محمّد ﷺ او الی نبیّ يأتی بعد النّبیّ الاوّل يعنی اخذ الله ميتاق كلّ نبیّ لمن يأتی بعده او الی نبیّ كلّ امّةٍ علی ان يكون التّقدير اخذ الله ميثاق امم النّبيّين من كلّ امّة لنبيّها و قد نسب الی اميرالمؤمنين عليه السلام انّ الله اخذ الميثاق علی الانبياء عليهم السلام قبل نبيّناً ﷺ ان يخبروا اممهم بمبعثة و نعته و يبشّروهم به و يأمروهم بتصديقه و نقل: انّ الله اخذ الميثاق علی الانبياء علی الاوّل و الاخر فأخذ الله ميثاق الاوّل لتؤمننّ بما جاء به الاخر، و عن الصّادق عليه السلام انّه قال تقديره: اذا اخذ الله ميثاق امم النّبيّين كلّ امّة بتصديق نبيّها و العمل بما جاءهم به و انّهم خالفوهم ممّا بعد و ما وفوا به و تركوا كثيراً من شريعته و حرّفوا كثيراً منها [وَلَتَنصُرُنَّهُۥ] الضّمير المفعول راجع الی مرجع الضّمير المجرر السّابق، او الی اميرالمؤمنين عليه السلام علی ما روی عنهم فانّه نسب الی الصّادق عليه السلام انّه قال: مابعث الله نبيّاً من لدن آدم فهلمّ جرّاً الاّ و يرجع الی الدّنيا و ينصر اميرالمؤمنين عليه السلام و هو قوله لتؤمنّن به و لتنصرنّه يعنی اميرالمؤمنين عليه السلام، و عن الباقر عليه السلام عن اميرالمؤمنين عليه السلام فی حديثٍ طويلٍ يبيّن كيفيّة خلقهم انّه قال: و اخذ ميثاق الانبياء بالايمان و النّصرة لنا و ذلك قوله عزّ و جلّ: و اذا اخذ الله ميثاق النّبيّين لما آتيتكم من كتاب و حكمة ثمّ جاءكم رسولٌ مصدّق لما معكم لتؤمنّن به و لتنصرنّه يعنی

لتؤمنّن بمحمّد ﷺ و لتنصرنّ وصيّه و سينصرونه جميعاً و انّ الله اخذ ميثاقى مع ميثاق محمّد ﷺ بنصرة بعضنا لبعضٍ فقد نصرت محمّداً و جاهدت بين يديه و قتلت عدوّه و وفيت لله بما أخذ علىّ من الميثاق و العهد و النّصرة لمحمّد ﷺ و لم ينصرنى احد من الانبياء الله و رسله و ذلك لما قبضهم الله اليه و سوف ينصروننى و يكون لى ما بين مشرقها الى مغربها و ليبعثهم الله احياءً من آدم عليه السلام الى محمّد ﷺ كلّ نبىٍّ مرسل يضربون بين يدىّ بالسّيف هام الاموات و الاحياء و الثّقلين جميعاً (الى آخر حديث بطوله) [قَالَ] الله [ءَأَقْرَرْتُمْ] ايّها الانبياء او ايّها الانبياء مع الامم او ايّتها الامم [وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى] الاصر بالكسر و قد يضمّ و يفتح العهد و الذّنب و الثّقل و المراد به العهد [قَالُوٓاْ] اى الانبياء او الانبياء و اممهم او الامم [أَقْرَرْنَا قَالَ] الله للملائكة [فَاشْهَدُواْ] على الانبياء و اممهم او قال الله للانبياء فاشهدوا على اممكم [وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ] عن الصّادق عليه السلام قال لهم فى الذّرّ: اقررتم و اخذتم على ذلكم اصرى اى عهدى؟- قالوا اقررنا، قال الله للملائكة فاشهدوا، و عن اميرالمؤمنين عليه السلام قال الله للانبياء فاشهدوا على اممكم [فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ] الميثاق عن نبيّه و شريعته و وصيّه فى حقّ محمّد ﷺ و وصيّه او فمن تولّى منكم ايّها الحاضرون عن الايمان بمحمّد ﷺ بعد ذلك الميثاق او بعد ماذكر من ميثاق الانبياء على الايمان بمحمّد ﷺ و هو عطف على فاشهدوا ليكون محكيّاً بالقول، او عطف على قال ليكون ابتداء كلام مع الموجودين، او هو جزاء شرطٍ محذوفٍ اى اذا علمتم ذلك فمن تولّى بعد ذلك [فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ] الخارجون عن عهد الله و ميثاقه [أَ] لا يؤمنون بمحمّد ﷺ بعد ما تذكّروا انّ الله اخذ ميثاق جميع الانبياء على الايمان به و اخذ الانبيائ ميثاق

امهم عليه و بعد ما علموا انّ دين الله هو الايمان بمحمّد ﷺ [فَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَ]الحال انّه [لَهُۥٓ] اى لله او لمحمّدٍ ﷺ [أَسْلَمَ] انقاد [مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ] فى عالم الذّرّ او بحسب التّكوين او له اسلم بحسب التّكليف من فى السّماوات تماماً و من فى الارض صفوتهم و خلاصتهم الّذين هم المقصودون العاقلون، و امّا غيرهم فسواقط معدودون فى عداد البهائم، او له اسلم من فى الارض تماماً حين ظهور الدّولة الحقّة بظهور القائم عجّل الله فرجه، او له أسلم من فى الارض فى الدّنيا قبل الموت، او حين الموت و التّعبير بالماضى لتحقّق وقوعه [طَوْعًا وَكَرْهًا] الاسلام طوعاً و كرهاً فرقاً من السّيف بحسب التّكليف ظاهر، و امّا بحسب التّكوين فانقياد اجسام المواليد و اتّحادها مع طبائعها و نفوسها ليس الاقسراً وكرهاً و الكره فى عالم الذّرّ يكون بحسبه، عن الصّادق عليه السلام انّ اسلامهم هو توحيدهم الله عزّ و جلّ و هو اشارة الى اسلامهم التّكوينىّ او اقرارهم فى عالم الذّرّ و فى خبر آخر عنه عليه السلام انّ معناه أكرم اقوام على الاسلام و جاء اقوام طائعين قال كرهاً اى فرقاً من السّيف و هو اشارة الى الاسلام التّكليفىّ و عنه عليه السلام انّها نزلت فى القائم و فى رواية تلاها فقال: اذا قام القائم لا يبقى ارض الاّ نودى فيها شهادة ان لا اله الاّ الله، و انّ محمّداً ﷺ رسول الله [وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ] يعنى انّ اسلامهم عبارة عن اقرارهم بأنّه تعالى خالقهم و مبدئهم و رجوع الكلّ يكون اليه فلا ينبغى ان يبغوا غير دين من يكون مبدئهم و معادهم [قُلْ] يا محمّد ﷺ على سبيل المتاركة بعد ما اتممت لهم الحجّة من قبل نفسك و امّتك نحن: [ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ

مُسْلِمُونَ] يعنى نحن آمنّا و اسلمنا فانتم ان شئتم اسلمتم و ان شئتم لم تسلموا [وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ] المذكور فيكون اللّام للعهد الذّكرىّ او غير دين الاسلام فيكون اللّام للعهد الذّهنىّ [دِينًا] ملّة او طريقاً الى آخرته [فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ] ابتغاؤه و جهده [وَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ] حيث انفق بضاعته من القوى و المدارك و انفد عمره فى طلب مالا ينفعه بل يضرّه.

تحقيق اصناف النّاس بحسب طلب الّدين و البقاء عليه و الارتداد منه

اعلم انّه تعالى اشار فى هذه الايات الى اقسام النّاس التسعة بالمنطوق و المفهوم لانّ الانسان امّا طالب لدين او غير طالب، و الطّالب امّا يبتغى الاسلام ديناً فجهده مقبول و هو من الرّابحين و هو مفهوم مخالفة من يبتغ غير الاسلام ديناً و امّا يبتغى غير الاسلام ديناً و هو منطوقه، و غير الطّالب امّا داخل فى الاسلام او غير داخلٍ سواء كان داخلاً فى دين و ملّة اخرى او كان واقفاً فى جهنّام الطّبع، و غير الدّاخل فى دين الاسلام كافر و هو امّا يموت على الاسلام حين ظهور الولاية عليه حال الاحتضار او على الكفر و قد اشار اليهما بمنطوق قوله انّ الّذين كفروا و ماتوا و هم كفّار و بمفهومه، و الدّاخل فى الاسلام امّا يرتدّ عن ملّة الاسلام او يبقى عليها من غير ازدياد فيها، و المرتدّ الملىّ امّا يتوب او يبقى على ارتداده من غير ازدياد فيه و من غير انجراره الى الارتداد الفطرىّ، و قد اشار الى هذه الثّلاثة بمنطوق قوله كيف يهدى الله قوماً الى قوله الاّ الّذين تابوا و مفهومه و قد اشار الى الباقى على الارتداد مع انجراره الى الارتداد الفطرىّ الّذى لاتوبة له، و الى الباقى على الاسلام مع ازدياده و انجراره الى الايمان بمراتبه بقوله

تعالی: انّ الّذین کفروا بعد ایمانهم الی آخر الایة بمنطوقة و مفهومه.

و اعلم ایضاً انّ الانسان له اتّصال بالارواح الطیّبة و ابائه العلویّة بحسب الفطرة و الخلقة و هذا الاتّصال یورث استعداده للارتقاء الی اوائل علله و هذا هو الحبل من الله المذکور فی الکتاب و هو الفطرة الّتی فطر الله النّاس علیها فانّ اتّصل مع ذلك بخلفاء الله بالبیعة العامّة او الخاصّة صار مسلماً او مؤمناً و یعبّر عن هذا الاتّصال و الدّخول تحت الاحکام الالهیّة القالبیّة او القلبیّة بالاسلام و الایمان و الملّة و الدّین، و هذا الاتّصال هو الحبل من النّاس المذکور فی الکتاب، و المتّصل بهذا الاتّصال ان ارتدّ عن هذا الاتّصال و قطع هذا الاتّصال بانکار الله او خلفائه او احکامه و لم یؤدّ ارتداده الی قطع الفطرة صار مرتدّاً ملّیّاً بمعنی انّه ارتدّ عن الملّة و قطع الحبل من النّاس لاعن الفطرة و هذاالمرتدّلبقاء الحبل من الله و عدم قطع الفطرة ان تاب یقبل توبته لبقاء استعداده للاتّصال ثانیاً و الارتقاء الی الارواح و هذا هو المرتدّالملّیّ، و ان ارتدّ و زاد فی ارتداده حتّی ینجرّ الی قطع الفطرة و ابطالها و قطع الحبل من الله صار مرتدّاً فطریّاً لارتداده عن الاتّصال الفطریّ، و هذا المرتدّ لبطلان فطرته و اتّصاله الّذی کان سبب استعداده للاتّصال التّکلیفیّ لایقبل توبته و لذا قیل بالفارسیّة: «مردود شیخی را اگر تمام مشایخ عالم جمع شوند و خواهند اصلاح نمایند نتوانند»، و ما ورد فی الاخبار و أفتی الفقهاء رضوان الله علیهم به من الاشارة الی انّ المرتدّ الملّیّ من ولد علی الکفر و نشأ علیه ثمّ دخل فی الاسلام ثمّ ارتدّ منه، و المرتدّ الفطریّ من ولد علی الاسلام و نشأ علیه ثمّ دخل فیه ثمّ ارتدّ منه، اشارة الی انّهما کاشفان من الارتدادین فانّ المتولّد علی الاسلام و الناشئ علیه الدّاخل فیه لکون اسلامه کالذاتیّات قلّما یخرج منه مالم یقطع الفطرة، و المتولّد علی الکفر النّاشئ علیه

الدّاخل فى الاسلام لكون اسلامه مثل العرضيّات كثيراً ما يخرج من الاسلام من غير ابطال الفطرة و حينئذٍ لاحاجة لنا الى تكلّف قبول توبة المرتدّ الفطرىّ باطناً و عدم قبوله ظاهراً؛ اذاعرفت ذلك فقوله [كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ] اشارة الى المرتدّ الملّىّ اى لايهدى الله الى الايمان فانّ الاسلام طريق الايمان و هدايةٌ اليه او الى الاخرة و الجنان [قَوْمًا كَفَرُوا۟] بالله او بالرّسول او بما جاء به من الاحكام او بقوله فى حقّ خليفته [بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ] ايماناً عامّاً بالبيعة العامّة او ايماناً خاصّاً بالبيعة الخاصّة [وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ] عطف على ايمانهم بتقدير اداة المصدر او على كفروا او حال بتقدير قد [وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ] المعجزات او الادلّة الواضحات على حقّيّة الرّسول [وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ] جملة حاليّة فى مقام التّعليل و المعنى لايهديهم لانّهم ظلموا أنفسهم و قواهم و ظلموا الاسلام و صاحب الاسلام و بخروجهم عنه والله لايهدى القوم الظّالمين فهو اشارة الى قياس اقترانىّ من الشّكل الاوّل هكذا: انّهم ظالمون و كلّ ظالم لايهديه الله فانّهم لايهديهم الله [أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ] يعنى تبعيد الله او دعاء الله باللّعنة عليهم [خَـٰلِدِينَ فِيهَا] فى اللّعنة او فى الجحيم المستفادة بالالتزام [لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ] بتأخير العذاب عنهم مدّة و لاقتضاء مقام الغضب البسط و التّغليظ و التّشديد بسط الله تعالى فى الكلام و شدّد عليهم [إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ] الكفر بعد الاسلام [وَأَصْلَحُوا۟] ما افسدوه حين الكفر و هو استثناء من قوماً او من اولئك لاعن فاعل خالدين و لاعن المجرور فى قوله عنهم و لاعن مرفوع ينظرون لايهام الكلّ خلاف المقصود و المعنى اولئك عليهم لعنة الله الاّ الّذين تابوا منهم لانّهم كما سبق

ماقطعوا الحبل من الله المقتضى لاستعداد التّوبة و يقبل الله توبتهم [فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ] يغفر مساويهم بعد رجوعهم اليه [رَّحِيمٌ] يتفضّل عليهم و يرحمهم بعد مغفرتهم. روى انّ نزول الاية فى رجلٍ من الانصار ارتدّ بواسطة قتل وقع منه و لحق بمكّة ثمّ ندم و ارسل الى قوم ان سألوا رسول الله ﷺ فنزلت فرجع الى المدينة و حسن اسلامه، لكنّها تجرى فى كلّ من ارتدّ بانكار الله او الرّسول او بعض احكامه او بعض اقواله [إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ] بيان للمرتدّ الفطرىّ [بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ] العامّ او الخاصّ [ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا] بحيث يؤدّى الى ابطال الفطرة و قطع حبل الله [لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ] الاتيان باداة نفى التّأئيد للاشعار بأنّهم ما بقى لهم استحقاق التّوبة و قبولها لقطع ما به الاستعداد و الاستحقاق [وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ] يعنى انّ الضّلال على الاطلاق منحصر بمن قطع الفطرة و امّا من لم يقطع الفطرة و ان ارتدّ عن الاسلام لم يكن ضالّاً على الاطلاق لبقاء الهداية التّكوينيّة له [إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ] بيان لحال من بقى على الكفر [وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ] التّقييد بهذا القيد للاشعار بانّ الكافر يمكن ان يموت على الاسلام فلا يجوز بغض الكافر من حيث ذاته فى حال كفره و حيوته، و لالعنه بعد مماته الّا لمن علم حاله فى حيوته و انّه يموت على الكفر، او من سمع من صادقٍ بصير بحاله انّه مات او يموت على الكفر، و للاشارة اليه قال المولوىّ ﵀:

هيچ كافر را بخوارى منگريد
كه مسلمان مردنش باشد اميد
چه خبر دارى زختم عمر او
تا بگردانى از او يكباره رو

لكن ان ماتوا على الكفر [فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ

ذَهَبًا] تميز محوّل عن الفاعل او منصوب بنزع الخافض اى ملء الارض من ذهب [وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ]نفسهاى ولو بالغ فى الافتداء به فانّ الافتعال اذا لم يفد المطاوعة يدلّ على المبالغة و على هذا فلا حاجة الى التّكلّف فى توجيه صحّة الاتيان به ههنا لانّ ما بعد لو هذه يكون اخفى افراد الشّرط [أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ] و اتى فى هذه بالفاء فى خبر الموصول تأكيداً للزوم الجزاء للشّرط، و ترك الفاء فى خبر الموصول فى القرين السّابق مع انّه كان اولى بالتأكيد و البسط و التّغليظ لانّ المرتدّ الّذى ازداد فى كفره لوضوح عقابه و شدّة عذابه كأنّ عذابه كان من السملّميّات فلا حاجة له الى التّأكيد و التّغليظ و البسط و لذلك اقتصر فيه على ذكر عدم قبول التّوبة و كونهم من الضّالّين من دون ذكر عذاب و كيفيّة عقاب لهم بخلاف السّابق عليه و اللاحق به، و لذلك و لكون الضّلالة من اوصافهم لا بياناً لعقابهم اى بالعاطف فى قوله و اولئك هم الضّالّون بخلاف قوله فى السّابق اولئك جزاؤهم انّ عليهم، الاية، و بخلاف قوله فى الّلاحق: اولئك لهم عذابٌ اليمٌ فانّ الاتيان بالعاطف اشارة الى انّه معطوف و معدود من اوصافهم المعلومة و ليس المقام مقام سؤالٍ حتّى يجعل جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ بخلاف الفقرتين الاخريين.

الجزء الرّابع

[لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ] منقطع عن سابقه لفظاً و معنى او جواب لسؤال ناشٍ عن سابقه كأنّه بعد ماذكر الاصناف الاربعة من المنحرفين و المرتدّين و الكافرين سأل سائل: بم ننال الايمان و الثّبات فيه و مقام الاحسان؟ـ فقال: لن تنالوا البرّ اى الجنّة او الخير او الاتّساع فى الاحسان او الصّدق او الطّاعة او خصلة الاحسان الى الغير فانّ الكلّ معانى البرّ و الكلّ مناسب لمقام السّؤال

[حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟]قدمضى معنى الانفاق فى اوّل سورة البقرة [مِمَّا تُحِبُّونَ] اى بعض ما تحبّون فانّ الاحسان و المحبوبيّة للانسان لا يحصل الاّ بالتّوسّط فى الاخلاق و لمّا كان محبوب الانسان فى كلّ مرتبة شيئاً غير ما فى المرتبة الاخرى و لعلّ محبوبه فى مرتبة يكون مبغوضاً له بحسب مرتبةٍ اخرى و محبوب كلّ مرتبة لا يكون بالنّسبة الى جميع الافراد محبوباً لشخص فى حالٍ مبغوضاً له فى حالٍ آخر فلا يكون الانفاق و لاالمنفق مخصوصاً بشىءٍ و لا واقفاً على حدّ بل نقول: محبوب الانسان فى كلّ مرتبة نفسه و لوازم نفسه و موافقاتها فى تلك المرتبة و الاصل فى كلّ انفاق ان يكون ناشئاً او مورثاً لانفاق شيءٍ من انانيّته حتّى يكون مقبولاً فانّ المنفق اذا انفق لابقاء انانيّته او لازدياد انانيّته مثل المرائى و المعجب بنفسه و المنفق لابقاء الباطل او ابطال الحقّ لم يكن انفاقه مقبولاً و لا مورثاً للبرّ و الاحسان بل يكون مردوداً و مورثاً للعبد من البرّ [وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ]احقر ما يكون فلا يفوت عن الله [فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ] فيجازيكم باضعافه فلا تخافوا من فوته و افنائه [كُلُّ ٱلطَّعَامِ]الطّعام المطعوم بالفعل اوبالقوّة كالبرّ و الشّعير و المراد تعميم الطّعام بالاضافة الى ما قالت اليهود انّه كان حراماً على الانبياء السّابقة لا بالنّسبة الى كلّما يمكن ان يطعم، و هذا ردّ على اليهود و جواب لانكارهم تحريم الطّيّبات عليهم ببغيهم فانّ اليهود بعد ما نزل و سمعوا قوله تعالى فبظلم من الّذين هادوا حرّمنا عليهم طيّباتٍ احلّت لهم و قوله تعالى: و على الّذين هادوا حرّمنا كلّ ذى ظفرٍ و من البقر و الغنم حرّمنا عليهم شحومهما الاّ ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم و انّا لصادقون، قالوا: لسنا باوّل من حرّمت عليه و قد كانت محرّمة على نوحٍ

عليه السلام و ابراهيم عليه السلام و من بعده من بنى اسرائيل الى ان انتهى التّحريم الينا فكذّبهم الله و اجابهم بقوله: كلّ الطّعام [كَانَ حِلاًّ لِّبَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ] و ليس كما قالت اليهود انّ الطّيبات كانت محرّمة من زمن نوح [إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَآءِيلُ] بسبب مرضه [عَلَىٰ نَفْسِهِۦ] من لحوم الابل فانّه كما روى كان به وجع الخاصرة او عرق النّساء و كان اذا اكل لحم الجمل هيّج الوجع به فحرّم على نفسه لحم الابل [مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ] متعلّق بقوله حلّاً لبنى اسرائيل سوى لحم الابل الّذى حرّمه اسرائيل على نفسه قبل نزول التّوراة و بعد نزول التّوراة حرّم الطّيّبات عليهم ببغيهم [قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ] حاجّهم بكتابهم حتّى يتبيّن كذبهم فى ادّعائهم و صدقه صلى الله عليه وآله فيما نزل عليه من كتابهم، و قيل: لم يجسروا على اتيان التّوراة و بهتوا، و هذا دليل صدقه فى نبوّته حيث تمسّك بكتاب خصمة فى صدقه [فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ] بادّعاء انّ المحرّمات كانت محرّمة من زمن نوح [مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ] المذكور من المحاجّة و الزام الحجّة [فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ] تأكيد و حصر ادّعاء مبالغة، و ظلمهم عبارة عن وضع الانكار موضع التّصديق و الاقرار [قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ] كأنّ المقصود ان يقول، ظهر صدقى فاتّبعوا ملّتى لكن لمّا كان نسبة الصّدق الى الله فى المقام مستلزماً لصدقه صلى الله عليه وآله لانّه مدّع انّ اقواله ملقاة من الله تعالى اليه فاذا كان الاقوال الملقاة من الله صادقة كان هو صادقاً و كان الكناية بصدق الله عن صدقه ابلغ من التّصريح و أبعد من الشغب و اللّجاج و اقرب الى الانصاف كنى به عنه، و هكذا الحال فى الامر باتّباع ملّة ابراهيم فانّه عليه السلام لمّا كان معلناً بانّ ملّته ملّة ابراهيم و ملّة ابراهيم ملّته كنى باتّباع ملّة ابراهيم عليه السلام عن اتّباع ملّته صلى الله عليه وآله فقال [فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ

ٱلْمُشْرِكِينَ] قد مضت هذه العبارة قبيل هذا.

تحقيق كون البيت اوّل بيتٍ وضع و كونه مأمناً

[إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ] بالزّمان كما فى الخبر انّ موضع البيت اوّل بقعة خلقت من الارض على اختلافٍ فى مضمونها ثمّ دحيت الارض من تحتها، و كما فى الاخبار انّ الله أنزله لادم من الجنّة و كانت درّة بيضاء فرفعه الله الى السّماء و بقى اسّه، او بالشّرف كما فى الخبر: انّ الله اختار من كلّ شيءٍ شيئاً؛ اختار من الارض موضع الكعبة، او للعبادة على ما قيل انّه لم يكن قبله موضع مخصوص للعبادة [وُضِعَ] خلق او بنى [لِلنَّاسِ] لانتفاعهم بالمكاسب فيه للكاسبين، او بغفرانهم لقاصديه، او براحتهم و امنهم عن القاصدين لملتجئيه، او بهدايتهم لناظريه و ناظرى آياته، او بكفايتهم و قيامه بأمر معاشهم لساكنيه و مجاوريه و لو كانوا كافرين، او ببقائهم و عدم هلاكهم على ما روى من انّه لو هدم البيت و تركوا الحجّ لهلك اهل العالم [لَلَّذِى] للبيت الّذى [بِبَكَّةَ] بكّة و مكّة مترادفتان، او بكّة موضع البيت و مكّة تمام البلد و سمّيت بكّة لانّ النّاس يبكّون فيها يعنى يزدحمون او لبكاء النّاس حولها و فيها، او لانّها تبّك اعناق الجابرة اى تدقّها و اشير الى ذلك فى الاخبار، و روى انّما سمّيت مكّة بكّة لانّه يبكّ بها الرّجال و النّساء و المرأة تصلّى بين يديك و عن يمينك و عن شمالك و عن يسارك و معك و لابأس بذلك لأنّه انّما يكره فى سائر البلدان [مُبَارَكًا] ذابركة لمجاوريه حيث يرزقون من ثمرات الاشجار تماماً مع انّه لاثمرة فى مكّة و يجلب الحبوب و الاثمار اليه و لزائريه حيث يغفر الله لهم كيوم ولدتهم امّهم، و ينظر اليهم بالرّحمة، و يقبل توبتهم، و يخلف ما أنفقوا فى سبيله، و للطّيور و سائر اليحوان حيث انّها مأمونة من الاصطياد و لطيور المسجد لكونها مأمونة و مرزوقه، و للاشجار و النّبات فى ارض الحرم حيث

انّها مأمونة عن القطع فى الجملة، و لاهل العالم حيث انّهم باقون مرزوقون به كما سبق الاشارة اليه [وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ] فى حمل المعنى على الذّات مامرّ مراراً، و هدايته امّا بكون وجوده سبباً لهيجان النّفوس للتّوجّه و السّلوك اليه، او بكونه سبباً لقرب زائريه الى الله، او بكونه قبلة و متعبّداً لهم من زمن ابراهيم عليه السلام او من زمن آدم عليه السلام، او بكونه ذا آياتٍ دالّاتٍ على تشريف الله ايّاه و على كونه فى حماية الله، و على صدق الانبياء عليهم السلام الّذين امروا بتعظيمه و الطّواف حوله و النّسك لديه، و صدقهم فى ذلك يدلّ على صدق رسالتهم و ليس رسالتهم الاّ بالاقرار بالمبدأ و المعاد و توحيد المبدأ و توحيد العبادة، و تلك الايات مثل اهلاك من قصد خرابه مثل ابرهة صاحب الفيل و جنوده، و مثل شيوع الموت فى قبائل اخذوا الحجر الاسود حتّى ردّوه اليه، و مثل تنطّق الحجر الاسود كما روى عند محاجّة محمّد الحنفيّة مع علىّ بن الحسين عليه السلام، و مثل انحراف الطّيور من محاذاة فى طيرانهم، و بكونه ذا آياتٍ باقيّةٍ من آثار الانبياء و معجزاتهم عليهم السلام مثل مقام ابراهيم عليه السلام فانّ غوص القدم فى الحجر الصّلب آيةٌ دالّةٌ على انّ صاحبه ذو قوّةٍ خارجةٍ عن طوق البشر الهيّة، و كذا كونه محفوظاً على مدى الاعصار مع كثرة اعدائه الّذين كاوا بصدد محو مثل تلك الاثار و لذلك علّله بقوله تعالى [فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ] جملة مستأنفة جواب للسّؤال عن علّة الهداية، او حال مترادفة، او متداخلة للتّعليل، او صفة كذلك، او خبر بعد خبر و قد سبق الاشارة الى الايات و الى ظهورها [مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ] بدل من الايات بدل البعض من الكلّ او مبتدأ خبر محذوف او خبر مبتدءٍ محذوف اى هى مقام ابراهيم عليه السلام فانّه باعتبار غوص القدم فى الحجر و بقاء اثر القدم و محفوظيّته فى دهور طويلة آيات عديدة و حكاية مقام ابراهيم عليه السلام قد اختلف الاخبار فى بيانها من اراد فليرجع الى الاخبار و كتب التّفاسير

[وَمَن دَخَلَهُو كَانَ ءَامِنًا] عطف على مقام ابراهيم ﷺ او على جملة فيه آيات بيّنات، او على جملة انّ اوّل بيت وضع للنّاس للّذى ببكّة، او حال و لفظة من موصولة او شرطيّة و الدّاخل فيه آمنٌ من عذاب يوم القيامة بشرط الايمان و الدّاخل فى الحرم آمنٌ بالمواضعة الالهيّة عن المؤاخذة بجناية يؤاخذ عليها و الضّمير راجع الى البيت، او الى مقام ابراهيم، و المراد بمقام ابراهيم ﷺ هو الحجر الّذى فيه اثر قدم ابراهيم ﷺ او الموضع الّذى فيه ذلك الحجر الان، او الموضع الّذى بينه و بين البيت، او المسجد، او الحرم تماماً كما قيل، و كون امن من دخله من جملة الايات ان كان المراد به امنهم من تعرّض الجبابرة مع كثرتهم و هلاك من تعرّض له و لهم مثل اصحاب الفيل فواضح، و ان كان المراد به امنهم بالمواضعة الالهيّة، او امنهم من عذاب يوم القيامة، او امن من دفن فيه من العذاب ففيه خفاء.

اعلم انّ جميع الاعمال الشّرعيّة الفرعيّة و المناسك الظّاهرة القالبيّة صور لاعمال اللّطيفة الانسانيّة السّالكة الى الله والمناسك الباطنة القلبيّة و جميع المساجد و بيوت الله الصوريّة صور للمعابد الباطنة الانسانيّة من مواقف السّالك فى سلوكه و صور لبيوت الله الحقيقّة الّتى هى قلوب السّالكين الى الله الدّاخل فيها الايمان الممتازة من الصّدور المنشرحة بالاسلام بدخول الايمان فيها، و انّ الكعبة لمّا كانت بناء ابراهيم الّذى كان متحقّقاً بالقلب و كان بيت الله حقيقة كانت مظهراً للقلب بجميع مناسكه و معابده و لذلك اجرى عليها جميع ما للقلب من الاوصاف و الاثار فانّ القلب اللّحمانىّ لما كان اوّل نقطة خلقت من بدل الانسان لكونه مظهراً للقلب المعنوىّ الّذى خلق قبل جملة العوالم الرّوحانيّة باعتبار ربّ النّوع الّذى خلق قبل كلّ المخلوقات أجرى الله حكمه على الكعبة و قال: اوّل بيت وضع للنّاس للّذى ببكّة و من قال انّ الكبد

اوّل نقطة خلقت من بدن الانسان لانّه منبت النّفس النّباتيّة و احتياج بدن الحيوان ليس اوّلاً الاّ الى القوى النّباتيّة غفل عن انّ الجنين من اوّل استقراره فى الرّحم قد استفاد ضعيفاً من كلّ من القوى النّباتيّة الّتى لنفس الامّ و انّه من اوّل استقراره فى الرّحم يغتذى و ينمو بتدبير النّفس النّباتيّة الّتى فى الأمّ، و تصوير الاعضاء ايضاً ليس الاّ باعانة نفس الامّ لأنّها حريصة على ايجاد مثلها و بقائه و هى لا تصوّر اوّلاً الاّ ما كان مظهراً لمثلها لالجنودها و هو القلب، و لمّا كان القلب قبل تنزّله الى ارض العالم الصّغير كالدّرّة البيضاء و بعد تنزّله و اختلاطه باهل العالم الصّغير صار متلوّناً و كان دخوارض العالم الصّغير من تحته و كان فى وسط هذا العالم من حيث لحمته الصّنوبريّة و من حيث روحانيّته باعتبار استواء نسبته الى جميع اجزاء البدن و كان مولد الولاية و متوجّهاً اليه لجميع اهل العالم الصغير فى مناسكهم و ماربهم و كان مأمناً لمن دخله و دخل حريمه و كان قائماً بامور اهل مملكته و مقوّماً لهم و كان بركة و رازقاً من جميع الثّمرات من كان من اهله و من لم يكن من اهله، و كان مثابة و مرجعاً لهم، و كان اصل جميع القرى فى مملكته، و كان على الجميع الرّجوع اليه و التجرّد من ثياب الانانيّة لديه، و الطّواف حوله و التردّد عنده و الوقوف فى حريمه و قتل انانيّته و قربانها قبل الوصول اليه، اخبروا عن الكعبة بمثل ذلك و جعل الله لها من المناسك مثل ذلك و لعلّك تتفطّن اجمالاً بحكم جميع احكام الحجّ و مناسكه بعد التفطّن بماذكر، و قد أشرنا الى بعضها فيما سبق و نشير الى بعض منها فيما يأتى و الغافل عمّاذكرنا النّاظر الى ظاهر ماورد فى الاخبار من اوصاف البيت والرّائى صور ما جعل له من المناسك لايرى لها صحّة و حكمة عقلانيّة بل يريها كذباً و لغواً، و لو لم يخف من الله او من اهل الاسلام يطعن فيها كما يطعن الكفّار فيما ورد فيها [وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ

ٱلْبَيْتِ] قرئ بالفتح و بالكسر و هما مصدرا حجّ بمعنى قصد مطلقاً، او بمعنى قصد مكّة للمناسك المخصوصة، او بالفتح مصدر و بالكسر اسمه، و لمّا كان اهل العالم الصّغير مفطورين على قصد بيت القلب و كان ذلك حقّاً من حقوق الله عليهم و كان رجوعهم الى القلب رجوعاً الى الله كلّف الله النّاس بزيارة الكعبة الّتى هى مظهر ذلك البيت، و ادّى هذا التّكليف بصورة الخبر تأكيداً و اشعاراً بانّ هذا كان فى فطرتهم و حقّاً لله عليهم و ليس كسائر الحقوق الخلقيّة او الالهيّة ففيه تأكيد الوجوب من وجوه عديدة: اداء الامر بصورة الخبر، و انّه من الامور الّتى تقع لامحالة و لاحاجة الى الامر به، و تأكيده باسميّة الجملة، و كونه حقّاً على النّاس و كونه حقّاً لله، لا كسائر الحقوق الرّاجعة الى الخلق، و حصر ذلك الحقّ فى الله من غير شراكة الغير فيه [مَنِ ٱسْتَطَاعَ] بدل من النّاس و فى هذا الابدال تأكيد آخر للحكم من حيث التّخصيص بعد التعميم و التّوضيح بعد الاجمال فكأنّه كرّره و قال: لله على النّاس حجّ البيت لله على من استطاع [إِلَيْهِ سَبِيلاً] حجّه و هل الاستطاعة بالبدن او بالبدن و المال او الكسب بحيث يكفى لنفقته و نفقة من كان واجباً نفقته عليه ذهاباً و اياباً، او بحيث يكفى لذلك و يرجع الى ما يكفى بعده، و تحقيقه موكول الى الكتب الفقهيّة [وَمَن كَفَرَ] بالحجّ او بالله فى ترك الحجّ او باحكام الله فى تركه، و فى تسمية تركه كفراً تأكيد آخر لوجوبه فكأنّه قال: تارك الحجّ على حدّ الكفر و الشّرك بالله فكما أنّه لا يغفر ان يشرك به لا يغفر ان يترك الحجّ و يغفر ما دون ذلك فمن ترك الحجّ لا يعبأ الله به [فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ] عنه و ذكر الغنى فى مثل المقام يدلّ على المقت و الخذلان و قال غنىّ [عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ] بدل غنىّ عنه مبالغة فى الاستغناء ليدلّ على المبالغة فى المقت و الخذلان و لمّا كان حجّ بيت الله عبادة جامعة بين اتعاب البدن و كسر انانيّة النّفس و قطع علاقتها عن

متمنّياتها و تجردّها عن مشتهياتها مع بذل المال و انفاقة و لم يكن سائر العبادات كذلك ندب الله تعالى اليه و اكّده بأنواع التأكيدات ثمّ أمر نبيّه ان يخاطب اهل الكتاب بالتّقريع على الكفر بالايات تعريضاً بامّته فى ترك الحجّ و الكفر بعلىّ عليه السلام فقال [قُلْ] يا محمّد صلى الله عليه وآله [يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ] التّدوينيّة من آيات القرآن و التّوراة و الانجيل و التّكوينيّة و الاحكام الالهيّة الثّابتة فى الشّرائع الثّلاث [وَٱللَّهُ شَهِيدٌ] حاضر او حافظ [عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ] فيجازيكم على كفركم بالايات و لا ينفعكم التّحريف و الاستسرار [قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ] تكرار الخطاب و النّداء للتّأكيد فى التّقريع و للاشارة الى انّ كلّاً يكفى فى التّقريع [لِمَ تَصُدُّونَ] تمنعون [عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ] عن الحجّ او الجهاد او مطلق الخير او الولاية او الاسلام [مَنْ ءَامَنَ] حصل له الاسلام او من اراد الاسلام، قيل كانوا يمنعون المسلمين عن الايتلاف و الاتّفاق و كانوا يحرّشون بينهم حتّى اتوا الاوس و الخزرج فذكّروهم ما بينهم فى الجاهليّة من التّعادى و التقاتل ليعودوا المثله، او المعنى لم تمنعون من آممن بتحريف الكتب و تغيير صفة النّبىّ صلى الله عليه وآله و كتمان ما دلّ صريحاً على حقّيّة الاسلام [تَبْغُونَهَا] حال عن فاعل تصدّون او عن سبيل الله او عن كليهما او مستأنفٌ جواب لسؤالٍ مقدّرٍ و المعنى تبغون لها [عِوَجًا] او تبغونها معوّجة او تبغون عوجها على ان يكون مفعولاً به او حالاً او تميزاً يعنى تتجسّسون الاختلاف و المناقضات المترائاة فيها لتوهنوها على اهلها او ترغبون فيها ان كانت معوّجة لانّكم ذو و عوج و لا تطلبونها حال كونها مستقيمة، و العوج بالفتحين و العوج بكسر العين مصدر اعوج كفرح، او الاوّل مصدر و الثّانى اسم مصدر، او الاوّل فى المنتصبات مثل الجدار و العصا و الثّانى فى غيرها مثل الارض و الدّين، و العوج فى كلّ شىءٍ بحسبه فالعوج فى الدّين ان

يكون فى احكامه اختلاف و تناقض بحيث يشمئزّ منه الطّبائع السّليمة، او يكون موصلاً الى ضدّ ما يكون مطلوباً منه، او لا يكون موصلاً الى المطلوب منه، فانّ المطلوب من سبيل الله و التديّن بدين الله ان توصل المتوسّل بها الى الله و الى دار نعيمه، فان توصل الى الشيّطان و دار جحيمه اولم توصل الى الله كانت معوّجة [وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ] جمع الشّهيد بمعنى الحامل للشّهادة او المؤدّى لها او الامين فيها، او بمعنى العالم، و على اىّ تقدير فهو امّا منسىّ المفعول او منويّه اى انتم الّذين يستشهد بكم اهل ملّتكم فى قضاياهم، او انتم الامناء فى شهاداتهم و عليكم اعتمادهم، او انتم علماء ملّتكم، او انتم تشهدون بانّ السّبيل سبيل الله، او تشهدون انّكم تصدّون عن سبيل الله [وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ] وعيد لهم و لمّا كان القبيح فى الاية الاولى الكفر الّذى كانوا يجهرون به و فى هذه الاية حيلتهم فى صدّ المسلمين عن الاسلام و كانوا يخفونه اتى فى الاولى بقوله و **الله شهيد على ما تعملون** و فى هذه الاية بقوله و **ما الله بغافل** لانّ اخفاء القبيح كان مظنّة للغفلة عنه.

تفسير حجّة الوادع و غدير خم

و هذه الاية كسابقتها تعريض بالامّة و بكفرهم بعلىّ ؏ و ما جاء الرّسول به من عندالله فى حقّه و ما قاله لهم فى حجّة الوداع فى مسجد الخيف و غدير خمّ من الوصيّة فى حقّه و ما امرهم به من البيعة معه فى عشرة مواطن او ثلاثة مواطن و بصدّهم المسلمين عن البيعة معه و الطّاعة له، و لمّا كان الخطاب فى الايتين الاوليين مع اهل الكتاب امر نبيّه ان يخاطبهم توهيناً و تبعيداً لهم عن تشريف الخطاب و لمّا كان الخطاب فى الاية الاتية مع المؤمنين خاطبهم بنفسه تشريفاً لهم فقال [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ] اى اسلموا بالبيعة العامّة النبويّة و قبول الدّعوة الظّاهرة [إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ

ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ] و هم الّذين يصدّونكم عن سبيل الله و يبغونها عوجاً بالاستماع اليهم و قبول مفترياتهم [يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ] عن ايمانكم و عن السّبيل الموصل الى الله [كَـٰفِرِينَ] بعد تقريع اهل الكتاب على حيلتهم و خدعتهم للمؤمنين نبّه المؤمنين حتّى لا يغترّوا بهم و باقوالهم المموّهة قيل: نزلت فى نفر من الاوس و الخزرج كانوا جلوساً يتحدّثون فمرّبهم واحد من كبار اليهود فغاظه تألّفهم و اجتماعهم فأمر شابّاً من اليهود ان يجلس اليهم و يذكّرهم ما بينهم من القتال و ينشد لهم بعض ما قيل فيه ففعل فتنازع القوم و تفاخروا و تغاضبوا و قالوا: السّلاح السّلاح و اجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجّه اليهم رسول الله ﷺ و اصحابه فقال: اتدّعون الجاهليّة و انا بين اظهركم بعد اذاأ كرمكم الله بالاسلام و قطع به عنكم امر الجاهليّة و الّف بين قلوبكم، فعلموا انّها نزعة من الشّيطان و كيد من عدوّهم فألقوا السّلاح و استغفروا و عانق بعضهم بعضاً [وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ] لا ينبغى لكم ذلك [وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ] يعنى انّ الكفر فى جميع الاحوال قبيح خصوصاً فى تلك الحالة فانّ تلاوة الايات و وجود الرّسول كليهما يميتان الكفر و يحييان فطرة الايمان و لا يكفر فى مثل تلك الحال الاّ من بلغ فى الشّقاوة منتهاما [وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ] و من اهتدى الى الصّراط المستقيم الموصل له الى مطلوبه الّذى لا مطلوب له سواه لا يرجع منه البتّة؛ و هذا وجهٌ آخر لاستغراب الرّجوع الى الكفر يعنى انّكم اعتصمتم بالله بالبيعة مع رسوله ﷺ فانّ البيعة تورث التمسّك بمن قبل البيعة و التمسّك بالرّسول ﷺ تمسّك بالله لكونه مظهراً تامّاً له، و من اعتصم بالرّسول ﷺ يهتد الى الصّراط المستقيم الموصل الى الله لانّ الرّسول ﷺ هو الصّراط المستقيم و من اهتدى لا يرجع الاّ اذا كان

بالغاً فی العمی غایته [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ] كرّر النّداء لتشريفهم و تهييجهم على الثّبات على الايمان و الارتداع عن الكفر و لان يجبر كلفة التكليف بالتّقوى بلّذة النّداء [ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ] اتّقوا سخطه [حَقَّ تُقَاتِهِۦ] قد مضى تحقيق معنى التّقوى و مراتبها فى اوّل سورة البقرة و حقّ التّقوى على الاطلاق ان لا يبقى من المتّقى عين و لااثر بطىّ جميع مراتب التّقوى و الانتهاء الى التّقوى عن ذاته و عن تقواه فى جنب ذات الله و لمّا كان التّقوى بهذا المعنى لاتتيسّر الاّ لقليل قالوا: انّ هذه الاية منسوخة بقوله تعالى فى سورة التغابن **فاتّقوا الله ما استطعتم** لكنّ الحقّ انّ حقّ التّقوى تختلف بحسب اختلاف الاشخاص و بحسب اختلاف مراتب الشّخص الواحد فانّ حقّ التّقوى بالنّسبة الى اصحاب النّفوس الامّارة وبالنّسبة الى من لم يدخل بعد فى دين و لم يبايع البيعة العامّة مع نبىٍّ او خليفته ان يحتاط فى عمله و يطلب من يأخذ منه دينه و يترك ما ينافى طلبه و حقّ التّقوى بالنّسبة الى من دخل فى دين ان يمتثل ما أمربه، و يترك ما نهى عنه، و يطلب من يدلّه على حقّ دينه و روح اعماله، و يترك ما ينافى هذا الطّلب، و حقّ التّقوى بالنّسبة الى من دخل فى الايمان و دخل بذر الايمان فى قلبه ان يمتثل ما امر به و ينتهى عمّا نهى عنه بحسب ايمانه، و مراتب التّقوى للدّاخل فى الايمان كثيرة بحسب مراتب المؤمنين و درجاتهم كما سبق مفصّلاً، و هكذا الحال فى التّقوى بحسب مراتب الشخص الواحد من بشريّته الى فنائه فانّ حقّ التّقوى بحسب البشريّة غيرها بحسب الصّدر و القلب و الرّوح و هكذا؛ فالاية على هذا امر للجميع بالاتيان بحقّ التّقوى و كانت موافقة لقوله تعالى: **فاتّقوا الله ما استطعتم**؛ لانّ حقّ التّقوى من كلّ احد ما استطاعه لانّ الله لا يكلّف نفساً الاّ وسعها، و عن الصّادق عليه السلام انّه سئل عن هذه الاية فقال: يطاع فلا يعصى، و يذكر فلا ينسى، و يشكر

فلا يكفر، و لعلّك تفطّنت بصحّة تعميم الطّاعة و الّذكر و الشّكر و العصيان و النّسيان و الكفر بحسب مراتب المؤمنين [وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ] يعنى اديموا الاسلام الى حال الموت فالنّهى وارد على القيد لاالمقيّد و الاالمجموع و قرء فى قراءة اهل البيت مسلّمون بالتّشديد يعنى لاتموتّن الاّ و انتم مسلّمون لرسول الله ﷺ ثمّ للامام من بعده، و نسب الى الكاظم عليه السلام انّه قال لبعض اصحابه: كيف تقرأ هذه الاية: يا ايّها الّذين آمنوا اتّقوا الله حقّ تقاته و لاتموتنّ الاّ و انتم ماذا؟- قال: مسلمون يعنى بتخفيف الّلام فقال: سبحان الله يوقع عليهم الايمان فيسمّيهم مؤمنين ثمّ يسألهم الاسلام؛ و الايمان فوق الاسلام؟! قال: هكذا يقرأ فى قراءة زيد قال: انّما فى قراءة علىّ عليه السلام و هو التّنزيل الّذى نزل به جبرئيل على محمّد ﷺ الاّ و انتم مسلّمون لرسول الله ﷺ ثمّ الامام من بعده.

تحقيق حبل الله و حبل النّاس

[وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ] يطلق حبل الله على القرآن لانّه كالحبل المحسوس الممدود من الله الى الخلق طرفه الّذى هو مقام المشيّة و علويّة علىّ عليه السلام بيد الله، و طرفه الاخر بيد النّاس و هو نقشه وكتابته و لفظه و عبارته و يطلق على الكامل من النّبىّ ﷺ او الولىّ عليه السلام فانّه ايضاً حبل ممدود من الله الى الخلق طرفه المشيّة كالقرآن و طرفه الاخر بشريّته، و يطلق على الولاية التكوينيّة و الولاية التّكليفيّة فانّها ايضاً حبل ممدود طرفه المشيّة لانّ الكلّ متّحدة فى المقامات العالية، و التّفرقة انّما هى فى عالم الفرق و طرفه الاخر بشريّة الكامل و صدر قابل الولاية و بشريّته، و هكذا الحال فى النّبوّة و الرّسالة و الشّريعة المقرّره منهما و قوله تعالى بُعيد هذا: ضربت عليهم الذّلة اينما ثقفوا الاّ بحبل من الله و حبل من النّاس اشارة الى

الولايتين او الى القرآن و الولاية التّكليفيّة كما فى الخبر انّ الحبل من الله القرآن و الحبل من النّاس علىّ بن ابيطالب ﷺ، و نسب الى النّبىّ ﷺ انّه قال فى مقام وصف الكتاب و العترة: حبلين ممدودين طرف منهما بيدالله و طرف بايديكم و انّهما لن يفترقا؛ لكن بعد ما سبق فى اوّل سورة البقرة من تحقيق معنى الكتاب و تعميمه يعلم انّ الولاية التّكوينيّة كتاب من الله كما انّ الولاية التّكليفيّة ايضاً كتاب من الله و المراد به ههنا محمّد ﷺ بنبوّته او رسالته او ولايته، او المراد شريعته و دينه الّذى هو الاسلام، او المراد علىّ ﷺ، بولايته؛ فانّ المقصود من تلك الايات التّعريض بالامّة فى اتّباع الولاية، و على تعميم الامر بالاعتصام يراد جميع معانى الحبل بالنّسبة الى مراتب الخلق فكأنّه قال: اعتصموا ايّها المسلمون بمحمّد ﷺ و شريعته و كتابه و اعتصموا ايّها المؤمنون بعلىّ ﷺ و ولايته [جَمِيعًا] اى مجتمعين على الاعتصام [وَلَا تَفَرَّقُواْ] فى الاعتصام بان تمسّك بعضكم بحبل الله و بعضكم بحبل الشّيطان من الاديان المنسوخة و الباطلة و من ولاية المنافقين، نسب الى الباقر ﷺ انّه قال فى بيان انّ الاية تعريض بالامّة و اختلافهم فى الولاية بعد نبيّهم ﷺ انّ الله تبارك و تعالى علم انّهم سيفترقون بعد نبيّهم و يختلفون فنهاهم عن التفرّق كما نهى من كان قبلهم فامرهم ان يجتمعوا على ولاية آل محمّد ﷺ و لا يتفرّقوا [وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ] بالاسلام [فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا] فى الدّين متحاجّين متّفقين، لمّا كان العداوة بين النّاس بلاء عظيماً لهم و الالفة نعمة عظيمة فى الدّنيا و مورثاً للنّعمة فى الاخرة ذكر من بين النّعم الّتى انعم الله تعالى بها عليهم دفع هذا البلاء و اعطاء هذه النّعمة، قيل: كان الاوس و الخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهم العداوة و تطاولت الحروب مائة و

عشرين سنة حتّى أطفأها الله بالاسلام و الّف بينهم، و قيل: افتخر رجلان من الاوس و الخزرج فقال الاوسيّ: منّا خزيمة بن ثابت ذوالشّهادتين، و منّا حنظلة غسيل الملائكة، و منّا عاصم بن ثابت حميّ الّدين، و منّا سعد بن معاذ الّذي اهتزّ عرش الرّحمن له و رضى الله بحكمه فى بنى قريظة، و قال الخزرجيّ: منّا اربعة احكموا القرآن؛ ابيّ بن كعب و معاذ بن جبل و زيد بن ثابت و ابوزيدٍ، و منّا سعد بن عبادة خطيب الانصار و رئيسهم، فجرى الحديث بينهما فغضبا و تفاخرا و ناديا فجاء الاوس الى الاوسيّ و الخزرج الى الخزرجيّ و معهم السّلاح فبلغ ذلك النّبيّ ﷺ فركب حماراً و أتاهم فأنزل الله الايات فقرأ عليهم فاصطلحوا [وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا] ذكر نعمة اخرى اخرويّة هى دفع بلاء الوقوع فى النّار و النّجاة منها و بيان لما يورثه العداوة و الالفة [كَذَٰلِكَ]التّبيين لاياته المودعة فى البيت و المقام و احكامه المقرّرة فى باب حجّ البيت و آياته المذكورة فى مواعظكم [يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ] الاخر التّكليفيّة و الوعظيّة و التّكوينيّة [لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] الى مصالحكم و مضارّكم او الى ولاية وليّ امركم فانّها غاية كلّ هداية و تلويح كلّ آية كما انّ قوله تعالى [وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ]تعريض بالامر بطلب الولاية و بالاجابة لوليّ الامر فانّ المقصود انّ كون امّة منكم داعية الى الخير امرحتم فاطلبوهم و اجيبوا دعوتهم، و قرء فى قراءة اهل البيت ائمّة، و عن الباقر عليه السلام فى هذه الاية قال: فهذه لال محمّد ﷺ و من تابعهم يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر [وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ]الكاملون فى الفلاح فانّ كمال الفلاح بالبقاء بعد الفناء فى الله و هو مقام الدّعوة الى الخير و الامر بالمعروف و النّهى عن

المنكر، و عن الصّادق عليه السلام: الامربالمعروف و النّهی عن المنكر خلقان من خلق الله تعالی فمن نصرهما أعزّه الله و من خذلهما خذله الله، و عن النّبیّ صلی الله علیه و آله انّه قال: لایزال النّاس بخیر ما أمروابالمعروف و نهوا عن المنكر و تعاونوا علی البرّ فاذا لم یفعلوا ذلك نزعت منهم البركات و سلّط بعضهم علی بعضٍ و لم لكن لهم ناصر فی الارض و لافی السّماء، و نسب الی الباقر عليه السلام انّه قال: یكون فی آخر الزّمان قومٌ یُتبع فیهم قوم مراؤن یتقرّؤن و یتنسّكون حدثاء سفهاء لایوجبون امراً بمعروف و لانهیاً عن منكر الاّ اذا امنواالضّرر یطلبون لأنفسهم الرّخص و المعاذیر یتّبعون زلاّت العلماء و فساد علمهم یقبلون علی الصّلوة و الصّیام و مالا یكلّهم فی نفس و لامال، و لو اضرّت الصّلوة بسائر ما یعلمون بأموالهم و أبدانهم لرفضوها كما رفضوا اَسْمی الفرائض و اشرفها؛ انّ الامر بالمعروف و النّهی عن المنكر فریضة عظیمة بها تقام الفرائض هنا لك یتمّ غضب الله علیهم فیعمّهم بعقابه فیهلك الابرار فی دار الفجّار و الصّغار فی دار الكبار، انّ الامربالمعروف و النّهی عن المنكر سبیل الانبیاء و منهاج الصّالحین، فریضة عظیمة بها تقام الفرائض و تؤمن المذاهب و تحلّ المكاسب و تردّ المظالم و تعمر الارض و ینتصب من الاعداء و یستقیم الامر فأنكروا بقلوبكم و الفظوابالسنتكم و صكّوا بهاجباههم و لاتخافوا فی الله لومة لائم فان اتّعظوا و الی الحقّ رجعوا فلا سبیل علیهم **انّما السّبیل علی الّذین یظلمون النّاس و یبغون فی الارض بغیر الحق اولئك لهم عذاب الیم** هنالك فجاهدوهم بابدانكم و ابغضوهم بقلوبكم غیر طالبین سلطاناً و لاباغین مالاً و لامریدین بالظّلم ظفراً حتّی یفیئوا الی امر الله و یمضوا الی طاعته. و قد مضی تحقیق و اف فی اوّل البقرة عند قوله تعالی: اتأمرون النّاس بالبرّ و تنسون انفسكم للامربالمعروف و النّهی عن المنكر

[وَلَا تَكُونُواْ] يعنى فاجتمعوا على التّمسّك بتلك الامّة و لاتكونوا [كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ] كاليهود و النّصارى تركوا التّمسّك باوصياء موسى عليه السلام و عيسى عليه السلام و تفرّقوا غاية التفرّق و اختلفوا غاية الاختلاف [مِن مْ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ] كما جاءتكم البيّنات و الحجج الدّالاّت على وجوب التّمسّك و على معرفة من تتمسّكون فيه [وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ] توعيد للمتفرّقين و تهديد بليغ للمتشبّهين بهم من هذه الامّة و لهذا التهديد البليغ أكّد عذابهم باسميّة الجملة و الاتيان بها ذات وجهين فانّه فى قوّة تكرار النّسبة و الاتيان باسم الاشارة البعيدة و تأكيد العذاب بالعظيم [يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ] بياض الوجه و سواده كنايتان عن بشاشة السّرور و نضارته و كابة الحزن و الخوف و كدورته، او يظهر البياض حقيقة فى وجوهٍ و السّواد فى وجوهٍ لانّ يوم القيامة يوم ظهور الباطن فيظهر نور هؤلاء و ظلمة اولئك على ظاهرهم [فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ] فيقال لهم [أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ] فحذف فاء جواب امّا مع القول، و نزول الاية كما عن علىّ عليه السلام و غيره من الخاصّة و العامّة فى منافقى الامّة الّذين ارتدّوا على ادبارهم بعد ايمانهم بمحمّد صلى الله عليه و آله او علىّ عليه السلام فانّه روى انّهم اهل البدع و الاهواء من هذه الامّة و هذا التفسير يناسب الايات السّابقة بحسب تعريضها [فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ] بعد ايمانكم [وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ] لم يقل ففى رحمة الله خالدون لتأكيد دخولهم فى الرّحمة و للبسط فى مقام المحبّة و انّما لم يأت بالنّشر مطابقاً للّف لان يكون فتح الاية و ختمها بالرّحمة و اهلها و خالف بين الفقرتين فانّ التوفيق بينهما ان يقول و امّا الّذين ابيضّت وجوههم ابقيتم على ايمانكم فادخلوا الرّحمة بما كنتم تؤمنون

لكن لمّا كان التقريع على السّيئة اسوء عقوبة للمسيء اراد ان يبيّن انّهم يقرّعون اوّلاً ثمّ يدخلون العذاب و لمّا كان العذاب لا يحسّون به الاّ فى الاخرة و ان كانت جهنّم محيطة بهم لكنّهم لا يدخلونها و لا يحسّون بالمها الاّ فى الاخرة لكون اعضائهم خدرة فى الدّنيا و لبقائهم فى ابواب الرّحمة خارج جهنّم رحمة بهم لعلّهم يتنبّهون و يرجعون مالم يبطلوا فطرتهم الانسانيّة و لذلك يقال لهم فى الاخرة، ادخلوا ابواب جهنّم لانّهم لم يدخلوا ابوابها بعدُ قال تعالى فى حقّهم تفريعاً على تقريعهم فى الاخرة: فذوقوا العذاب؛ بخلاف المؤمنين لانّ التهنئة على البقاء على الايمان ليست تشبه الجزاء لهم و انّهم داخلون فى الرّحمة من حين كونهم فى الدّنيا فاسقط التّذكرة بالبقاء على الايمان فى جزائهم و أتى بالرّحمة مشعراً بدخولهم فيها من غير انتظار الاخرة و لم يقل بما كنتم تؤمنون لانّ دخول الرّحمة ليس الاّ بمحض الفضل بخلاف دخول العذاب فانّه بفعل العباد، و روى عن النّبىّ ﷺ ما يدلّ على انّ المراد بهم مخالفو علىٍّ عليه السلام و متّبعوه فانّه ﷺ قال: يرد علىّ امّتى يوم القيامة على خمس رايات؛ فراية مع عجل هذه الامّة فأسألهم ما فعلتم بالثّقلين من بعدى؟ـ فيقولون: أمّا الاكبر فحرّفناه و نبذناه وراء ظهورنا، و امّا الاصغر فعاديناه و ابغضناه و ظلمناه، فاقول: ردوا النّار ضماءً مظمئين مسوّدةً وجوهكم، ثمّ يرد علىّ راية مع فرعون هذه الامّة فاقول لهم: ما فعلتم بالثّقلين من بعدى؟ـ فيقولون: امّا الاكبر فحرّفناه و مزّقناه و خالفناه؛ و امّا الاصغر فعاديناه و قاتلناه فاقول: ردوا النّار ظماءً مظمئين مسوّدة وجوهكم، ثمّ يرد علىّ راية مع سامرىّ هذه الامّة فاقول لهم: ما فعلتم بالثّقلين من بعدى؟ـ فيقولون: امّا الاكبر فاتّبعناه و اطعناه؛ و امّا الاصغر فاحببنا و والينا و نصرنا حتّى اهريقت فيه دمائنا، فاقول: ردوا الجنّة رواءً مرويّين مبيضّة وجوهكم ثمّ تلا رسول الله

ﷺ. يوم تبيّض وجوهٌ الى قوله خالدون [تِلْكَ] المذكورات من كون البيت اوّل بيت وضع للنّاس الى انجرار التفرّق فى الاعتصام و الاختلاف الى اسوداد الوجوه و ظهور الظّلمة من الباطن فى الظّاهر و الى دخول العذاب و انجرار الاجتماع فى الاعتصام بحبل الله و ولىّ الامر الى ابيضاض الوجوه و دخول الرّحمة [ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ] الدّالّة على حقّيّته و مجازاته على الاعمال [نَتْلُوهَا] فى الايات التّدوينيّة [عَلَيْكَ] او تلك الايات المقرّوة آيات كتاب الله نتلوها عليك [بِالْحَقِّ] متلبّسة بالحقّ او بواسطة الحقّ المخلوق به [وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَـٰلَمِينَ] باسوداد الوجوه و ذوق العذاب بل هو نتيجة أعمالهم المنجرّة اليهم، و لمّا كان تقديم الفاعل و ادخال النّفى عليه مفيداً لنفى الفعل عن الفاعل مع اثباته لغيره فهو فى قوّة ان يقال: و لكنّهم يريدون الظّلم للعالمين [وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ] جملة حاليّة او معطوفة لرفع ما توهّم من نسبة الافعال السّابقة الى العباد من استقلالهم فى الوجود و فى الافعال و لتعليل نفى الظّلم عنه فانّ الظّلم امّا لجهل الظّالم بقبح الظّلم لكون المظلوم و مايملكه ممّا يظلم به خارجاً عن ملك الظّالم و اراد ادخاله فى ملكه، و الّلام فى مثله يدخل على الفاعل مثل ان يقال: هذا البناء للبنّاء الفلانى، و يدخل على المالك مثل ان يقال: هذا البستان لفلان اى ملكه، و على الغاية مثل ان يقال: هذا البناء للعبادة [وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ] لانّه غاية الغايات و نهاية الطّلبات لانّ كلّ فعل يستعقب فعليّة و كلّ فعليّة تنتهى الى فعليّة اخرى حتّى تنتهى الى فعليّة لافعليّة فوقها و هى الرّبوبيّة سواء تنتهى الفعليّات على طريق المظاهر اللّطفيّة او على طريق المظاهر القهريّة الى الفعليّة الاخيرة و غاية الخلقة لجميع الموجودات الانسان، و غاية الانسان الرّبوبيّة كما فى الحديث القدسىّ: خلقت الاشياء لاجلك و خلقتك

لاجلى، و هذا رجوع بطريق العود فى نفس الامر، او اليه ترجع الامور لانّه مبدء المبادي و مصدر المصادر و كلّ موجود جوهر او عرض مخلوق و كلّ مخلوق ذومصدر، و كلّ مصدر ذو مصدر آخر الى ان ينتهى الى المصدر الاخير كحركة القلم فانّ مصدرها حركة اليد، و مصدرها حركة الاعصاب و الرّباطات، و مصدرها حركة القوّة المحرّكة، و مصدرها حركة القوّة الفكريّة، و مصدرها النّفس، و مصدرها العقل، و مصدره المشيّة، و مصدرها الرّبوبيّة، و هذا انتهاء و رجوع بطريق النّظر، و هذا الرّجوع اشارة الى مبدئيّته تعالى و ذلك يدلّ على منتهائيّته [كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ]استيناف جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل من المبيّض الوجوه؟ـ فقال: كنتم مبيّضى الوجوه، و قال: خير امّة للاشارة الى وصفٍ آخر لهم، و لفظ كان لمحض التّأكيد منسلخ عن الزّمان او المقصود انّكم كنتم فى النّشئات السّابقة خير امّة [أُخْرِجَتْ] من العدم الى الوجود او من العوالم العالية و الحجب الغيبيّة الى عالم الشّهادة [لِلنَّاسِ]لانتفاعهم [تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ او صفة او حال او خبر بعد خبر و على ايّ تقدير فالمقصود تعليل كونهم خير امّة او يجوز ان يكون مستأنفاً لقصد المدح [وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ] و لمّا كان المخاطبون الائمّة المعصومين عليهم السلام كما روى عنهم بطرق كثيرةٍ و الفاظٍ متخالفة و متوافقةٍ و كانوا من اوّل تميزهم و اوان طفوليّتهم معصومين و آمرين قواهم و جنودهم فطرةً بالمعروف و ناهين لها عن المنكر الى زمان تعلّق التّكليف بهم بحسب الظّاهر و اوان بيعتهم و دخولهم فى الايمان ثمّ صاروا باقتضاء العصمة و ظهور الولاية آمرين و ناهين لاهل مملكتهم و لمن خرج عن مملكتهم بحسب التّكليف الالهىّ و الامر و النّهى الشّرعيّين اخبر عنهم بالمضارع الدّالّ على الاستمرار مسبوقاً بكال الدّالّ على انّه كان شأنهم و شغلهم الامر بالمعروف و النّهى عن

المنكر قديماً، و قدّمهما على الايمان لانّ حدوث الاثمان المذكور كان بعد الامر و النّهى المذكورين، او لانّ الامر بالمعروف و النّهى عن المنكر يدّلان على الايمان فطريّهما على فطريّة و تكليفيّهما على تكليفيّة [وَ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ] و لمّا كان للايمان بالله درجات و المؤمن السّالك الى الله يحصل له كلّ يوم درجة من الايمان غير ما فى السّابق اتى بالايمان ايضاً مضارعاً دالّاً على التجدّد، و ما قيل: انّما اخّر الايمان مع انّه حقّه ان يقدّم لانّه قصد بذكره الدّلالة على انّهم امروا بالمعروف و نهوا عن المنكر ايماناً بالله و تصديقاً به و اظهاراً لدينه ليس فى محلّه لانّ هذا المعنى يستفاد من التّقديم ايضاً بل مقتضى التّرتيب الذّكريّ الدّلالة على انّهم آمنوا بالله لكونهم آمرين بالمعروف و ناهين عن المنكر كما بيّناه خصوصاً مع ملاحظة ما ورد عنهم انّ الواو فى القرآن يفيد التّرتيب مع انّ الاغلب انّ التّرتيب الّذكريّ يكون للترتيب المعنويّ. و عن الصّادق عليه السلام انّه قرء عليه كنتم خير امّةٍ فقال: خير امّة يقتلون اميرالمؤمنين عليه السلام و الحسن عليه السلام و الحسين بن علىّ عليه السلام فقال القارى: جعلت فداك كيف نزلت؟- فقال: نزلت كنتم خير ائمّة اخرجت للنّاس الاترى مدح الله لهم: تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله و الاخبار فى انّ النازل من الله خير ائمّة و انّ المراد بهم محمّد صلى الله عليه وآله و اوصياؤه كثيرة، و لمّا كانت الامّة تطلق على من يؤتمّ به و على من يأتمّ بغيره يجوز ان يراد بالامّة معنى الائمّة، و يجوز ان يكون مرادهم من خير ائمّة انّ الاية بهذا المعنى نزلت لا بالمعنى الّذى توهّموه [وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ] عطف على قوله كنتم خير امّة او على قوله تأمرون على ان يكون مستأنفاً و كان المناسب ان يقول و لو امر اهل الكتاب بالمعروف و نهو عن المنكر و آمنوا [لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم] لكن لمّا لم يكن فطرتهم فطرة الامر بالمعروف قبل

الايمان و لاتكليفهم الامر بالمعروف بعد الايمان الاّ بعد الكمال فى الايمان و اراد تعالى ان يقول: لو حصول هلم اصل الايمان من دون التفات الى الاستكمال فيه اقتصر على الايمان [مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ]كأنّه قيل: اما آمن منهم احد؟ـ فقال جواباً له: منهم المؤمنون الّذين آمنوا بحمّد ﷺ قبل مبعثه و بعد بعثته مثل الانصار من يهود مدينة و مثل بعض النّصارى من اهل الحبشة و اهل اليمن [وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ] الخارجون من مقتضى دينهم و كتابهم و وصيّة نبيّهم و للاشارة الى هذاالمعنى لم يقل اكثرهم الكافرون [لَن يَضُرُّوكُمْ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: هل يضرّ الفاسقون منهم بنا؟ـ فقال: لن يضرّوكم [إِلَّآ أَذًى] الاّ ضرراً يسيراً هو الاذى فالاذى مفعول مطلق نوعيّ من غير لفظ الفعل و الاستثناء مفرّغ [وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ]يعنى ان فرض ضرر المقاتلة فالعاقبة لكن لانّهم ان يقاتلوكم [يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ] عطف على مجموع لن يضرّوكم (الى آخره) او على جملة الشّرط و الجزاء يعنى بعد الضّرر اليسير و المقاتلة لا ينصرون، او بعد المقاتلة لا ينصرون، و يجوز ان يكون ثمّ للترتيب فى الاخبار و قرئ لا ينصروا مجزوماً معطوفاً على الجزاء و الاية من الاخبار الاتية و تدلّ على نبوّة النّبىّ ﷺ لوقوع المخبر عنه بعد الاخبار كما اخبر [ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ]المحيطة بهم كالبيت المضروب عليهم فى الدّنيا بالصّغار و الجزية كاليهود و النّصارى الّذين رضوا بالجزية او فى الانظار كاليهود الّذين لا يوجدون الاّ ذليلين فى الدّنيا فى الامصار و الانظار اوبالمغلوبيّة بالحجّة، او فى الاخرة و الاتيان بالماضى لتحقّق وقوعه [أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ] وجدوا [إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ] هو الفطرة الّتى فطر الله النّاس عليها الّتى يعبّر عنها بالولاية التّكوينيّة الّتى هى الكتاب التّكوينىّ الالهىّ الّذى كتابه التّدوينىّ ظهوره و بيانه [وَحَبْلٍ مِّنَ

ٱلنَّاسِ] هو الاتّصال بالنّبىّ ﷺ بالبيعة العامّة او بالولىّ عليه السلام بالبيعة الخاصّة الولويّة و يعبّر عنه بالولاية التّكليفيّة، نسب الى الصّادق عليه السلام انّه قال: الحبل من الله كتاب الله و الحبل من النّاس علىّ بن ابى طالب عليه السلام [وَبَآءُو] اى يرجعون الى الاخرة و التأدية بالماضى للمشاكلة مع الافعال السّابقة و الاتية و لتحقّق وقوعه [بِغَضَبٍ] عظيمٍ [مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ]مشتقّ جعلىّ من المسكين و هو الّذى أسكنه الفقر من الحركة فى معاشه و هو اسوء حالاً من الفقير الّذى لايكون له ما يكفية لمؤنته و تلك الاوصاف جارية على اليهود من زمن النّبىّ ﷺ الى زماننا هذا فى جميع البلاد فانّه قلّما يوجد يهودىّ الاّ و هو ذليل، و الايات نازلة فى اهل الكتاب لكنّها تعريض بالامّة المعرضة عن علىّ عليه السلام [ذَٰلِكَ] المذكور من ضرب الذّلّة و المسكنة و البوء بالغضب [بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ]التّدوينيّة و الاحكام الالهيّة الّتى كانت فى كتبهم و شرائعهم و بايات الله التّكوينيّة من محمّدٍ ﷺ و علىّ عليه السلام و معجزاتهما و انبائهمم فانّ كفرهم باقوال أنبيائهم فى محمّد ﷺ و علىّ عليه السلام كفربهم و الاتيان بالمضارع مع تخلّل كانوا للاشعار بانّ هذه كانت سجيّتهم و انّهم مستمرّون عليها لايمكنهم الانفكاك عنها [وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ] التّقييد به للتّبيين او للتّقييد باعتقادهم يعنى يتيقّنون انّ قتلهم كان بغير حقّ لاانّهم كانوا يشكّون او يظنّون او يوقنون انّه بحقٍّ [ذَٰلِكَ] الكفر و القتل [بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ] اى بسبب عصيانهم وكونهم معتدين لانّ الاصرار على الصّغائر يفضى الى الكبائر و الكبائر تؤدّى الى الاكبر [لَيْسُواْ سَوَآءً] اى ليس اهل الكتاب الّذين آمنوا و الفاسقون سواء فى احوالهم و اعمالهم [مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ] مستأنفةٌ جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ مثل الجمل السّابقة و الاتية كأنّه قيل: ما حالهم المختلفة الغير المتساوية؟ او لم

قلت: ليسوا سواء؟ـ فقال: منهم [أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ] معتدلة في احوالهم و اخلاقهم و اعمالهم او قائمة للعبادة و يكون حينئذٍ آناء اللّيل متنازعاً فيه [يَتْلُونَ] صفة بعد صفة او حال او مستأنف [ءَايَٰتِ ٱللَّهِ] يعنى يرغبون في آيات الله و ينظرون اليها و يتدبّرون فيها من كتبهم و من القرآن [ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ] جمع الانى بفتح الهمزة اوكسرها و سكون النّون او جمع الانو بالكسر و السّكون بمعنى السّاعة من اللّيل [وَهُمْ يَسْجُدُونَ] يخضعون لله و للخلق او تلاوة الايات، و السّجود كناية عن صلوة العتمة او صلوة اللّيل و قوله تعالى [يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ] جملة مستأنفة او صفة بعد صفة او حال في مقام التّعليل، و يجوز ان يكون تأخيره عن التّلاوة و السّجود للاشعار بأنّه مسبب عنهما و المعنى يؤمنون بالله على يد محمّدٍ ﷺ بسبب تلاوة الايات و السّجود [وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ] و للاشعار الى انّهم ليسوا معصومين و مفطورين على الامر بالمعروف و النّهى عن المنكر بل هما يحصلان لهم بعد الايمان التّكليفيّ بالله اخّرهما ههنا عن الايمان بالله بخلاف الاية السّابقة فانّها كانت في وصف الائمّة المفطورين على الامر بالمعروف قبل الايمان [وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ] من العبادات و الاحسان الى العباد [وَأُوْلَٰٓئِكَ] العظماء الموصوفون بتلك الاوصاف [مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ] يعنى في الاخرة و الاّ فالمؤمن مكفّر و ذلك انّ معروفه يصعد الى السّماء فلا ينتشر في النّاس، و الكافر مشكور و ذلك أنّ معروفه للنّاس ينتشر في النّاس و لا يصعد الى السّماء و تعدية يكفروه الى المفعولين امّا لتضمين معنى الحرمان او لتشبيه المنصوب الثّانى بالمفعول مثل زيد حسن الوجه بنصب الوجه و قرء تفعلوا و يكفروه بالخطاب و الغيبة [وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِالْمُتَّقِينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر

للاشعار بمدحٍ آخر لهم و للاشارة الى انّ فعل الخير لايكون الاّ عن التّقوى و هو بشارةٌ للمؤمنين بانّ افعالهم الحسنة لاتعزب عن علم الله تعالى فيجازى لامحالة عليها [إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ] مستأنف جواب للسّؤال عن حال الصّنف الاخر من اهل الكتاب كأنّه قيل: قد عرفنا حال الامّة القائمة المؤمنة من اهل الكتاب فما حال الامّة الكافرة منهم؟! و انّما اخرج الكلام بصورة الجواب للسّؤال المقدّر مع انّ حقّه ان يقول: و منهم امّة معوّجة يكفرون بالله حتّى يتمّ التعديل مع قوله من اهل الكتاب امّة قائمّة اكتفاءً ببيان حالهم عن التّصريح بالتقسيم و تعميماً للحكم لجميع الكفّار مع الايجاز [لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ] اى لن تجاوز عنهم بالاغناء بتضمين مثل معنى المجاوزة [أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم] اقتصر ممّا يغترّ به الانسان فيكفر بالله عليهما لانّهما اعزّ الاشياء عليه و لانّ اعتماده و استظهاره بهما اقوى و اشدّ من غيرهما [مِّنَ ٱللَّهِ] اى من سخط الله [شَيْـًٔا] من الله حال مقدّم ان كان شيئاً مفعولاً به، او قائم مقام الموصوف الّذي هو مفعولٌ به ان كان شيئاً مفعولاً مطلقاً و لفظة من للتبعيض [وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ] بمناسبة مقام السّخط بسط فى الكلام و غلّظ و اكّد بمؤكّدات عديدة [مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ] اى الكفرة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ و المعنى مثل القوى و المدارك و الاعمار و الاموال الّتى ينفقها هؤلاء الكفرة لان تكون ذخيرة و زرعاً لاخرتهم فى انفاقها فى غير مواقعها و فى جعلها فى محلّ لايصل نفعها اليهم، و فى هلاكها و فناءها قبل بلوغها مبلغ الانتفاع [فِى] زمان [هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا] او فى حفظها او ابقائها [كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ] برد شديد [أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ] بجعل الزّرع فى موضع يهلك و يفنى قبل بلوغه و لايصل نفعه اليهم، او بزرعه فى غير وقته حتّى يدركه البرد فيهلكه و المعنى

كمثل حرثٍ اصابته ريحٌ قد مضى مكرّراً انّ التشبيه التمثيليّ لا يلزم التّرتيب بين اجزاء المشبّه و المشبّه به و لا دخول اداة التّشبيه على المشّبه به او المعنى مثل ما ينفقون من اموالهم و اعمارهم و قواهم فى زمان الحيوة الدّنيا او فى حفظها فى اهلاك الحرث الاخرويّ التّكوينيّ الّذى زرع ابذره فى وجودهم كمثل ريحٍ فيها برد شديد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالمعاصى عقوبة لهم، او بوضع الحرث فى غير محلّه او فى غير وقته [فَأَهْلَكَتْهُ] و افنته [وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ] اى ما ظلم الكفّار فى فناء منفقاتهم بلا منفعة لهم [وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] بانفاقهم فى محلٍّ او على وجهٍ او بنيّةٍ لا يصل منفعته اليهم، او المعنى و ما ظلم الله قوماً اهلك الرّيح حرثهم و لكنّهم ظلموا انفسهم برزع الحرث فى غير محلّه او فى غير وقته او مع اسخاط الله بمعصيتهم لا مع ارضائه بطاعتهم، و كان حقّ العبارة ان يقول: و ما الله ظلمهم و لكنّهم يظلمون لانّه اذا اريد نفى الفعل عن فاعل مع اثباته لغيره ينبغى ان يقع الفاعل المنفيّ عنه عقيب اداة النّفى و الفاعل مثبت له عقيب اداة الاستدراك لكنّه اراد ان يقول انّه لا ظلم فى ابطال الانفاق و لا فى اهلاك هذا الحرث فأدخل النّفى على الفعل دون الفاعل افادة لهذا المعنى، و اثبت ظلماً مالهم باعتبار منع انفسهم و قواهم عن حقوقها، و حصر وقوع الظّلم على انفسهم اشعاراً بهذا المعنى [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ] بالايمان العامّ و البيعة العامّة النبويّة و قبول الدّعوة الظّاهرة [لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً] البطانة بكسر الباء خاصّة الرّجل من الرّجال او من يتّخذه معتمداً عليه من غير اهله يستوى فيه المذكّر و المؤنّث و الواحد و غيره [مِّن دُونِكُمْ] متعلّق بلا تتّخذوا، و لفظة من ابتدائيّة، او صفة لبطانة و لفظة من تبعيضيّة؛ و المعنى لا تتّخذوا خليلاً بعضاً من غيركم [لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا] اى لا يقصرون الخبال و الفساد فيكم او لا يتوانون فى

الخبال فيكم و على اىّ تقدير فخبالاً تميز و ضمير الخطاب مفعول بـه عـلى الاوّل و منصوب بنزع الخافض على الثّانى، او هما مفعولان بتضمين مـعنى المنع و مثله [وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ] اى عنتكم و هو شدّة الضّرّ و المشقّة [قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ] فى ضمن كلامهم لعدم تمالكهم من شدّة البغض مع انّهم بنفاقهم يريدون ان يظهروا التّودّد لكـم و الجـمل الثـلاث اوصاف لبطانة او احوال مترادفة او متداخلة عنه لتخصّصه بقوله من دونكم او عن فاعل لاتتّخذوا او عن كليهما او مستأنفة فى مقام التّعليل [وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ] من البغضاء عليكم [أَكْبَرُ] ممّا يظهر من افواههم [قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ] و العلامات الدّالّة على بغضائهم لكم و شدّة عداوتهم فما لكم تتّخذونهم بطانة [إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ] ذوى عقولٍ او تدركون بعقولكم تلك العاملات اجتنبتم موالاتهم [هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ] انتم مبتدأ و اولاء خبره و تحبّونهم حينئذٍ خبر بعد خبر او حال او مستأنفٌ او انتم مبتدأ و اولاء مفعول من باب الاشتغال و خبره الفعل المقدّر و تحبّونهم مفسّرٌ او انتم مبتدأ و تحبّونهم خبره و اولاء بدل او منادى، او اولاء بمعنى الّذين خـبره و تـحبّونهم صـلة اولاء [وَلَا يُحِبُّونَكُمْ] تـقريع لهـم عـلى مـوالاتـهم [وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ] اى الكتاب المنزل عليكم و لستم كمن آمن ببعض و كفر ببعض و قد تكرّر فى الكتاب الالهىّ النّهى عن اتّخاذ الكافرين اولياء لانّ من يتولّاهم فهو منهم و الامر باتّخاذ المؤمنين اوليـاء فـما لكـم تؤمنون بالكتاب كلّه و لاتتّبعون هذا النّهى و الامر فهو تهييج لهم على ترك موالاتهم، و ما قاله مفسّروا العامّة من انّ المعنى تؤمنون بكتابهم و كتابكم و هم لايؤمنون بكتابكم بعيد من سياق اللّفظ [وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا] وجهٌ آخر لردعهم عن موالاة الكفّار المخاطبين لهم بانّهم يعاشرونهم على النّفاق و

لا ينبغى المؤمنين ان يوالى المنافق الّذى يكون ذالسانين [وَإِذَا خَلَوْاْ] عنكم [عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ] العصبيّتهم لدينهم [قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ] الخطاب لمحمّد ﷺ او لكلّ من يتأتّى منه الخطاب و هو دعاء عليهم بزيادة الغيظ و شدّته حتّى يهلكوا به، او بدوام الغيظ لقوّة الاسلام الى آخر اعمارهم، او زجر لهم على غيظهم [إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ] بما صحب الصّدور و لزمها فكيف لا يعلم ما يظهر على الاعضاء فى الخلوات من مثل عضّ الانامل و هو من جملة مقول القول فى مقام تعليل الموت بالغيظ او هو من الله و جواب لسؤآلٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: كيف يعلم الله عضّهم الانامل؟ـ فقال: انّ الله يعلم ما هو اخفى منه، او قيل: كيف علمت يا محمّد ﷺ؟ـ فقال: انّ الله يعلم ما هو اخفى منه فيخبرنى به [إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ] وجه آخر لردعهم عن موالاتهم [وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا] و هذه حالة العدوّ و حقّه العداوة لا الموالاة [وَإِن تَصْبِرُواْ] عن موالاتهم مع خوفكم عن ايذائهم و على ايذائهم ان آذوكم [وَتَتَّقُواْ] الله فى موالاتهم او تتّقوا عنهم بان تكونوا على حذرٍ منهم حتّى لا يصل اليكم اثر احتيالهم [لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا] فثقوا بالله و لا تكلوا على موالاتهم فى دفع مضرّاتهم [إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ] فى موضع التّعليل قرء بالخطاب وبالغيبة [وَإِذْ غَدَوْتَ] عطف على لا تتّخذوا اى واذكروا يا محمّد ﷺ و يا امّة محمّد ﷺ اوذكّرهم يا محمّد ﷺ بنصرة الله و تأييده فى مواطن عديدة حتّى تقوّيهم فلا يخافو من الكفّار و لا يولّوهم الادبار خوفاً منهم اذ خرجت بالغداة [مِنْ أَهْلِكَ] اى جبل احدٍ [تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ] تنزل كلّاً فى مقامه اللائق به [مَقَـٰعِدَ] امكنة مناسبة [لِلْقِتَالِ] فانّ المقعد و ان كان مأخوذاً من القعود يستعمل فى معنى الموقف و المقام من غير اعتبار قعود فيه كاستعمال

المقام فى مطلق الموقف و المكان من غير اعتبار قيام منه [وَٱللَّهُ سَمِيعٌ] و الحال انّ الله كان سميعاً لاقوالكم حين التّشاور [عَلِيمٌ] بنيّاتكم حين ترجيح بعضكم القتال فى المدينة و سككها و بعضكم الخروج الى خارج المدينة، او المعنى انّ الله سميع لاقوالكم حين الفشل و الفرار عليم باحوالكم و نيّاتكم و هو وعيد للمنافقين و وعد للصّادقين: نسب الى الصّادق عليه‌السلام انّه قال سبب غزوة احد انّ قريشاً لمّا رجعت من بدر الى مكّة و قد أصابهم ما أصابهم من القتل و الاسر لانّه قتل منهم سبعون و اسر منهم سبعون قال ابوسفيان: يامعشر قريش لاتدعوا نساءكم يبكين على قتلاكم فانّ الدّمعة اذا خرجت اذهبت الحزن و العداوة لمحمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله، و خرجوا من مكّة فى ثلاثة آلاف فارس و الفى راجل و اخرجوا معهم النّساء فلمّا بلغ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ذلك جمع اصحابه و حثّهم على الجهاد فقال عبدالله بن أبيّ: يا رسول الله لانخرج من المدينة حتّى نقاتل فى ازقّتها فليقاتل الرّجل الضّعيف و المرأة و العبد و الامة على افواه السّكك و على السّطوح فما ارادنا قوم قطّ فظفروا بنا و نحن فى حصوننا و دورنا و ما خرجنا على عدوٍّ لنا قطّ الّا كان لهم الظّفر علينا، فقام سعد بن معاذ و غيره من الاوس فقال: يا رسول الله ما طمع فينا احد من العرب و نحن مشركون نعبد الاصنام فكيف يظفرون بنا و انت فينا؟! لاحتّى نخرج الهيم نقاتلهم؛ فمن قتل منّا كان شهيداً و من نجا منّا كان مجاهداً فى سبيل الله، فقبل رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله رأيه و خرج مع نفرٍ من اصحابه يتبوّؤن موضع القتال كما قال سبحانه: و **اذغدوت من اهلك** و قعد عنهم عبدالله بن ابيّ و جماعة من الخزرج اتّبعوا رأيه، و وافت قريش الى احد و كان رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله عبّأ اصحابه و كانوا سبعمائة رجل فوضع عبدالله بن جبير فى خمسين من الرّماة على باب الشّعب و اشفق ان يأتيهم كمينهم من ذلك الشّعب فقال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله لعبد الله و

اصحابه: ان رأيتمونا قد هزمناهم حتّى أدخلناهم مكّة فلا تبرحوا من هذا المكان، و ان رأيتموهم قد هزمونا حتّى ادخلونا المدينة فلا تبرحوا و الزموا مراكزكم، و وضع ابوسفيان خالد بن وليد فى مأتى فارس كميناً؛ و قال: اذا رأيتمونا قد اختلطنا فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتّى تكونوا وراءهم (الى آخر ماروى) [إِذْ هَمَّت] بدل من اذغدوت او ظرف لسميع و عليم [طَّآلِـفَتَانِ مِنكُمْ] همابنوسلمة من الخزرج و بنو حارثة من الاوس و كانا جناحى العسكر و قيل: كانتا طائفة من الانصار و طائفة من المهاجرين و كان سبب همّهم بالفشل انّ عبدالله بن ابىّ بن سلول دعاهما الى الرّجوع الى المدينة عن لقاءالمشركين يوم احد فهمّتا به و لم تفعلاه [أَن تَفْشَلَا] تضعفا و تجبنا [وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا] فلا يدعهما ان تفشلا و تفرّا و هو جملة حاليّة، او المعنى و الله وليّهما فلا ينبغى لهما ان تفشلا [وَعَلَى ٱللَّهِ] لاعلى غيره كعبدالله بن ابىّ [فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ] عطف على قوله و الله وليّهما او حال و المقصود الاشارة الى تعليل الامر بالتّوكّل و تعليل ولايته [بِبَدْرٍ] موضع بين المدينة و مكّة كان لرجلٍ يسمّى بدراً فسمّى به [وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ] فى انظار النظّار من حيث العدّة و العدّة اذكنتم قليلين ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلاً و كنتم رثّ الهيئة من حيث اللّباس و لم يكن فيكم سلاح و لامراكب الاّقليلاً [فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ] فى الاعتماد على الغير و الاستمداد من الغير [لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] تتّصفون بمقام الشّكر او تشكرون نعمة نصرته لكم او تنعّمون بنعمة اخرى من النّصر و غيره فتشكرون على ان يكون تشكرون قائماً مقام تنعّمون من قبيل ا قامة المسبّب او السّبب مقام السّبب او المسبّب [إِذْ تَقُولُ] ظرف لنصركم او بدل من قوله اذ همّت او بدل ثانٍ من قوله اذ غدوت يعنى انّ الله كان سميعاً اذ تقول [لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ] فى مقام

الاستدلال على صدق النّبىّ ﷺ و وعده، او فى مقام المحاجّة على الاعداء، او فى مقام المقاتلة مع الاعداء، و الاتيان بلن الدّالّة على تأبيد النّفى للاشارة الى انّهم ظنّوا بحسب غفلتهم و عدم تفكّر هم و ضعف انتقالهم او بحسب قلّة عددهم و عُددهم انّه لم يكفيهم ابداً [أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ بَلَىٰٓ] محكىّ لقول النّبىّ ﷺ او ابتداء كلام من الله خطاباً لمحمّد ﷺ و امّته كأنّه قال الله تعالى بلى يكفيكم فهى ايجاب للكفاية و ليس قوله تعالى [إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ] بياناً لما افادته بلى بل هو وعد لهم بالزّيادة على هذا العدد فى الامداد بشرط الثّبات و التّقوى عن الفشل و الفرار فان تصبروا [وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا] الفور مصدر فار اذا غلى استعير للسّرعة ثمّ استعمل فى الزّمان الحاضر الّذى لا تراخى فيه اصلاً، او من فوران الغضب يعنى ان يأتوكم من اجل شدّة غضبهم [يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ] معلّمين بعلامات يمتازون بها عن غيرهم و قرئ بكسر الواو من سوّم على القوم اغار عليهم و يستفاد من بعض الاخبار انّه كما كان النّصر ببدر كان هذا الوعد ايضاً ببدر و انّ الملائكة النّازلة كانت اوّلاً ثلاثة الاف ثمّ لحق بهم الفان، و فى بعض الاخبارة اشارة الى انّ هذا الوعد كان فى غزوة احد [وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ] اى امدادكم بالملائكة [إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم] عن الاضطراب [بِهِۦ] يعنى ما كان المقصود من الامداد بالملائكة الاّ البشارة لكم لتسرّوا قبل الظّفر و لتطمئنّ قلوبكم قبل ان تقرّعيونكم بالغلبة و القتل لانّ الانظار البشريّة على الاسباب الحسيّة [وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ] من غير توسّط اسباب و آلات و من دون الحاجة الى امداد و استعداد [ٱلْعَزِيزِ] الّذى لا يمنع من مراده [ٱلْحَكِيمِ] الّذى لا ينصر و لا يخذل الاّ لحكم و مصالح

عائدة اليكم [لِيَقْطَعَ] متعلّق بقوله لقد نصركم الله او بقوله يمددكم او بالنّصر في قوله و ما النّصر الاّ من عندالله او متعلّق بمحذوف اى جعل هذا النّصر لكم ليقطع [طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ] بالقتل و الاسر كما وقع فى بدر [أَوْ يَكْبِتَهُمْ] كبته صرعه و اخزاه و صرفه و كسره و ردّه بغيظه و اذلّه و الكلّ مناسب و لفظة او للتّنويع [فَيَنقَلِبُواْ] يرجع [خَآئِبِينَ] غير نائلين من آمالهم شيئاً [لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ] جملة معترضة بين المتعاطفات و قطع لظنّ المؤمنين فى انّ امر هلاك المشركين او احياءهم بايمانهم منوط بمسئلة النّبىّ ﷺ [أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ] الظّاهر انّه عطف على ما قبل قوله ليس لك من الامر شىء و يجوز ان يكون عطفاً على الامر او على شىءٍ بتقدير ان و يجوز ان يكون او بمعنى حتّى بتقدير ان اى ليس لك من امرهم شىءٍ حتّى يتوب الله عليهم بمسئلتك، او يكون بمعنى الاّ بتقدير اى اى ليس لك من امرهم شىء الاّ ان يتوب الله عليهم فتسرّ بتوبته و على التّقادير الاربعة فقوله ليس لك من الامر يكون منقطعاً جواباً لسؤال مقدّر [أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ] نسب الى الباقر عليه السلام انّه قرء ان تتوب عليهم او تعذّبهم باظهار ان و لفظ الخطاب و نسب اليه ايضاً انّه قرء ان يتب عليهم او يعذّبهم و عنه عليه السلام انّه قرئ عنده ليس لك من الامر شىء قال بلى و الله انّ له من الامر شيئاً و شيئاً و ليس حيث ذهبت ولكنّى اخبرك انّ الله تعالى لمّا اخبر نبيّه ﷺ ان يظهر ولاية علىّ عليه السلام ففكّر فى عداوة قومه له فيما فضّله الله به عليهم فى جميع خصاله و حسدهم له عليها ضاق عن ذلك فاخبر الله انّه ليس له من هذا الامر شىء انّما الامر فيه الى الله ان يصيّر عليّاً وصيّه و ولىّ الامر بعده فهذا عنى الله و كيف لا يكون له من الامر شىء و قد فوّض الله اليه ان جعل ما احلّ فهو حلال و ما حرّم فهو حرام قوله تعالى ما اتاكم الرّسول فخذوه و مانهاكم عنه فانتهوا، و

روى عنه عليه السلام ايضاً انّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان حريصاً على ان يكون علىّ عليه السلام من بعده على النّاس و كان عندالله خلاف ما اراد فقال له: ليس لك من الامر شىء يا محمّد صلى الله عليه وآله فى علىّ عليه السلام الامر الىّ فى علىّ عليه السلام و فى غيره الم انزل عليك يا محمّد صلى الله عليه وآله فيما انزلت من كتابى اليك الم احسب النّاس ان يتركوا ان يقولوا آمنّا و هم لا يفتنون قال ففوّض رسول الله صلى الله عليه وآله الامر اليه [وَلِلَّهِ] من حيث كونه فاعلاً و غاية و مالكاً [مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ] بعد ما نفى كون الامر بيده اثبت مخلوقيّة الجميع و مملوكيّتها و رجوعها اليه تعالى [يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ] يعنى امر مغفرتهم و تعذيبهم بيده تعالى [وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ] ترجيح لجانب الغفران و ردع له صلى الله عليه وآله و للمؤمنين عن التّبادر الى الدّعاء و اللّعن عليهم و تغليب للرّجاء على الخوف [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ] ابتداء كلام لابداء حكم من احكام السّياسات و انّما صدّره بالنّداء ليجبر كلفة النّهى عمّاهم عليه من الرّباء بلذّة النّداء و الخطاب [لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ] لاتأخذوها و قد شاع استعمال الأكل فى مطلق الاخذ و التصرّف امّا لانّ كلّ تصرّف اكل لقوّة من القوى [أَضْعَـٰفًا] جمع الضّعف بمعنى مثل الشّىء [مُّضَـٰعَفَةً] تأكيد للتضعيف و المعنى امثال ماعيّنتموه فى المدّة الاولى او من شأنه ان يصير امثال اصل المال فى يسير زمان بتكرار الاجل و تكرار الزّيادة كما كانوا فى السّابق يربى الرّجل منهم الى اجل ثمّ يزيد فيه زيادة اخرى و هكذا حتّى يستوفى بالشّىء اليسير فى الزّمان القليل جميع مال المديون فهو نهى عن اقبح افراده او نهى عنه مطلقاً ببيان قبحه الشّأنىّ حتّى يكون علّة للنّهى و ليس تقييداً للنّهى حتّى يكون بمفهوم مخالفته منافياً لما سبق فى سورة البقرة من النّهى عنه مطلقاً ضمناً و لم يأتى فى سورة النّساء من التّصريح بالنّهى عنه مطلقاً [وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ] فى

ارتكاب ما نهيتم عنه من الرّبوا [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ] بالتجنّب عن مثل افعالهم من اكل الرّبوا و غيره و قد سبق وجه تحريم الرّبوا فى سورة البقرة عند قوله تعالى و احلّ الله البيع و حرّم الرّبوا، و بعد ما نهى عمّا يضرّ الانسان و يجرّه الى النّيران اغراه الى ما ينفعه و يجرّه الى الجنان فقال [وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ] بطاعة الرّسول فيما امركم به ونها كم عنه و لذلك لم يكرّر اطيعوا و قال [وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] قد سبق انّ الاتيان بادوات التّرجّى من عادة الكبار من النّاس و انّ التّرجّى من الله واجب غير متخلّف عنه [وَسَارِعُوٓاْ] بالمسارعة الى طاعة الرّسول و الاهتمام بها [إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ].

وجه التّعبير عن عرض الجنّة بعرض السّموات و الارض

اعلم انّ العرض و الطّول فى المسطّحات عبارة عن اقلّ الامتدادين و اكثرهما، و فى المجسّمات عبارة عن اقصر الامتدادات الثّلاثة و اطوالها، و العرض فى الاسطوانات و المخروطيّات عبارة عن امتداد قواعدها و الطّول فيها عبارة عن امتداد سهامها، و لمّا كان عوالم الامكان، مبتدئةً من المشيّة الّتى هى الواحدة الحقّة الظّلّية الّتى هى كالنّقطة فى عدم تطرّق الكثرة اليها منتهية الى عالم الاجسام الّذى هو لكثرته مثل قاعدة المخروط شبّه العوالم الطوليّة بالمخروط المنتهى من طرفٍ الى النّقطة و من طرفٍ الى القاعدة، و لمّا كان عالم الطّبع بكثرته مثل قاعدة المخروط فى كثرتها و قد علمت انّ عرض المخروط عبارة عن قطر قاعدته قال تعالى: عرضها نفس السّموات و الارض من غير تخلّل اداة التّشبيه، و لمّا كان هذه كلّها على طريق تشبيه المعقول بالمحسوس قال فى سورة الحديد: سابقوا الى

مغفرة من ربّكم و جنّة عرضها كعرض السّماء و الارض بتخلّل اداةالتّشبيه.

ثمّ اعلم انّ سعة عالم الطّبع و مكانه و عاء لسعة العوالم العالية كما انّ زمانه و عاء لامد بقائها و كما انّ سعة الدّهر الّذى هو امد بقاء العوالم العالية بالنّسبة الى الزّمان اضعاف الزّمان بالف او بخمسين الفاً لانّ يوماً من الدّهر الّذى و عاءه و مظهره يوم من الزّمان كالف سنة فى المرتبة الاولى او كخمسين الف سنة فى المراتب الأُخر كذلك سعة و عاء العوالم العالية الّذى هو بمنزلة مكان عالم الطّبع بالنّسبة الى المكان الّذى هو وعاء و مظهر لوعاء العوالم العالية اضعافه بالف او خمسين الفاً، و هذه السّعة غير السّعة بحسب الكثرة فلا ينافي تشبيه عالم الطّبع بالقاعدة فى الكثرة و العوالم العالية بالنّقطة فى الواحدة [أُعِدَّتْ] صفة بعد صفة او حال بتقدير قد او مستأنف جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: لمن هذه الجنّة؟ـ فقال: اعدّت [لِلْمُتَّقِينَ] قد مضى فى اوّل سورة البقرة بيان مراتب التّقوى فانّ التّقوى الحقيقيّة هى الّتى تكون بعد الايمان و اوّل مراتبها التّقوى عن نسبة شيءٍ من الاموال و الافعال الى نفسه و آخر مراتبها التّقوى عن ذاته بحيث لايبقى له ذات و انانيّة و هى آخر مراتب العبوديّة و اوّل مراتب الرّبوبيّة [ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ] من الاموال و الابدان و الاعراض و القوى و الاوصاف و الانانيّات [فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ] اى فى جميع الاحوال لايمنعهم حال من الاحوال من الانفاق و هذا بيان للمتّقين و ليس تقييداً له كما عرفت [وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ] الحابسين له. و الاوصاف الثّلاثة بيان لبعض مراتب الانفاق لانّ كظم الغيظ فى الحقيقة انفاق من سورة القوّة الغضبيّة كما انّ العفو عن النّاس و طهارة القلب عن الحقد عليهم و الانزجار من اساءتهم ثمّ الاحسان اليهم بعد اساءتهم

انفاق من سورة كبرياء النّفس و انانيّتها [وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ] العفو ههنا بمعنى الصّفح فانّهما كالفقراء و المساكين لانّ كظم الغيظ بمعنى العفو و ترك الانتقام و قد ذكر فالعفو بمعنى الصّفح الّذى هو تطهير القلب عن الحقد على المسىء.

تحقيق مراتب النّاس فى القصاص و تركه

[وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ] حقّ العبارة ان يقول والمحسنين لكنّه عدل اليه لافادة القسيم و كونه محبوباً لله باخصر لفظٍ، و لمّا كان الممدوح من هذه الثّلاثة ما كان سجيّة و ما كان منها صادراً عن سجيّة اتى بها اسماء بخلاف الانفاق فانّ المقصود و الممدوح منه حدوث الفعل و طرح الفضول و نفع الغير و ان كان سجيّته ايضاً ممدوحة و لذلك اتى به فعلاً دالاًّ على التّجدّد الاستمرارىّ و قد اشار تعالى بهذه العبارة الوجيزة الى مراتب التّقوى و منازل السّلوك؛ فانّ اولى مراتب التّقوى و السّلوك الانزجار عن فضول الدّنيا و مساوى النّفس و هو نحو انفاق من تشهيّات النّفس ثمّ انفاق الفضول و طرح شهوات النّفس و فى هذه المرتبة يباح له القصاص عن المسىء لكنّه ينهى عن الزّيادة على قدر الاساءة و هو ايضاً تقوى و انفاق من القوّة الغضبيّة و امضائها فانّها لاتقف فى مقام مكافاة المسىء على حدٍّ و هذه المرتبة لها درجات عديدة، و ثانيتها مقام كظم الغيظ و ترك امضاء الغضب على المسىء و لهذه المرتبة ايضاً درجات، و ثالثتها العفو عن المسىء و تطهير القلب عن الحقد عليه و لايكون الاّ اذا حصل للسّالك مقام الشّهود و العيان و شاهد الحقّ الاوّل فى مظهر من مظاهره و لهذه المرتبة ايضاً درجات و فى هذه المرتبة مهالك عديدة و مفاسد غير محدودة و كلّ من زاغ و انحرف الى مذهب من المذاهب الباطلة نشأ انحرافه من هذه المرتبة و آخرة درجاتها آخرة درجات العبوديّة و

اوّل ظهور الرّبوبيّة و هو مقام الاحسان و مقام المحبوبيّة لله [وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً] عطف على الّذين ينفقون و الفاحشة تطلق على الزّنا مخصوصاً و على ما يشتدّ قبحه مطلقاً و على كلّ ما نهى الله عزّ و جلّ عنه [أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ] الظّاهر المتبادر ان يكون المراد بالفاحشة البالغ فى القبح و بظلم النّفس مطلق القبيح حتّى يكون من قبيل ذكر العامّ بعد الخاصّ او الغير البالغ فى القبح حتّى يكون قسيماً للفاحشة لكنّه نسب الى النّبىّ ﷺ انّه فسّر الفاحشة بالزّنا و ظلم النّفس بارتكاب ذنب اعظم من الزّنا و انّ الاية نزلت فى شابٍّ كان ينبش القبور سبع سنين حتّى نبش قبر جارية من بنات الانصار و اخذ كفنها ثمّ جامعها فسمع صائتا يقول من ورائه: يا شابّ و يلك من ديّان يوم الدّين يوم يقفنى و ايّاك كماتركتنى عريانة فى عساكر الموتى و نزعتنى من حفرتى سلبتنى اكفانى و تركتنى اقوم جنبةً الى حسابى فويل لشبابك من النّار، فندم و اتى النّبىّ ﷺ باكياً متضرّعاً و لمّا علم النّبىّ ﷺ بحاله بعد استعلام حاله نحّاه من عنده فيئس و خرج الى بعض الجبال و تضرّع على الله اربعين صباحاً حتّى انزل الله تعالى قبول توبته و انزل هذه الاية على نبيّه ﷺ فخرج مع اصحابه فى طلبه فدلّوه عليه فجاء اليه و دنا منه و اطلق يديه من عنقه و نفض التّراب من رأسه و قال: يا بهلول ابشر فانّك عتيق الله من النّار [ذَكَرُواْ ٱللَّهَ] يعنى لم يكن الفاحشة او ظلم النّفس من التّمكّن فى الجهل بل كان من اللّمم النّازلة بالعباد المغفورة لانّها لم تكن كبيرة كما سبق انّ الكبيرة ما كان صادراً من التّمكّن فى اتّباع الطّاغوت و امّا اذا كان الانسان متمكّناً فى اتّباع علىّ عليه السلام و ولايته فكلّما صدر عنه من المساوى فهو من قبيل اللّمّات و من الصّغائر و هذا الانسان كلّما يوقعه الشّيطان فى قبيح يتذكّر الله لامحالة و يندم على قبيحه و يستغفر ربّه و ما ورد فى الاخبار من انّ الاصرار

ان يذنب الذّنب فلا يستغفر الله و لا يحدّث نفسه بتوبة، و من قوله عليه السلام: لاصغيرة مع الاصرار و لا كبيرة مع الاستغفار، و من قول النّبيّ صلى الله عليه و آله: ما اصرّ من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرّة، و غير ذلك ممّا ورد فى بيان الكبائر و الصّغائر يشعر بما ذكرنا فصاحبوا الصّغيرة هم الّذين اذا فعلوا فاحشة ايّ فاحشة كانت ذكروا الله [فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ] و صاحبوا الكبيرة هم الّذين اذا فعلوا فاحشة لم يتذكّروا و لم يستغفرا الله لذنوبهم، و ما ورد من تعداد الكبائر و حصرها فى السّبعة او اكثر انّما هو للاشارة الى الكبارة بنسبة بعضها الى بعض [وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ] معترضة او حاليّة و المقصود تأييس العباد عن التوجّه الى غيره تعالى و الاستغفار ممّن سواه و توصيفه تعالى بسعة المغفرة مع حصرها فيه [وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا] عطف على قوله استغفروا لّذنوبهم، و الاصرار على المعصية كما علم سابقاً توطين النّفس على المعصية من دون احداث توبة سواء صدرت عنه مكرّرة ام لا كما انّ الكبيرة هى المعصية الصّادرة عن تمكين النّفس فى الجهل و اتّباع الطّاغوت [وَهُمْ يَعْلَمُونَ] يعنى لم يصرّوا على الفاحشة او ظلم انفسهم و الحال انّهم كانوا يعلمون بقبح فعلهم يعنى انّ مناط صدق الاصرار على القبيح هو علم الفاعل بقبحه لاقبحه فى نفس الامر فلو اشتبه الاجنبيّة و اصرّ على المضاجعة معها لم تكن معصية و لاالاصرار عليها اصراراً على القبيح [أُوْلَـٰئِكَ] الاتيان باسم الاشارة البعيدة لاحضارهم باوصافهم العظيمة و لتفخيم شأنهم [جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ] هذه الجملة تأكيد لما استفيد من قوله اعدّت للمتّقين فانّه افاد انّ الجنّة و المغفرة جعلت نزل المتّقين لانّهاكانت جزاءهم ولكونها فى مقام التّأكيد اتى بها مؤكّدة باسميّة الجملة و تكرار النّسبة بجعلها ذات وجهين كبرى و صغرى و بسط فى

الكلام و لم يكتف بذكر المغفرة و الجنّة و جمع الجنّات و وصفها بقوله تعالى [تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا] و مدحها بما يرتفع المنّة به عنهم و انّها اجر عملهم فقال: [وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ] المغفرة و الجنّات، روى انّه لمّا نزلت هذه الاية صعد ابليس جبلاً فصُرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا اليه فقالوا: يا سيّدنا لما دعوتنا؟ـ قال: نزلت هذه الاية فمن لها؟ـ فقام عفريت من الشّيطان فقال: انالها بكذا و كذا، قال لست لها، فقال آخر فقال مثل ذلك، فقال: لست لها، فقال الوسواس الخنّاس: انالها، قال بماذا؟ـ قال اعدهم و امنّيهم حتّى يواقعوا الخطيئة فاذا واقعوا الخطيئة انسيتهم الاستغفار فقال: انت لها، فوكّله بها الى يوم القيامة [قَدْ خَلَتْ] استيناف جواب لسؤالٍ مقدّر كأنّه قيل: هذا للمتّقين فما لغيرهم؟ـ فقال: قد خلت اى مضت [مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ] جمع السّنّة و هى السّيرة و الطّريقة و المقصود انّه مضت طرائق كانت عليها الامم الماضية من المتّقين المصدّقين و الفاسقين المكذّبين [فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ] اى ارض عالم الطّبع لاستعلام سير المصدّقين و المكذّبين حتّى تعلموا حالهما و عملهما و صنع الله فيهما و فى اعقابهما فى الدّنيا و الاخرة بمشاهدة آثار صنع الله بهما و باستعلام اخبار الانبياء بحالهما فى الاخرة ثمّ تكفّروا [فَانظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ] حتّى تعتبروا من حالهم و تجتنبوا مثل افعالهم، او سيروا فى ارض القرآن و الكتب السّماويّة، او فى ارض اخبار الانبياء و اوصيائهم، او فى ارض السّير و التّواريخ، او فى ارض وجودكم و عالمكم الصّغير فانّ اهل عالمكم الماضين كلّ منهم فى مقامهم كانوا مدّعين للانانيّة و الاستقلال و مكذّبين بلسانهم الحالىّ لم يقول انتم فى الطّريق و الهلاك من هذه الحيوة و لابدّ لكم الفناء من هذا الوجود ثمّ البقاء و الحيوة بوجود آخر اشرف و اكمل [هَـٰذَا] القرآن باياته

او هذا المذكور من ذكر حال المتّقين و مالهم و ذكر المكذّبين و الاشارة الى عاقبتهم الفضيحة، او هذا المذكور من السّنن الماضية من المتّقين و المكذّبين، او السّير فى الارض، او فضيحة عاقبة المكذّبين [بَيَانٌ] اى ظاهر او مظهر او اظهار [لِّلنَّاسِ] عامّة [وَهُدًى] هاد او هداية [وَمَوْعِظَةٌ] واعظ او وعظ [لِّلْمُتَّقِينَ] خاصّة فانّ شرط الهداية و الوعظ قبول القابل لانّهما امران اضافيّان [وَلَا تَهِنُوا] عطف على سارعوا لانّ الفاصل بينهما من متعلّقات المعطوف عليه اى لاتضعفوا عن الجهاد بما اصابكم يوم احد و قد اصبتم مثليه يوم بدر [وَلَا تَحْزَنُوا] على قتلاكم لانّهم بلغوا بالقتل مقاماتهم العالية من الجنان و عانقوا ازواجهم من الحور العين، و لا على مافات منكم من الغنيمة [وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ] بالصّعود على الجبل او انتم الاعلون شأناً لانّكم على الحقّ و عدوّكم على الباطل و قتلاكم فى الجنّة و قتلاهم فى النّار، او انتم الاعلون فى العاقبة بالغلبة عليهم و على اىّ تقدير فهو تسلية قيل: نزلت الاية تسليةً للمؤمنين لمانالهم يوم احد من القتل و الجراح، و قيل: لمّا انهزم المسلمون اقبل خالد بن وليد بخيلٍ من المشركين يريد ان يعلو عليهم الجبل فقال النّبىّ ﷺ لايعلنّ علينا و وثب نفر رماة فصعدوا الجبل و رموا خيل المشركين حتّى هزموهم وعلاالمسلمون الجبل و نزلت الاية، و قيل: نزلت بعد يوم احدٍ حين امر الله رسوله ﷺ بطلب القوم و قد أصابهم من القتل و الجراح ماأصابهم و قال رسول الله ﷺ لايخرج الاّ من شهد معنا بالامس فاشتدّ ذلك على المسلمين فنزلت الاية [إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ] يعنى ان كنتم باقين على الايمان كنتم اعلون او هو شرط تهييجىّ لقوله: لاتهنوا [إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ] قرئ بالفتح و الضّمّ و هما مصدر ان، او القرح بالفتح مصدر و بالضمّ اسم المصدر بمعنى الم الجراح [فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُو] ببدر او فى

تلك الغزوة [وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ] اى ايّام الغلبة و السّرور و النّعمة فانّه يكنّى بالايّام عن النّعمة و السّرور فيقال: هذه ايّام فلان يعنى وقت سروره و نعمته [نُدَاوِلُهَا] اى نديرها بالنّوبة [بَيْنَ ٱلنَّاسِ] فنعطى السّرور و الظّفر و الغنيمة يوماً للمؤمنين و يوماً للكافرين لئلّا يغترّ المؤمنون و يسكنوا الى الدّنيا يجعلوا ايمانهم وسيلة لراحة دنياهم و لئلّا يدخل المنافقون فى الاسلام طلباً للدّنيا فيزاحموا الانبياء و يفتنوا المؤمنين [وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ] اى ليظهر علمه بالّذين اسلموا حقيقةً او ليعلم نبيّه الّذى هو مظهر اسمه الجامع الّذى هو الله و لذلك التفت من التّكلّم الى الغيبة [وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ] بالابتلاء و الامتحان [شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ] او امناء فى الشّهادة او رجالاً لا يغيب عن علمهم شىء كالاوصياء و الاولياء او قتلى فى سبيل الله و يظهر ظلم الظّلمة منكم و من الكفّار بسبب الغلبة و المغلوبيّة و اكتفى عنه بقوله [وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ] فانّه يدلّ عليه من شىء زائد و المراد بنفى المحبّة فى مثل المقام اثبات الغضب عليهم كما مرّ مراراً [وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ] من الاهوية و الاغراض الفاسدة بسبب المغلوبيّة و من الذّنوب بسبب تحمّل الاذى، او ليميز الله الّذين آمنوا من الّذين كفروا ممّن انتحل الاسلام، او ليميز الله الّذين آمنوا من الّذين كانوا كافرين باعلان كلمة المؤمنين [وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ] من حيث ذواتهم باهلاك بعض و اسر بعض و اجلاء بعض، او من حيث كفرهم بادخالهم طوعاً او كرهاً فى الاسلام [أَمْ حَسِبْتُمْ] اضراب عمّا يستفاد من تلك التّسلية سواء جعل ام بمعنى بل مع الهمزة او بمعنى بل فقط كأنّه قال: ما تثبّتّم على الايمان و على الجهاد بل حسبتم [أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ مِنكُمْ] لمّا يظهر جهاد منكم فلم يظهر على الله بجهادكم او لم يعلم الله الجهاد منكم فى

مقام مظاهره الّذين هم الانبياء عليهم السلام و اوصياؤهم و الفرق بين لم و لمّا انّ لم لنفى الماضى من غير التفاتٍ الى استمراره الى الزّمان الحاضر و من غير ترقّب وقوع المنفىّ بعد الزّمان الحاضر، و لمّا لنفى الماضى مع الاستمراره الى الزّمان الحاضر و من غير ترقّب وقوع المنفىّ بعد الزّمان الحاضر، و لمّا لنفى الماضى مع الاستمرار الى الزّمان الحاضر و ترقّب وقوع المنفىّ بعده؛ و الجملة حاليّة، [وَ يَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ] على الجهاد او عن الجهاد و قرئ بالنّصب باضمار ان بعد الواو بمعنى مع، و بالرّفع على ان يكون الجملة حالاً بتقدير مبتدءٍ او على ان تكون معطوفة على لمّا يعلم الله، و يكون المعنى و يعلم الصّابرين عن الجهاد و لمّا يعلم المجاهد [وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْـمَوْتَ] بالشّهادة و الجملة حاليّة، روى انّ المؤمنين لمّا اخبر هم الله تعالى بالّذى فعل بشهداءهم يوم بدر فى منازلهم فى الجنّة رغبوا فى ذلك فقالوا: اللّهمّ ارنا قتالاً نستشهد فيه فاراهم الله يوم احدٍ ايّاه فلم يثبتوا الاّ من شاء الله منهم و انهزموا و فرّوا عن القتل و الموت فقال تعالى: و لقدكنتم تمنّون الموت ببدٍ [مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ] بمشاهدةقتلا كم من اخوانكم المؤمنين و ضمير تلقوه و رأيتموه راجع الى الموت باعتبار لقاء اسابه و رؤية اسبابه [وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ] ترون الموت باعينكم فيكون تأ كيداً لرأيتموه لرفع احتمال ان يكون المراد رؤية القلب او تتفكّرون او تتأنّون [وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ] اى مضت [مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ] بالموت او القتل فيخلو لامحالة [أَفَإِيْن مَّاتَ] باجله من دون اسبابٍ خارجيّةٍ و آلات قتّالةٍ فانّ المتبادر من الموت هذا خصوصاً حين استعماله مقابل القتل و قد اشير فى الاخبار و صرّح بأنّه غير القتل [أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ] عن الدّين [عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ] شبّه الرّاجع عن الدّين الّذى هو طريق النّفس بالرّاجع عن الطّريق الظّاهر و انّما قال على

اعقابكم للاشارة الى انّ الانسان ان ارتدّ عن دينه كان وجهه الى مقصده بحسب فطرته مثل من ارتدّ عن طريقٍ على عقبه حيث يكون وجهه الى مقصده الاوّل وذكر فى نزول الاية انّما لمّا فشا يوم احدٍ فى النّاس انّ محمّداً ﷺ قتل قال بعض المسلمين ليت لنا رسولاً الى عبدالله بن ابىّ فيأخذ لنا اماناً من ابى سفيان، وبعضهم جلسوا و القوا بايديهم و قال اناس من اهل النّفاق: ان كان محمّد ﷺ قد قتل فالحقوا بدينكم الاوّل فقال انس بن نضر عمّ انس بن مالك: يا قوم ان كان قد قتل محمّد ﷺ فانّ ربّ محمّدٍ ﷺ لم يقتل و ما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله ﷺ فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله ﷺ و موتوا على مامات عليه، ثمّ انّ رسول الله ﷺ انطلق الى الصّخرة و هو يدعو النّاس فاوّل من عرف رسول الله ﷺ كعب بن مالك قال: فناديت بأعلى صوتى: يا معاشر المسلمين ابشروا فهذا رسول الله ﷺ فاشار الىّ ان اسكت فانجازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم النّبىّ ﷺ على الفرار فقالوا: فديناك بابائنا و امّهاتنا اتانا الخبر بانّك قتلت فرعبت قلوبنا فولّينا مدبرين فأنزل الله تعالى: **و ما محمّد الاّ رسول قد خلت من قبله الرّسل** (الى آخر الاية) وكان سبب هزيمة المسلمين يوم احد انّ رسول الله ﷺ لمّا سمع اجتماع المشركين لحربه وكانوا ثلاثة الاف فارس و الفى راجل و اخرجوا معهم النّساء جمع اصحابه و حثّهم على الجهاد و منع عبدالله بن ابىّ اصحابه عن الخروج و قال سعد بن معاذ و امثاله: نخرج من المدينة و قبل رسول الله ﷺ رأيه و خرج من المدينة و وضع رسول الله عبدالله بن جبير على باب الشّعب واكّد عليهم فى ثباتهم فى مراكزهم و وضع ابوسفيان خالد بن وليد فى مأتى فارس كميناً و قال اذا اختلطنا فاخرجوا عليهم من هذا الشّعب حتّى تكونوا وراءهم و عبّأ رسول الله ﷺ اصحابه و دفع الرّاية الى اميرالمؤمنين عليه السلام فحمل

الانصار على مشركى قريش فانهزموا هزيمة قبيحة و وقع اصحاب رسول الله ﷺ فى سوادهم و انحطّ خالد بن وليد فى مأتى فارس على عبدالله بن جبير فاستقبلوهم بالسّهام فرجع و نظر اصحاب عبدالله بن جبير الى اصحاب رسول الله ﷺ ينهبون سواد القوم فقالو العبد الله: قدغنم أصحابنا و نبقى نحن بلاغنيمة...!؟ فقال لهم عبدالله: اتّقوا الله فانّ رسول الله ﷺ قد تقدّم الينا ان لانبرح فلم يقبلوا منه و اقبلوا ينسلّ رجل فرجل حتّى خلّوا مراكزهم و بقى عبدالله بن جبير فى اثنى عشر رجلاً و انحطّ خالبد بن وليد على عبدالله بن جبير و اصحابه فقتلهم على باب الشّعب ثمّ أتى المسلمين فى ادبارهم و نظرت قريش فى هزيمتها الى الرّاية قد رفعت فلاذوابها و انهزم اصحاب رسول الله ﷺ هزيمة عظيمة و اقبلوا يصعدون فى الجبال و فى كلّ وجه [وَ مَن يَنقَلِبْ] عن دينه [عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا] بل يضرّ نفسه و يهلك حرثه و نسله [وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ] يعنى و من يثبت على دينه و يذهب على استقامه طريقه فهوشاكر و رابح وسيجزى الله الشّاكرين و انّما اقتصر على هذا لافادته ايّاه مع شيءٍ زائدٍ باحضر لفظ و انّما كان الثّابت الذّاهب مستقيماً شاكراً لصرفه نعم الله الّتى هى مداركه و قواه و بدنه و اعضاؤه و علمه و شعوره فيما خلقت لاجله، و لحفظه حقّ المنعم و عظمته فى انعامه حين صرف نعمه فيما خلقت له، و المراد بالشّاكرين ههنا علىّ عليه السلام و نفريسيربقوا عند رسول الله ﷺ حين انهزم المسلمون، روى عن الصّادق عليه السلام انّه لمّا انهزم المسلمون يوم احد عن النّبىّ انصرف اليهم بوجهه و هو يقول: انا محمّد انا رسول الله لم اقتل و لم امت، فالتفت اليه بعض الصّحابة فقال: الان يسخر بنا ايضاً و قد هزمنا و بقى معه علىّ عليه السلام و ابودجانة رحمه الله فدعاه النّبىّ ﷺ فقال: يا ابا دجانة انصرف و انت فى حلٍّ من بيعتك فامّا علىّ عليه السلام فهو

انا و انا هو فتحوّل و جلس بين يدى النّبىّ و بكى و قال: لا و الله و رفع رأسه الى السّماء و قال: لا و الله لاجعلت نفسى فى محلٍّ من بيعتى، انّى بايعتك فالى من انصرف يا رسول الله ﷺ؟! الى زوجةٍ تموت؟ او ولدٍ يموت؟ او دار تخرب؟ و مال يفنى؟ و اجل قد اقترب؟ فرقّ له النّبىّ فلم يزل يقاتل حتّى قتل فجاء به علىّ ؑ الى النّبىّ ﷺ فقال: يا رسول الله ﷺ اوفيت ببيعتى؟ـ قال: الميمنة فيكشفهم علىّ ؑ فاذا كشفهم اقبلت المسيرة الى النّبىّ ﷺ فلم يزل كذلك حتّى تقطّع سيفه بثلاث قطع فجاء الى النّبىّ ﷺ فطرحه بين يديه و قال: هذا سيفى قد تقطّع فيومئذٍ اعطاه النّبىّ ﷺ ذاالفقار و لمّا رأى النّبىّ ﷺ اختلاج ساقيه من كثرة القتال رفع رأسه الى السّماء و هو يبكى و قال: يا ربّ وعدتنى ان تظهر دينك و ان شئت لم يعيك فأقبل علىّ ؑ الى النّبىّ ﷺ فقال: يا رسول الله ﷺ اسمع دويّاً شديداً و اسمع اقدم ياحيزوم و ما اهمّ اضرب احداً الاّ سقط ميّتاً قبل ان اضربه فقال: هذا جبرئيل و ميكائيل و اسرافين و الملائكة ثمّ جاء جبرئيل فوقف الى جنب رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد ﷺ انّ هذا لهى المواساة فقال النّبىّ ﷺ: انّ عليّاً ؑ منّى و انا منه فقال جبرئيل: و انا منكم (الى آخر الحديث) و نزل و سيجزى الله الشّاكرين و هذا مضمون ما روى عن الصّادق أيضاً، و فى حديثٍ عن النّبىّ ﷺ الا و انّ عليّاً ؑ هو الموصوف بالصّبر و الشّكر ثمّ من بعده ولدى من صلبه، و يظهر من الاخبار انّ الاية تعريض بما احدث المنافقون من بعده من رجوعهم من علىّ ؑ و تركهم وصيّته ﷺ فى حقّه فعن علىّ ؑ فى حديثٍ حتّى اذا دعا الله نبيّه و رفعه اليه لم يك ذلك بعده الاّ كلمحة من خفقةٍ او و ميض من برقة الى ان رجعوا على الاعقاب و انتكصوا على الادبار و طلبوا بالاوتار و اظهروا الكتائب و ردموا الباب و فلوا الدّيار و غيّروا آثار رسول الله ﷺ و رغبوا عن احكامه و بعدوا

من انواره و استبدلوا بمستخلفه بديلاً و عن الباقر عليه السلام انّه قال كان النّاس اهل ردّةٍ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله الاّ ثلاثة قيل و من الثّلاثة؟ـ قال: المقداد و ابوذرّ و سلمان الفارسيّ ثمّ عرف اناس بعد يسير فقال: هؤلاء الّذين دارت عليهم الرّحا و ابوا ان يبايعوا حتّى جاءوا باميرالمؤمنين مكرهاً فبايع و ذلك قول الله **ما محمّد الاّ رسول** (الاية) و عن الصّادق عليه السلام فى موت النّبىّ صلى الله عليه وآله و قتله انّه قال: اتدرون مات النّبىّ صلى الله عليه وآله او قتل انّ الله يقول: افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم (الى آخر الحديث) [وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ] كأنّ المراد بالموت ههنا معنىً اعمّ من القتل [إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ] اى باباحته و هذا تقوية لقلوب المؤمنين و تسلية لهم بأنّه ما اصابهم من القتل و ما يصيبهم ما كان و لايكون الاّ بعلمه و ترخيصه لخروج الرّوح و لو لم يخرج ارواح المقتولين بالقتل لخرجت بالموت فمالهم يتوانون من الجهاد و يخافون من القتل و يتحسّرون على القتلى [كِتَـٰبًا] حال من ان تموت فانّه بتأويل الموت او مفعول مطلق لفعلٍ محذوفٍ [مُّؤَجَّلاً] موقّتاً لايتخلّف عن وقته بتأخير ان فرّت و تقديم ان قاتلت [وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا] تعريض بمن شغلته الدّنيا و منعه تعلّقه بها عن القتال و بمن شغلته الغنائم يوم احدٍ عن امتثال الامر كاصحاب عبدالله بن جبيرٍ و عن القتال كبعض الانصار و بمن فرّ عن القتال ذلك اليوم و ترك الرّسول صلى الله عليه وآله [وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْأَخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا] تعريض بمن ثبت على الامتثال كبعض اصحاب عبدالله بن جبير و بمن ثبت على القتال حتّى قتل او نجا [وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ] من قبيل وضع الظّاهر موضع المضمر او المراد بالشّاكرين من بذل جهده فى سبيل الله و ترك الدّنيا و الاخرة وراء ظهره امتثالاً لامر الله و اعلاءً لكلمته و حمايةً لدينه كعلىّ عليه السلام فكأنّه قال: و من يرد وجه الله و طرح

ثواب الدّنيا و الاخرة فهو شاكر و سنجزى الشّاكرين، نسب الى الباقر (ع) انّه قال: اصاب عليّاً (ع) يوم احد ستّون جراحة و انّ النّبىّ (ص) امر امّ سلمٍ و امّ عطيّة ان تداوياه فقالتا: انّا لانعالج منه مكاناً الاّ انفتق منه مكانٌ و قد خفنا عليه و دخل رسول الله (ص) و المسلمون يعودونه و هو قرحة واحدةٌ فجعل يمسحه بيده و يقول: انّ رجلاً لقى هذا فى الله فقد أبلى و أعذر، فكان القرح الّذى يمسحه رسول الله (ص) يلتئم فقال علىّ (ع): الحمدلله اذ لم افرّ و لم اولّ الدّبر فشكر الله له ذلك فى موضعين من القرآن و هو قوله و سيجزى الله الشّاكرين و سنجزى الشّاكرين [وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ] قرئ قتل مبنيّاً للمفعول، و قاتل من باب المفاعلة و هو خبر كايّن او صفة نبيٍّ و مرفوعه امّا ضمير نبىّ و حينئذٍ فقوله [مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ] مبتدء مكتف بمرفوعه و مرفوع مغن عن الخبر، او مبتدء مؤخّر و خبر مقدّم و الجملة حالٌ او صفةٌ بعد صفةٍ او خبرٌ بعد خبر او خبر ابتداء و [كَثِيرٌ] صفة بعد صفةٍ او خبر بعد خبرٍ او خبر ابتداء و على بعض الوجوه الّذى لايبقى معه خبر لكأيّن يكون الخبر محذوفاً او مرفوع قاتل ربّيون و حينئذٍ يكون معه متعلّقاً بقاتل و الجملة صفة او خبر و كثير صفة بعد صفة و يكون حينئذٍ خبر كأيّن محذوفاً او خبر بعد خبر او خبر ابتداء و الرّبّيون منسوب الى الرّبّ و كسر الرّاء من تغييرات النّسب و قد قرئ بفتح الرّاء على الاصل و بضمّ الرّاء مثل الكسر مغيّراً عن هيئته او هو جمع الرّبّى منسوب الربّة بالكسر بمعنى الجماعة الكثيرة، او بمعنى عشرة الاف، و بهذا المعنى قد يضمّ الربّة و فسّر فى الخبر بعشرة آلافٍ، و هذا ايضاً تقوية للمؤمنين و تسلية لهم و تعريض بفشلهم عند الارجاف بقتل النّبىّ (ع) فى احدٍ [فَمَا وَهَنُوا۟] اى مافتروا فى رأيهم عن القتال و عن القيام بأمر دينهم [لِمَآ أَصَابَهُمْ] من قتل النّبىّ (ص) او قتل بعضهم و من الجرح و النّهب [فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ] ظرف لاصابهم او

متنازع فيه لقاتل و وهنوا و اصابهم [وَمَا ضَعُفُواْ] فی ابدانهم او المراد بالوهن الضّعف فی الابدان و بالضّعف الوهن فی الرّأی [وَمَا ٱسْتَكَانُواْ] ما تذلّلوا افتعل من المسكنة بمعنی الذّلّة اشبع فتحة الكاف او استفعل من كان له بمعنی انقادله و هو تعريض بما قالوا عند ما ارجف بقتل النّبیّ ﷺ: اذهبوا بنا الی عبدالله بن أبیٍّ ليأخذ الامان لنا من أبی سفيان يعنی انّهم ما وهنوا كما وهنتم و انهزمتم و ما تذلّلوا عند العدوّ كما أردتم التذلّل و صبروا علی القتال [وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ] تعريض ببغضهم لاجل الفرار و عدم الثّبات و اكتفی عن قوله و صبروا بقوله و الله يحبُّ الصّابرين لافادة سابقه ايّاه و استفادته منه مع شیءٍ زائدٍ هو اثبات محبّته لهم و التّعريض ببغضه للفارّين عن القتال [وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ] مع ثباتهم فی دينهم و كمال جهدهم لرضا ربّهم [إِلَّآ أَن قَالُواْ] قالاً او حالاً [رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ] يعنی انّهم مع تصلّبهم فی دينهم و بذل و سعهم فی سبيل ربّهم خافوا من ذنوبهم و استغفروا ربّهم و التجأوا اليه و استضروه علی أعدائهم و أعداء ربّهم بخلافكم حيث اغتررتم و نسيتم ذنوبكم و اردتم الالتجاء الی اعدائكم كابی سفيان و عبدالله بن أبیٍّ [فَـَٔاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ] بسبب ثباتهم علی القتال و التجائهم الی الله و استغفارهم منه و استنصارهم له [ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا] من الظّفر و الغنيمة و الهيبة و الرّعب فی قلوب الاعداء و حسن الصّيت و الرّاحة من القتال بسبب علوّ كلمتهم و تسليم عدوّهم لهم و فوق الكلّ الالتذاذ بقرب الله و مناجاته [وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأَخِرَةِ] من المراتب العالية من الجنّات العالية مثل جنة عدنٍ و جنّة الرّضوان و نعيمها ممّا وصف و ممّا لم يوصف و لم يخطر علی قلب بشرٍ و انّما أتی بالحسن فی ثواب الاخرة للاشعار

بانّ ثواب الاخرة ذو مراتب كثيرةٍ بعضها حسن و بعضها أحسن و آتاهم الله احسنها لانّ الحسن المضاف الى امر ذى مراتب كلّها حسن يراد به حسن الاحسن منها كأنّ الاحسن حسن بالنّسبة و غير الاحسن غير حسنٍ بالنّسبة الى الاحسن، او المراد ثواب الاخرة مطلقاً و الثّواب مطلقاً حسن لكنّه اضاف الحسن الى ثواب الاخرة دون ثواب الدّنيا للاعتناء بثواب الاخرة دون ثواب الدّنيا كأنّه ليس له حسن [وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ] اى يحبّهم و وضع الظّاهر موضع المضمر ايماء الى انّهم محسنون و اشعاراً بعلّة المحبّة [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ] بالبيعة العامّة و قبول الدّعوة الظّاهره ناداهم بعد ما عرّض بهم تلطّفاً بهم جذباً لقلوبهم حتّى يتّعظوا بوعظه و يقبلوا نصحه [إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ] قد مضى وجه التّعبير بالرّدّ على الاعقاب و انّه تمثيل للرّد عن الدّين مع بقاء الفطرة بالرّدّ عن الطّريق مع توجّه الوجه الى المقصد الاوّل [فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ] نسب الى مولاى و مولى كلّ مؤمن و مؤمنة اميرالمؤمنين عليه السلام انّه قال: نزلت فى المنافقين اذ قالوا للمؤمنين يوم احد عندالهزيمة ارجعوا الى اخوانكم و ارجعوا الى دينكم [بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَـٰكُمْ] يعنى ليس هؤلاء المنافقون الّذين يردّونكم عن دينكم مولاكم بل الله مولاكم [وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ] فلاتستنصروا بمثل عبدالله بن ابىّ ولا بمثل ابى سفيان [سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ] بعد ما تلطّف بهم و قوّاهم بكونه مولاهم و ناصرهم و عدهم الرّعب فى قلوب اعدائهم استتماماً للنّصرة و استكمالاً للتّقوية و قد انجز وعده بعد هزيمة المسلمين فى احدٍ بنصرتهم على اعدائهم و القاء الخوف فى قلوبهم بحيث انهزموا و ماوفقوا الى مكّة من خوف تعاقب المسلمين [بِمَآ أَشْرَكُواْ بِاللَّهِ] باشراكهم فى الطّاعة و فى الوجود [مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا] الباء فى به

ظرفيّة او سببيّة او للالصاق و المعنى بما اشركوا بالله شريكاً لم ينزّل بسببه من حيث شركته برهاناً و حجّة دالّة على جواز الاشراك به فى الطّاعة و على جواز التوجّه و النّظر اليه.

تحقيق الاشراك بالله باذنه و برهانه

اعلم انّ الانسان سوى المعصومين من اوّل الصّبا كافر محض حالاً و اعتقاداً الى اوان المواهقة و البلوغ فان ساعده التّوفيق و انجذب الى الانقياد لنبيّ وقته و الاعتقادبالتّوحيد صار مسلماً موحّداً اعتقاداً و كان كافراً حالاً لانّه حينئذٍ فى دار الكثرة و مقام النّفس الّتى لاترى الاّ الكثرات و لاتتذكّر فى الفاعلين فاعلاً وحدانيّاً بل لاتعقد فاعلاً وحدانيّاً فان ساعده التّوفيق و انجذب من دار الكثرة الى دار الوحدة الّتى هى دار القلب و دار الايمان فان بايع البيعة الخاصّة الولويّة و دخل الايمان فى قلبه و هاجر من دار الحرب الّتى هى دار النّفس و دار الكفر الى مدينة القلب الّتى هى دار الامن و الامان و الايمان فهو قد يجد وجداناً و حالاً فاعلاً الهيّاً فى الفاعلين فيخرج من الكفر الحالىّ الى الشّرك الحالىّ ثمّ الشّهودىّ ثمّ العيانىّ حتّى يخرج من دار الشّرك الى دار التّوحيد بحيث لايرى فى الوجود الاّ الله و حصّل معنى لاحول و لاقوّة الاّ بالله، ثمّ معنى لااله الّا الله، و هنا لك يخرج من الشّرك و يصير موحّداً فالانسان مادام فى دار الكفر و الشّرك لايخرج من الاشراك بالله فى الوجود و لافى الطّاعة لانّه ان لم يطع انساناً يطع هواه و شيطاناً فان كان ما اشرك به لله انزل الله تعالى حجّة و برهاناً فى صحّة اشراكه كان المشرك موحّداً من طريق الاشراك و كان اشراكه مأذوناً فيه و مأجوراً فيه، و ان لم ينزّل فى اشراكه برهاناً و سلطاناً كان اشراكه كفراً و منهيّاً عنه و مورثاً لعقوبة الاخرة فقوله تعالى: **بما أشركوا بالله مالم ينزّل به سلطاناً** يفيد بمفهوم مخالفته انّه

ان اشرك بالله من نزّل الله به سلطاناً لم يكن مذموماً و قد فسّر الاشراك في الاخبار بالاشراك بالولاية و بالاشراك بعليّ عليه السلام و ذلك لظهور الالهة بالولاية و ظهور الله بعليّ عليه السلام [وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ] النّار و في وضع الظّاهر موضع المضمر اظهار لذمٍّ آخر و اشعارٌ بعلّة الحكم [وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ] ايّاكم بقوله بلى ان تصبروا و تتّقوا و يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربّكم او بقوله و انتم الاعلون او بقوله بل الله موليكم و هو خير النّاصرين تعريضاً او بقوله سنلقي في قلوب الّذين كفروا الرّعب او بقوله نبيّه صلّى الله عليه و آله لاصحاب عبدالله بن جبير لاتبرحوا من هذا المكان فانّا لانزال غالبين ما ثبتّم مكانكم و لقد تحقّق صدق وعده حين كنتم غالبين ما كنتم غير مخالفين لامر الرّسول بثبات اصحاب عبدالله بن جبير في مراكزهم [إِذْ تَحُسُّونَهُم] تقتلونهم من الحسّ بمعنى القتال او الحيلة او الاستيصال [بِإِذْنِهِ] بترخيصه و اباحته تكويناً و تكليفاً على لسان نبيّه صلّى الله عليه و آله [حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ] ضعفتم عن القتال و الثّبات في مراكزكم [وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ] بان قال بعضكم: غنم اصحابنا، و قال بعضكم: لانبرح من أمكنتنا فانّ الرّسول صلّى الله عليه و آله قدمّ الينا ان لانبرح [وَعَصَيْتُم] امر الرّسول صلّى الله عليه و آله بان لاتبرحوا عن امكنتكم سواء انهزم المسلمون او هزموا [مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم] الله [مَّا تُحِبُّونَ] من الظّفر و الغنيمة و جواب اذا محذوف و هو امتحنكم او منعكم انجاز وعده لمنعكم شرط وعده و هو الصّبر و التّقوى و الثّبات في المراكز [مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل لما يقع النّزاع منّا؟ـ فقال: لانّ منكم من يريد الدّنيا و هم الّذين تركوا مراكزهم من اصحاب عبدالله بن جبير للحرص على الغنيمة و ارادة عرض الدّنيا [وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ] و هم الّذين ثبتوا حتّى قتلوا [ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ] اى عن

مقاتلتهم بالجبن و الفرار حتّى غلبوكم [لِيَبْتَلِيَكُمْ] يمتحنكم بالبلايا فيخلصكم من الهوى و ارادة الدّنيا [وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ] بعد ما ندمتم على مخالفتكم تفضّلاً منه عليكم فادالكم عليهم ثانياً بحيث غلبتموهم وارعبتموهم حتّى لم يمكثوا الى مكّة و كانوا مسرعين خائفين [وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ] فلا ينظر الى اعمالهم و استحقاقهم بل يريد استكمالهم فى الاحوال كلّها سواء ابتلاهم او انعم عليهم [إِذْ تُصْعِدُونَ] على الجبل فى فراركم او فى وجه الارض فانّ الاصعاد الذّهاب فى الصعيد و هو وجه الارض و الصعود بمعنى الارتقاء و الظّرف متعلّق بصرفكم او بيبتليكم او مفعول لذكرهم مقدّراً منقطعاً عمّا قبله [وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ] لاتنظرون على اعقابكم فى فراركم لشدّة خوفكم [وَٱلرَّسُولُ] و الحال انّ الرّسول [يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ] فى جماعتكم المتأخّرة اى فى أعقابكم كان يقول: الىّ عباد الله الىّ عباد الله انا رسول الله [فَأَثَٰبَكُمْ] اى جازاكم الرّسول او الله [غَمَّام] هو القتل موصولاً [بِغَمٍّ] هوالمغلوبيّة و الفرار او غمّاً هو الفرار و القتل موصولاً بغمّ هو الارجاف بقتل الرّسول صلى الله عليه وآله او غموماً متتالية هى القتل والهزيمة و الارجاف و الجرح فانّ هذه الكلمة قد تستعمل فى الكثرة المتتالية، او اثابكم غمّاً هو الهزيمة و الارجاف و القتل بدل غمٍّ او بسبب غمٍّ اصاب الرّسول صلى الله عليه وآله حين خلافكم قوله صلى الله عليه وآله و عدم ثباتكم فى مراكزكم [لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ] بعد ذلك يعنى انّ اثابة الغمّ على ترك امر الرّسول صلى الله عليه وآله و اذاقة مرارة الهزيمة و القتل ليكون ذلك فى ذكركم فلا تخالفوا بعد ذلك امر الرّسول صلى الله عليه وآله لعرض الدّنيا و لاتحزنوا على ما تصوّرتم فواته من الغنيمة [وَلَا] على [مَآ أَصَٰبَكُمْ] من الشّدائد فى سبيل الله فانّ البليّة اذاكانت فى طاعة الله و طاعة رسوله لم تؤثّر اثراً بل تلذّ لبعض، او المعنى اثابكم غمّاً بغمٍ

ليستكملكم بذلك فلا تحزنوا بعد الاستكمال على مافاتكم، او المعنى ليشغلكم حزنكم على مخالفة امر النّبىّ ﷺ عن الحزن على مافاتكم [وَٱللَّهُ خَبِيرُم بِمَا تَعْمَلُونَ]فيجازيكم على اعمالكم على حسب مصالحكم، و فيه ترغيب فى الطّاعة و ترهيب عن المعصية [ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن م بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا]لتعلموا ان ليس الابتلاء و الامنة الخارجان عن طريق المعتاد الاّ عن الله و تكلوا اموركم الى الله، و امنة مفعول انزل و نعاساً بدل منه بدل الاشتمال، او امنة حال من نعاساً او من المخاطبين بان تكون جمع آمن او بتقدير آمنين، و نعاساً مفعول. نقل عن بعض الغازين فى احد انّه قال غشينا النّعاس فى المصافّ حتّى كان السّيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثمّ يسقط فيأخذه [يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ] و هم المؤمنون الخالصون [وَ طَآئِفَةٌ] اخرى و لتقدير الصّفة جاز الابتداء به و هذه الطّائفة هم المنافقون [قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ] او قعتهم انفسهم فى الهموم او جعلتهم ذوى اهتمام بأنفسهم من غير التفاتٍ الى الدّين او الرّسول ﷺ و المسلمين و الجملة خبر عن طائفة او صفة لها [يَظُنُّونَ بِاللَّهِ] خبر بعد خبر او صفة بعد صفة او خبر ابتداء او حالٌ او مستأنف جواب لسؤال مقدّر [غَيْرَ ٱلْحَقِّ] غير الظّنّ الحقّ على ان يكون مفعولاً مطلقاً او غير المظنون الحقّ على ان يكون قائماً مقام المفعولين [ظَنَّ]الملّة [ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ] بدل من غير الحقّ او مفعول مطلق [يَقُولُونَ] عند انفسهم او لاقرانهم و الجملة بدل عن يظنّون او هى مثل الجملة السّاقبة فى الوجوه المحتملة [هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ] اى من امر الدّين او من امر الوعد بالنّصر و الظّفر او من امر أنفسنا و تدبير خلاصنا من هذه البليّة، او هل لنا نجاة فنكون مسلّطين على امر انفسنا [مِن شَىْءٍ] يعنى يظهرون اضطرابهم و عدم اعتقادهم بنبوّة محمّد ﷺ على انفسكم بكلامهم

النّفسانيّ او على غيرهم بكلامهم اللّسانيّ [قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ] اى امر الغلبة و النّصر او امر التدّبير او عالم الامر و القضاء و الجملة معترضة ان كان قوله تعالى [يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم] حالاً او صفة او خبراً و امّا اذا كان مستأنفاً جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ فيكون قوله قل انّ الامر كلّه لله منقطعاً مستأنفاً و المعنى يخفى هؤلاء الطّائفة المنافقة فى انفسهم من الانكار و التّكذيب و ارادة اللّحوق بالكفّار [مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ] الجملة كالجمل السّابقة فى وجوه الاعراب [لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ] باحد المعانى المذكورة، او لو كنّا بالمدينة باختيارنا و لم نبرح من المدينة كما كان رأى ابن ابيٍّ و غيره [مَّا قُتِلْنَا] ماغلبنا و ما قتل المقتولون منّا [هَـٰهُنَا قُل] ردّاً لهذا الزّعم الفاسد و الخيال الكاسد [لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ] متحصّنين [لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ] فى اللّوح المحفوظ او فرض [عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ] و مصارعهم لم ينفعهم التّحصّن، او المعنى قل لهم ايّها المضطربون الشّاكّون: لو كنتم فى بيوتكم لبرز المؤمنون الّذين فرض الله عليهم القتال الى مضاجعهم [وَ] فعل ذلك الخروج و القتال و المقتوليّة و المغلوبيّة بكم [لِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ] و يمتحنه حتّى يظهر كونه فاسداً غير موافقٍ لما فى اللّسان [وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ] لمّا كان الصّدر يطلق على النّفس باعتبار جهتها الابتلاء الّذى هو استعلام حال الرّديّ و اظهار ردائته الى الصّدور و التّمحيص الّذى هو تخليص الجيّد من الرّديّ و الصّحيح من الفاسد الى القلب لانّ صدر المنافق لايكون فيه الاّ النّفاق و الفاسد من العقائد و مالم ينقطع الفطرة الانسانيّة منه و لم يرتدّ فطريّاً لا يخلو قلبه من امرٍ حقٍّ و لو كان اجماليّاً [وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ] فلا يكون الامتحان منه لاستعلام الممتحن كامتحان الجاهلين بل لاستكمال

الممتحن او ظهور حاله على معاشريه ممّن لم يعلم حاله او استنزاله [إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ عن حال المتولّين عن القتال و لمّا ذمّهم الله تعالى بالبلغ ذمّ و صار الاعتذار عنهم باستزلال الشّيطان و العفو عنهم محلاًّ للشّكّ اتى فى الجواب بتأكيداتٍ فقال: انّ الّذين تولّوا منكم [يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ] جمع المؤمنين و جمع المشركين فى احد [إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ] طلب زلّتهم او ازلّهم [ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ] من ذنوبهم السّالفة و قيل: من خلافهم لقول الرّسول و تركهم مراكزهم و قيل: بذكر بعض ماكسبوا فكرهوا القتال لئلا يقتلوا قبل التّوبة و هما ينافيان ما وقع من فرار الكلّ و انّ الفارّين اكثرهم كانوا منافقين غافلين من المعصية بل غير عادّين المعصية معصية و قد ذكر انّه لم يبق يوم احدٍ مع النّبىّ ﷺ الاّ ثلاثة عشر نفراً خمسة من المهاجرين و ثمانية من الانصار و كان المهاجرون عليّاً و ابابكر و طلحة و عبدالرّحمن بن عوف و سعد بن ابى و قّاص و قد اختلف فى الجميع الاّ فى علىٍّ و طلحة، و روى عن عمر بن الخطّاب انّه قال و رأيتنى اصعد فى الجبل اردى و لم يرجع عثمان من الهزيمة الاّ بعد ثلاثٍ [وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ] لمّا تابوا و اعتذروا اكرّر ذكر العفو تطميعاً و ترغيباً للمذنبين فى العفو و منعاً لهم عن اليأس و تحسيناً لظنون المؤمنين [إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ] يغفر لمن يعترف و يندم [حَلِيمٌ] لايعاجل بالمؤاخذة انتظاراً للتّوبة و اتماماً للحجّة [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ] كفر نفاقٍ او مطلقاً [وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ] اى لاجل اخوانهم و فى حقّهم و معنى اخوّتهم مناسبتهم لهم فى النّفاق و ضعف الاعتقاد او الكفر [إِذَا ضَرَبُواْ] اى الاخوان [فِى ٱلْأَرْضِ] سافروا للتّجارة و غيرها و لم يقل اذا ضربوا بلفظ اذ الّتى هى للماضى لتصوير الماضى حالاً حاضراً [أَوْ كَانُواْ غُزًّى] غازين [لَّوْ كَانُواْ

عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ] متعلّق بقالوا [وَٱللَّهُ يُحْىِ ى] اى يحدث الحيوة فى النّطفة الّتى لاحيوة لها و يبقبها فى الحيوة لاالاقامة فى البيوت [وَ يُمِيتُ] لاالسّفر و الغزا [وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] ترغيب و ترهيب [وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ] فى سبيل [لَمَغْفِرَةٌ] عظيمة [مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ] عظيمة حاصل لكم [خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ] اى هؤلاء المنافقون او الكفّار او سائر النّاس من حطام الدّنيا و اعراضها فى الحيوة الدّنيا و الجملة جواب القسم و جواب الشّرط محذوف و هذا تسلية للمؤمنين و تقوية لقلوبهم و تسهيل للموت و القتل عليهم و ترغيب لهم فى الجهاد [وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ] الّذى هو مولاكم و ولىّ امركم و حبيب قلوبكم و منتهى طلبتكم [تُحْشَرُونَ] فمالكم تكرهون الموت او القتل، و قدّم القتل فى الاية الاولى للاهتمام به فى ترتّب الجزاء بخلاف الاية الثّانية فانّ ترتّب الجزاء فيها لاخصوصيّة للقتل فيه و الموت هو الفرد الشّائع من الشّرط فالاهتمام بتقديمه اكثر [فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ] الفاء للتّرتيب فى الاخبار و الباء سببيّة و ما زائدة للتّأكيد و تنكير الرّحمة للتّفخيم [لِنتَ لَهُمْ] يعنى برحمة عظيمة نازلة من الله عليكم لنت لهم فكن شاكراً لنعمه [وَلَوْ كُنتَ فَظًّا] سىّء الخلق خشن الكلام [غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ] لارقّة و لارأفة فيه [لَانفَضُّواْ] لتفرّقوا [مِنْ حَوْلِكَ] و لم يسكنوا اليك [فَاعْفُ عَنْهُمْ] يعنى اذا علمت انّ لين الجانب و لين الكلام لتفرّقهم فاجتهد فى المداراة معهم و اعف عن اساءتهم بالنّسبة اليك [وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ] ما بينى و بينهم حتّى يرغبوا فيك اشدّ رغبة و يسكنوا اشدّ سكون [وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ] اى فى الحرب مخصوصاً او فى كلّ ما يصحّ المشاورة فيه تطييباً لنفوسهم و تحبيباً لهم اليك و استظهاراً برأيهم و تسنيناً

لسنّة المشاورة فى امّتك لانّ فى المشاورة رفعاً للملامة و النّدامة فى العمل و جلباً للبركة فيه لانّ فى اتّفاق النّفوس اثراً ليس فى انفرادها بالامر بل نقول: ان لم يكن فى الامر الّذى يشاور فيه و يتّفق نفوس عليه خير يجعل الله فيه خبراً لامحالة فلا ينبغى ترك المشاورة فى الامور [فَإِذَا عَزَمْتَ] بعد المشاورة و الاتّفاق على امرٍ [فَ] لاتعتمد على الشّورى و اتّفاق الاراء فانّ الصّلاح و الفساد فى الامور بيدالله و [تَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ] فاعتمد على الله بأخذه وكيلاً فى امورك و اصلاحها [إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ] و لاشرف فوق محبّة الله؛ ترغيب فى التّوكّل.

اعلم انّ التوكّل و التّسليم و التّفويض متقاربة المفهوم و يستعمل كلّ فى معنى الاخرين و الفرق بينها فى غاية الدّقّة لانّ التوكّل اخذ الله وكيلاً فى امورك، و التّسليم عرض امورك عليه، و التّفويض الخروج من نسبة الامور بل من نسبة الانانيّة الى نفسك. ففى التّسليم تبجيل ليس فى التّوكيل، و فى التّفويض تبجيل لايدع للمفوّض التفاتاً الى التّبجيل ايضاً [إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ [فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ] اى بعد خذلانه [وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ] تخلّل الفاء بين العامل و المعمول مع صدارتهما امّا بتقدير امّا او بتوهّمه، او لفظة الفاء فى امثاله زائدة، او العامل محذوف بقرينة المذكور [وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ] تخلّل كان لتأكيد النّفى و المعنى ما وجد لاحدٍ من الانبياء الغلول لمنافاة النبوّة و الخيانة و قرئ يغلّ بصيغة المعلوم من الثّلاثىّ و بصيغة المجهول امّا من باب الافعال بمعنى ما ينبغى لاحدٍ من الانبياء ان ينسب الى الخيانة من أغلّه نسبه الى الخيانة، او بمعنى ان يخان معه من أغلّه بمعنى غلّه، او من الثّلاثىّ، و الجملة امّا مقطوعة عن سابقتها على ما

ورد انّها نزلت فى قطيفة حمراء فقدت يوم بدرٍ من المغنم فقال بعضهم: لعلّ النّبىّ ﷺ اخذها، و نسب الى الصّادق عليه السلام انّ رضا النّاس لا بملك و السنتهم لاتضبط الى ينسبوا يوم بدرٍ الى رسول الله ﷺ انّه اخذ لنفسه من المغنم قطيفةً حمراء حتّى اظهره الله على القطيفة و برّء نبيّه من الخيانة، و انزل فى كتابه و ما كان لنبىّ ان يغلّ (الاية) او على ما نقل انّ رجلاً غلّ بابرة عظيمة من غنائم هوازن يوم حنين فنزلت الاية، و امّا موصولة على ما قيل: انّ الاية نزلت فى غنائم احدٍ حيث ظنّ اصحاب عبدالله بن جبير انّ رسول الله ﷺ يقسم الغنيمة فى الغانمين و لم يقسم لهم و ظنّوا انّه يقول: من اخذ شيئاً فهو له، او على ما قيل: انّه قسم المغنم و لم يقسم للطّلائع فنزلت تنبيهاً للرّسول ﷺ على التّسوية فى المغنم، و سمّى ترك القسمة للطّلائع غلولاً و عليهما فالاية معطوفة على ما قبلها [وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ]الباء للتّعدية او للمصاحبة و المعنى انّه يأتى به بحيث يعرف النّاس انّه غلّه ليفضح على رؤس الاشهاد، نسب الى الباقر عليه السلام انّه قال: من غلّ شيئاً رآه يوم القيامة فى النّار ثمّ يكلّف ان يدخل اليه فيخرجه من النّار، و نقل عن النّبىّ ﷺ انّه قال: الا لا يغلّنّ احد بعيراً فيأتى به على ظهره يوم القيامة، الا لا يغلّنّ احد فرساً فيأتى به على ظهره يوم القيامة فيقول: يا محمّد ﷺ يا محمّد ﷺ فاقول: قد بلّغت قد بلّغت لااملك لك من الله شيئاً، و لااختصاص للغلول بالخيانة فى الاموال بل كلّ معسية من كلّ عاص نحو غلول مع نفسه او مع الله [ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ] يعنى بعد ما اتى من غلّ بماغلّه و جمعوا فى القيامة توفّى كلّ نفس مطيعة و عاصية [مَّا كَسَبَتْ]بعينه على تجسّم الاعمال كما سبق تحقيقة فى سورة البقرة عند قوله: **اولئك لهم نصيبٌ ممّا كسبوا او جزاء ما كسبت** [وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ] بنقص ثواب او زيادة عقاب ثمّ بعد ما عمّم حكم

الغلول لكلّ من غلّ و بيّن حكم كلّ نفس من المطيعة و العاصية عطف عليه انكار التّسوية بين المطيعة و العاصية ليكون ابلغ فى الزّجر عن المعصية و التّرغيب فى الطّاعة فقال تعالى [أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ] الرّضوان بكسر الرّاء و ضمّها و الرضى مقصوراً بالكسر و الضمّ مصدرا رضى عنه و عليه و الرّضاء بكسر الرّاء ممدوداً مصدر راضاه، و اتّباع رضوان الله لايكون الاّ باتّباع امر الله و نهيه بالفعل و التّرك، و لايكون الاّ باتّباع الرّسول ﷺ فى امره و نهيه [كَمَنۢ بَآءَ] رجع الى الله [بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ] بترك ما أمر به و فعل ما نهى عنه [وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ] جهنّم.

الفرق بين المصير و المرجع انّ المصير ما ينتهى اليه مع تغيّر عمّا هو عليه و المرجع مطلق عن ذلك و لمّا كان المتحقّق برضوان الله عليّاً عليه السلام و المتحقّق بسخط الله كلّ من خالفه صحّ تفسير التّابع لرضوان الله بالتّابع لعليّ عليه السلام و البائى بسخط الله بمن اتّبع مخالفه.

تحقيق كون المؤمنين درجاتٍ و ذوى درجات

[هُمْ دَرَجَٰتٌ] اى التّابعون رضوان الله و البائون بسخط الله درجات [عِندَ ٱللَّهِ] و ان كانوا يرون متساوين عند النّاس، و لمّا كان عالم الارواح الطّيّبة عالماً وسيعاً ذا مراتب و درجات و كذلك عالم الارواح الخبيثة الّذى فيه الجحيم و آلامها، و كلّ من اتّصل بواحد من هذين العالمين تحقّق بمرتبة منه و ليس المتّصلون بعالم الارواح الطيّبة متساوين فى المرتبة و الدّرجة و لاالمتّصلون بعالم الارواح خبيثة بل لكلّ واحد مرتبة و درجة ليس لغيره ممّن لم يكن بشأنه، نعم، اذ كان جماعة متوافقين فى الطّاعة و السّلوك او فى المخالفة و المعصية من جميع الجهات كانوا متوافقين فى المرتبة و الدّرجة و كلّ من اتّصل بدرجة من درجات الجنان او بدركة من دركات النّيران كان

متّصلاً بالدّرجات السّابقة او الدّركات السّابقة، و كلّ من اتّصل بدرجة صار متحقّقاً بتلك الدّرجة فصحّ ان يقال: انّ المؤمنين بحسب عدد اشخاصهم درجاتٌ يعنى كلّ منهم درجة من الجنان، و ان يقال: كلّ واحد منهم بحسب سعة وجوده درجاتٌ من الجنان، و انّ المعذّبين بحسب عدد اشخاصهم دركاتٌ، و كلّ واحد منهم بحسب وجوده دركاتٌ من النّيران فلا حاجة فى الاية الى بعض التّقديرات و التأويلات، روى عن الصّادق عليه السلام انّ الّذين اتّبعوا رضوان الله هم الائمة عليهم السلام و هم و الله درجات عندالله للمؤمنين و بولايتهم و معرفتهم لنا يضاعف الله لهم اعمالهم و يرفع الله لهم الدّرجات العلى، و الّذين باؤا بسخط من الله هم الّذين جحدوا حقّ علىّ عليه السلام و حقّ الائمّة منّا اهل البيت فباؤا الذلك بسخطٍ من الله [وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ] فيعلم عمل كلّ و درجته على حسب عمله فيجازيه على حسبها و هذا تهديد و ترغيب [لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ] انعم الله [عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ] بشراً مثلهم و من سنخهم [يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ] او يقرأ عليهم آيات كتابه بعد ماكانوا جهّالاً لا يعرفون كتاباً و لاشريعةً [وَيُزَكِّيهِمْ] يطهّرهم ممّا ينبغى للانسان ان يطهّر عنه [وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ] قد مضى بيان التّزكية و تعليم الكتاب و الحكمة و وجه تأخير التّعليم عن التّزكية ههنا و فى قوله كما ارسلنا فيكم رسولاً الاية و وجه تقديمه على التّزكية فى قوله و ابعث فيهم رسولاً منهم الاية من سورة البقرة [وَإِن كَانُوا۟] اى انّهم كانوا [مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ] ظاهر واضح اظهارٌ لمنّه عليهم بنعمة وجود الرّسول صلى الله عليه وآله ليتنبّهوا لها و يهتمّوا باتّباع الرّسول صلى الله عليه وآله شكراً لنعمة وجوده [أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم] قد اختلف الاقوال عند اجتماع همزة الاستفهام و اداة العطف و تقديم الهمزة على العاطف فقيل: انّه

على التّقديم و التّأخير و انّما قدّمت الهمزة لقوّة صدارته، و قيل: انّ الهمزة فى التّقدير داخلة على محذوفٍ حذف و اتّصل الهمزة بالعاطف و التّقدير ههنا انكرتم البليّة الّتى وردت عليكم بتقصيركم فى أعمالكم و لمّا اصابتكم [مُّصِيبَةٌ] يوم احد بقتل سبعين رجلاً منكم [قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا] فى بدر بقتل سبعين و اسر سبعين [قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا] من اين او كيف هذا [قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ] باختياركم الفدى عن الاسارى يوم بدر و قد اخبركم الرّسول ﷺ انّ الحكم فيهم القتل و ما كان لنبىٍّ ان يكون له اسرى حتّى يثخن فى الارض فأصررتم فى الفداء دون القتل حتّى اباح الله لكم الفداء بشرط ان يقتل منكم فى العام القابل بعدد من تأخذون منه الفداء فقبلتم ذلك و اخذتم الفداء عن الاسارى السّبعين [إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ] لمّا توهّم من نسبة المصيبة الى انفسهم انّها خارجة من قدرة الله و صار المقام مقام ان يسأل هل كان المصيبة بقدرة الله ام كانت خارجة من قدرته فقال: انّ الله على كلّ شىءٍ قديرٌ فيقدر على اصابتكم واصابة عدوّكم و قد يخذلكم لمصالح راجعة الى استكمال نفوسكم [وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ] يعنى يوم احد من الهزيمة و القتل و الجرح [فَ] كان [بِإِذْنِ ٱللَّهِ] باباحته التّكوينيّة و ترخيصه ليمتحنكم [وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ] ليتميّز الفريقان بظهور ايمان هؤلاء و نفاق اولئك فيظهر علمه بهما او ليعلم النّبىّ الّذى هو مظهره فانّ علمه علم الله و لم يقل ليعلم المنافقين للاشعار بانّ نفاق المنافقين حدث عند قتال احد و لم يكن ثابتاً و ليناسب المعطوف فى قوله تعالى [وَقِيلَ لَهُمْ] عطف على نافقوا و داخل فى الصّلة [تَعَالَوْاْ قَـٰتِلُواْ] بدل عن تعالوا نحو بدل الاشتمال [فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ] من دون نظر الى انفسكم و حفظكم انفسكم و عيالكم [أَوِ ٱدْفَعُواْ] عن انفسكم و عيالكم

و اموالكم من دون نظر الى امر الله و سبيله [قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَّاَّتَّبَعْنَـٰكُمْ] يعنى لو كنّا نعلم انّ ما انتم فيه قتالٌ لاتبّعنا كم و ليس بقتال فانّ القتال ما كان فيه احتمال الغلبة و لو فى بعض الاحيان و ليس الامر كذلك لانّه ليس فيه الاّ المغلوبيّة و الهلكة، او لفظة لو ليست للنّفى فى الماضى انّما هو للشّرط فى المستقبل يعنى اذا علمنا بالمقابلة لاتبّعنا كم فيها و انّما قالوه استهزاءً بهم او دفعاً لهم فى الحال الحاضر او قصداً لعدم الانكار صريحاً [هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ او حال و المعنى انّهم كانوا على الاسلام لكنّهم بظهور نفاقهم كأنّهم وقعوا بين الكفر و الايمان و صاروا اقرب الى الكفر [يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم] يعنى لا بالكتابة و لا بالاشارة و لا بالسّيرة و الاحوال، او يقولون بافواههم لا بقلوبهم، او يقولون بأفواه انفسهم لا بأفواه غيرهم [مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ] من قولهم لو نعلم قتالاً لاتبّعنا كم اى وقت اطّلاعنا على القتال و اقفنا كم و ليس هذا مطابقاً لاعتقادهم، او من اظهار نبوّة النّبىّ ﷺ و ليس فى قلوبهم ذلك الاعتقاد [وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ] من الاعتماد على الاسباب و عدم الاعتقاد بالله و بنبوّة النّبىّ ﷺ، نسب الى الصّادق عليه السلام انّه قال فى مقام تثريب بعض من ضعفاء الاعتقاد و من ضعف يقينه تعلّق بالاسباب و رخّص لنفسه بذلك و اتّبع العادات و اقاويل النّاس بغير حقيقةٍ و السّعى فى امور الدّنيا و جمعها و امساكها، يقرّ باللّسان انّه لامانع و لا معطى الاّ الله و انّ العبد لا يصيب الاّ ما رزق و قسم له، و الجهد لا يزيد فى الرّزق و ينكر ذلك بفعله و قلبه قال الله تعالى: يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم و الله أعلم بما يكتمون [ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ] اى فى حقّهم و الجملة مستأنفة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ محذوفة المبتدأ، او محذوفة الخبر اى هم الّذين قالوا، او الّذين قالوا هؤلاء

المنافقون، او مفعول لفعلٍ محذوفٍ على الذّمّ، او بدل من فاعل يكتمون، او ضمير قلوبهم، او خبر بعد خبر للضّمير فى قوله، هم للكفر، او صفة للّذين نافقوا [وَقَعَدُواْ] عطف على قالوا او حال بتقدير قد [لَوْ أَطَاعُونَا] فى العقود و عدم الخروج من المدينة [مَا قُتِلُواْ] و قد كان ديدن النّساء و الرّجال الّذين هم كالنّساء فى ضعف الاعتقاد و التوسّل بالاسباب ان يكرّروا بعد وقوع قضيّة اسباب عدم وقوعها و يؤدوّنه بلو كان كذا لما كان كذا و يكون ذلك اشدّ فى تحسّرهم [قُلْ] لهم [فَادْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ] انّ تدبيركم ابقاكم و انّ اخوانكم لمّا خرجوا من تدبيركم و قولكم [وَلَا تَحْسَبَنَّ] عطف على قل او على فادرأوا، او الخطاب لمحمّد ﷺ، او لكلّ من يتأتّى منه الخطاب، و قرئ بالياء على اسناده الى الرّسول ﷺ او الى من يتأتّى منه الحسبان، او الى الظّاهر بعده اى لا يحسبنّ [ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ] انفسهم [أَمْوَٰتًا] بحذف المفعول الاوّل و هذا ردّ على المنافقين حيث قالوا: لو كانوا عندنا ماماتوا و لو اطاعونا ما قتلوا [بَلْ] هم [أَحْيَآءٌ] حيوة اتمّ و اكمل و اشرف و اعلى من هذه الحيوة الدّانية [عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ] بالرّزق المناسب لمقامهم عند الرّبّ [فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ] فضل الله يطلق على نعمه الّتى يفيضها على عباده من جهة كثراتهم مثل احكام الرّسالة و النّعم الّتى يجازى الله العباد بها بسبب قبول احكام الرّسالة و العمل بها كما انّ الرّحمة تطلق على النّعم الّتى يفيضها على العباد من جهة وحدتهم مثل الولاية و آثارها و المجازاة بها [وَيَسْتَبْشِرُونَ] يفرحون او يطلبون الفرح او يبشّرون انفسهم او غيرهم [بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم] بحسب الزّمان كالمؤمنين الّذين لم يقتلوا و لم يموتوا او بحسب الرّتبة كالمؤمنين الّذين لم يلحقوا برتبتهم و درجتهم [مِّنْ

خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] قد مضى وجه الاختلاف بين القرينتين فى اوّل البقرة [يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ] النّعمة كالرّحمة الولاية و كلّما صدر منه او انتهى اليها [وَ فَضْلٍ] منه قد مضى انّ الفضل الرّسالة و قبول احكامها و المجازاة بها و لذلك فسّر النّعمة بعلىّ عليه السلام و الفضل بمحمّد صلى الله عليه وآله والتّنكير فيهما للتّفخيم [وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ] قرئ بفتح الهمزة للعطف على نعمة و قرئ بكسر الهمزة للعطف على يستبشرون اولكونها حالاً [ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِن م بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ] صفة للمؤمنين او خبر مبتدءٍ محذوفٍ، او مفعول فعلٍ محذوف للمدح، او مبتدءٌ خبره جملة [لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ] والجملة مستأنفة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ، روى انّ الرّسول صلى الله عليه وآله لمّا دخل المدينة من وقعة احد نزل عليه جبرئيل و قال: يا محمّد صلى الله عليه وآله انّ الله يأمرك ان تخرج فى اثر القوم و لايخرج معك الاّ من به جراحة فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله منادياً ينادى يامعشر المهاجرين و الانصار من كانت به جراحة فليخرج و من لم يكن به جراحة فليقم فأقبلوا يضمّدون جراحاتهم و يداوونها فخرجوا على ما بهم من الالم و الجراح فلمّا بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله حمراء الاسد و هو على ثمانية اميال من المدينة و قريش قد نزلت الرّوحاء قال عكرمة بن ابى جهل و الحارث بن هشام و عمرو بن العاص و خالد بن وليد نرجع و نغير على المدينة قد قتلنا سراتهم و كبشهم يعنون حمزة فوافاهم رجل خرج من المدينة فسألوه الخبر فقال: تركت محمّداً صلى الله عليه وآله و اصحابه بحمراء الاسد يطلبونكم جدّ الطلب فقال ابوسفيان: هذا النّكد و البغى فقد ظفرنا بالقوم و بغينا و الله ما افلح قوم قطّ بغوا فوافاهم نعيم بن مسعود الاشجعىّ فقال ابوسفيان: اين تريد؟ـ قال المدينة لامتار لاهلى طعاماً، فقال: هل لك ان تمرّ بحمراء الاسد و تلقّى

اصحاب محمّد ﷺ و تعلمهم انّ حلفاءنا و موالينا قدوافونا من الاحابيش حتّى يرجعوا عنّا و لك عندى عشرة قلائص املأها تمراً و زبيباً، قال: نعم؛ فوافى من غد ذلك اليوم حمراء الاسد فقال لاصحاب رسول الله ﷺ اين تريدون؟- قالوا:قريشاً قال: ارجعوا انّ قريشاً قداجتمعت اليهم حلفاؤهم و من كان تخلّف عنهم و ما اظنّ الاّ اوائل خيلهم يطلعون عليكم السّاعة فقالوا: حسبنا الله و نعم الوكيل ما نبالى، فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فقال: ارجع يا محمّد ﷺ فانّ الله قد ارعب قريشاً و مرّوا لا يلوون على شيءٍ، فرجع رسول الله ﷺ و انزل الله: الّذين استجابوا؛ الاية، و قيل: نزلت الاية فى بدرٍ الصّغرى و ذلك انّ اباسفيان حين اراد ان ينصرف من احد قال: يا محمّد ﷺ موعدنا موسم بدر الصّغرى من قابل، فلمّا كان العالم المقبل خرج ابوسفيان فى اهل مكّة فالقى الله عليه الرّعب فبدا له فلقى نعيم بن مسعود الاشجعىّ فقال له ابوسفيان: انّ واعدت محمّداً ﷺ ان نلتقى بموسم بدر وانّ هذه عام جدب و بدا لى ان لااخراج اليه و اكره ان يزيدهم ذلك جرأة فالحق بالمدينة فثبّطهم و لك عندى عشرة من الابل اضعها على يد سهيل بن عمرو، فأتى نعيم المدينة فوجد النّاس يتجهّزون فثبّط و أرعب أصحاب الرّسول فقال رسول الله ﷺ: و الّذى نفسى بيده لاخرجنّ و لو وحدى فانحرف الجبان و تأهّب الشّجاع و قال: حسبنا الله و نعم الوكيل، فخرج رسول الله ﷺ فى أصحابه حتّى وافوا بدراً الصّغرى و كانت موضع سوقٍ لهم فى الجاهليّة يجتمعون اليها فى كلّ عام ثمانية ايّام فاقام ينتظر اباسفيان و قد انصرف ابوسفيان فسمّاهم اهل مكّة جيش السّويق و قالوا: خرجتم تشربون السّويق، و وافق رسول الله ﷺ السّوق و كانت لهم تجارتٍ فباعوا و اصابوا للدّرهم درهمين و انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين [ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ] صفة الّذين استجابوا، او صفة الّذين

احسنوا منهم، او مبتدء خبره فزادهم ايماناً و دخول الفاء فی الخبر لكون المبتدأ متضمّناً معنى الشّرط، او خبره فانقلبوا بنعمة من الله، او خبر مبتدءٍ محذوفٍ، او مبتدء خبرٍ محذوفٍ، او مفعول فعلٍ محذوفٍ للمدح و المراد بالنّاس نعيم بن مسعود علی ما نقل من حكايته او ركب من عبد القيس علی ما قيل انّه لقی اباسفيان بعد ما علم بخروج محمّد ﷺ من المدينة علی اثرهم ركب من عبدالقيس فقال: اين تريدون؟ـ فقالوا: نريد المدينة فقال: هل انتم مبلّغون محمّداً ﷺ رسالتی و احمل لكم ابلكم هذه زبيباً بعكاظ غداً اذا وافيتمونا؟ـ قالوا: نعم، قال: فاذا جئتموه فأخبروه انّا قد اجمعنا للكرّة عليه و علی اصحابه لنستأصل بقيّتهم، او المراد بالنّاس منافقوا اصحاب الرّسول ﷺ [إِنَّ ٱلنَّاسَ] يعنی اباسفيان و اصحابه [قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا] لانّ المتوسّل بالله بعد الاتّصال بخلفائه بسبب الايمان اذا دهمته بليّة يزداد اتّصاله الايمانیّ و يتقویّ توسّله و ايمانه [وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ فَٱنقَلَبُوا۟] من حمراء الاسد او من بدر الصّغری [بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ] ای مع نعمة من الله و هی عافيتهم من القتال و سلامتهم من اثر الجراح الّذی كان بهم و قوّة من القلب و الايمان [وَفَضْلٍ] الشّرف و الصّيت و ارعاب قلوب الاعداء او بنعمةٍ هی ما أصابوا من التّجارات ببدر و فضل هو الرّبح الّذی اصابوه من ضعفی ما كان لهم او بنعمة هو علیّ عليه السلام و فضل هو محمّد ﷺ [لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ] لا من عدوّهم و لا من جراحاتهم [وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ] حيث امتثلوا امره مع ما بهم من الجراح [وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ] فيتفضّل عليهم فی الاخرة بما لاحدّ له و ما لاعين رأت و فيه تحسير للمتخلّفين و تخطئة لهم و ترغيب فی الجهاد [إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ] الشّيطان خبر ذلكم او صفته و الخبر [يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ] و المراد بالمشار

الیه نعیم بن مسعود المثبّط او ابوسفیان او المثّبط من رکب عبد القیس و اولیاءه مفعول اوّل او مفعول ثانٍ [فَلَا تَخَافُوهُمْ] ای الشّیطان و من معه او اولیاء الشّیطان [وَخَافُونِ] فانّ الضّرر من کلّ ضارّ لایصل الی احد الاّ باذنی [إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ] فانّ شأن الایمان و الاعتقاد بتوحید الله ان لایرجو المؤمن و لایخاف الاّ الله [وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ] فی الذّهاب الی الکفر لخوفك ان یضرّوك او یضرّوا المؤمنین بتقویة الکافرین او مقاتلة المؤمنین و المراد بهم المنافقون المتخلّفون عن الجهاد [إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ] فی مقام التّعلیل و المعنی لن یضرّوا اولیاء الله و مظاهره فی الارض [شَيْـًٔا] من الضرّر علی ان یکون شیئاً قائماً مقام المصدر و یجوز ان یکون بدلاً من الله نحو بدل الاشتمال بتقدیر لن یضروّا الله شیئاً منه، و یجوز ان یکون منصوباً بنزع الخافض ای بشیءٍ من الله [يُرِيدُ ٱللَّهُ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ او حال [أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْأَخِرَةِ] و فیه تسلیة للرّسول ﷺ و دلالة علی انّ تسرّعهم الی الکفر انّما هو بارادة الله و ان لم یکن برضاه [وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ] فی الدّنیا و الاخرة فانّ التعبیر بالجملة الاسمیّة الدّالّة علی الاستمرار الثّبوتیّ یدلّ علی کونه ثابتاً لهم من حین التّکلّم [إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ] تأکیدٌ للاوّل او تعلیل له و تعمیم للحکم لجمیع الکفّار بعد تخصیصه بالقاعدین المنافقین [لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟] قرئ تحسبنّ بالخطاب و بالغیبة [أَنَّمَا نُمْلِى] انّ الّذی نملی او انّ الاملاء [لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ] لهم متعلّق بنملی و انّما نملی مفعول ثان لیسحبنّ او بدل من المفعول الاوّل مغنٍ عن المفعول الثّانی و علی کون الّذین کفروا فاعلاً فهو قائم مقام المفعولین و الاملاء الامهال او اطاعة العمر [إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ

لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا] جواب لسؤال مقدّرٍ و ما كافّة او مصدريّة او موصولة [وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ] فى الدّنيا و الاخرة من حيث التّكلّم و لمّا كان المقام مقام السّخط و الغضب ناسبه البسط و التّغليظ و التّكرير و لذلك كرّر نفى الضّرر و ثبوت العذاب باوصافٍ مختلفة و اتى فى الاوّل بوصف العظيم للعذاب للاشعار بانّ عذاب المنافق اشدّ و اعظم من عذاب سائر الكفّار و [مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ] اى على الحال الّتى انتم عليها من اختلاط المخلص بالمنافق و المحقّق بالمنتحل بل كان شيمته القديمة الابتلاء و الامتحان بالتّكاليف المخالفة للهواء [حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ]كأنّه قيل: ان اطلعنا الله على ما فى قلوب من الاخلاص و النّفاق اجتنبنا عن المنافق فقال: و ما كان الله [لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ] من بيانيّة و الظّرف حال من من يشاء يعنى انّ الله يختار من يشاء حالكونه عبارة من رسله للاطّلاع على المغيبات عنكم بارائتها لهم او اخبارهم بها بتوسّط الملائكة او بلاواسطة فلا تقولوا برأيكم فيما هو غيب عنكم من قولكم لو كان كذا لكان كذا، و من نسبة الخير و الشّرّ الى العباد [فَـَٔامِنُواْ] اذعنوا او اسلموا حقيقةً كما اسلمتم ظاهراً، او آمنوا بالايمان الخاصّ و البيعة الخاصّة و قبول الدّعوة الباطنة [بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ] اى خلفائه من الرّسل و اوصيائهم [وَإِن تُؤْمِنُواْ] تذعنوا او تسلموا بالبيعة اللعامّة او تؤمنوا بالبيعة الخاصّة [وَتَتَّقُواْ] سخط الله باتّباع خلفائه فيما أمروا به و نهوا عنه؛ او تتّقوا الانحراف عن الطّريق بالبيعة الخاصّة، او تتّقوا الخروج عن الطّريق بعد البيعة الخاصّة و الدّخول فيه [فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ] لمّا كان عظم الاجر خاصّاً بمن قبل ولاية علىّ عليه السلام بالبيعة الخاصّة و قبول

الدّعوة الباطنة فالشّرط لابدّ و ان يفسّر بما يشمل الايمان الخاصّ [وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ] قرئ بالغيبة فالفاعل ضمير راجع الى الرّسول او الى من يتأتّى منه الحسبان و المفعول الاوّل الّذين يبخلون بتقدير مضافٍ ليطابق المفعول الثّانى او الفاعل الّذين يبخلون و المفعول الاوّل محذوف و قرئ بالخطاب خطاباً للرّسول ﷺ او لكلّ من يتأتّى منه الخطاب و الّذين يبخلون مفعوله الاوّل بتقدير مضاف اى لاتحسبنّ بخل الّذين يبخلون [بِمَآ ءَاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ] لانّ البخل يستجلب العقاب عليهم و ليس الامساك يبقى المال و لاالانفاق يفينه [سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ] عن الصّادقين عليهم السلام: ما من احدٍ يمنع زكوة ماله شيئاً الاّ جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوّقاً فى عنقه ينهش من لحمه حتّى يفرغ من الحساب و هو قول الله تعالى: **سيطوّقون ما بخلوا**: و عن الصّادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ، ما من ذى زكوة مال نخل او زرع او كرم يمنع زكوة ماله الاّ قلّده الله تعالى تربة ارضه يطّوق بها من سبع ارضين الى يوم القيامة، اعلم انّ البخل لايكون الاّ لتعلّق القلب بما يبخل البخيل به و كلّما تعلّق القلب به يكون بملكوته حاضراً فى القلب و ثابتاً فيه و كلّما كان ثابتاً فى القلب يتمثّل عند القلب يوم تبلى السّرائر، و بتفاوت التعلّق يكون حضوره متفاوتاً بنحو الطّوق او بنحو اللّباس مشتملاً على جميع البدن، او بنحو البيت و غير ذلك من انواع الحضور سواء كان ذلك الّذى يبخل به من الاموال او القوى و الابدان، او العلوم النّفسانيّة الّتى بخلوا بها و لم يظهروها لاهلها مثل اليهود و النّصارى بخلوا بما علموا من اوصاف محمّد ﷺ و علىّ عليه السلام الّتى كانت فى كتبهم و اخبار اسلافهم، و مثل المنافقين من الامّة بخلوا بما علموا من حقّيّة محمّد ﷺ و من بعده بما علموا من حقّيّة

علىّ عليه السلام فانّ من كتم علماً ألجمه الله تعالى يوم القيامة بلجام من النّار [وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ] يعنى له ما فى السّماوات و الارض و ادّاه بلفظ الميراث للاشعار بانّ ما فيها يبقى من بعض و يرثه بعض آخر، و هكذا كان حاله و ما كان حاله هكذا فلا ينبغى للعاقل ان يبخل به و لا يعطيه بيده و قال الله للاشارة الى انّ الكلّ ملكه فلا ينبغى للعاقل ان يبخل بملك الغير و لا يعطيه بأمره او المعنى لله ميراث هى السّماوات و ما فيها و الارض و ما فيها من العالم الكبير و الصّغير يعنى يفنى الكلّ و يبقى الله الواحد القهّار وارثاً لها و لما فيها؛ فما بال متروكٍ به المرء يبخل؟ [وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ] من البخل و الاعطاء [خَبِيرٌ] وعد و وعيد و قرئ بالخطاب بطريق الالتفات من الغيبة الى الخطاب [لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ] لمّا ذمّ البخل و المنع توهّم انّ الله يحتاج فى اصلاح حال الفقراء الى الاغنياء و كأنّه قيل: هل له حاجة الى انفاق المنفق؟ـ فقال تعالى ردّاً لهذا الوهم و سدّاً لهذا الخيال: لقد سمع الله [قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ] قالت اليهود ذلك لمّا سمعوا: من ذا الّذى يقرض الله قرضاً حسناً و قيل كتب النّبىّ صلى الله عليه وآله مع أبى بكر الى يهود بنى قينقاع[1] يدعوهم الى الاسلام و ما عليه المسلمون من اقام الصّلوة و ايتاء الزّكوة و ان يقرضوا الله قرضاً حسناً، فدخل ابوبكر بيت مدارستهم فوجد ناساً كثيراً منهم اجتمعوا الى رجل منهم، فدعاهم الى الاسلام و الصّلوة و الزّكوة و ان يقرضوا الله قرضاً حسناً فقال ذلك الرّجل: فانّ الله فقير و الاّ لما استقرضنا اموالنا فلطمه ابوبكرٍ و نزلت الاية [سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ] قرئ سنكتب بالتّكلّم و بالغيبة على صيغة المجهول و قتلهم بالنّصب و بالرّفع [وَنَقُولُ] قرئ بالتّكلّم و بالغيبة [ذُوقُوا۟ عَذَابَ

١ـ قيقناع بفتح القاف و تثليث النون شعب اليهود من يهود المدينة.

ٱلْحَرِيقِ]و فيه تأكيد فى التّهديد من حيث اقتران ما قالوه بقتل الانبياء عليهم السلام و كتابته و ظبطه بنفسه ثمّ ذكر الجزاء بالعذاب الحريق و الاخبار باستهزائه بهم حين العذاب، و الذّوق ادراك المطعوم ثمّ اتّسع فيه فاستعمل فى كلّ ادراك ملذّ اومولهم، و انّما اختار الذّوق الّذى يكون فى المطعوم ههنا لانّ العذاب مرتّب على قولهم و هذا قول ناشٍ عن البخل و التّها لك على المال و غالب حاجة الانسان الى المال تكون لتحصيل المطاعم و لذلك كثر ذكر الاكل مع المال [ذَٰلِكَ]العذاب [بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ]خصّص الايدى بالذّكر لانّ معظم الاعمال البدنيّة تصدر منها [وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ]الظّلام كالتّمار و الخيّاط للنّسبة و ليس للمبالغة و هو معطوف على ما قدّمت ايديكم و سببيّة نفى الظّلم عنه تعالى للعذاب بواسطة انّ نفى الظّلم مستلزم للعدل و الفضل و العدل يقتضى عقوبة المسىء كما يقتضى اثابة المحسن، او المقصود التّنبيه على انّ المسىء اذا صار متمكّناً فى الاساءة صار فعليّته الاخيرة هى قوّته المسيئة المناسبة للجحيم و الامها و تلك القوّة كما تكون مناسبة للجحيم تكون منافية للنّعيم، و الانسانيّة فى هذا الانسان تكون مغلوبة خفيّة غير ظاهرة باقتضائها فلو لم يدخل هذا الانسان فى الجحيم لكان ظلماً على قوّته المقتضية لها و ان كانت الجحيم عذاباً لانسانيّته لكن انسانيّته مختفية غير مقتضية لشىءٍ [ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ] صفة للّذين قالوا انّ الله فقير او بدل منه و يجوز ان يكون مقطوعاً مستأنفاً للذّمّ خبر مبتدء محذوف، او مفعول فعل محذوف، او مبتدء خبر محذوف [إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ] اى فى التّوراة لانّ القائلين القول الاوّل كانوا من اليهود كما سلف او على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله و خلفاء نبيّه [أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ]يعنى عهد الينا ان لانؤمن الاّ برسولٍ يأتى بهذه المعجزة الّتى كانت الانبياء بنى اسرائيل و

هى ان يقرب عليه السلام بقربان فيقوم النّبىّ صلى الله عليه وآله فيدعو فيأتى نار من السّماء فتحيل القربان الى طبعها بالاحراق [قُلْ]لهم [قَدْ جَآءَكُمْ]اى اسلافكم الّذين كنتم اسناخاً لهم [رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِالْبَيِّنَٰتِ] والمعجزات الكثيرة غير ماقلتم [وَبِالَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ] فى هذه الدّعوى [فَإِن كَذَّبُوكَ] فلاتحزن فانّ المكذّبية كانت سيرة الانبياء [فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو]صفة او حال بتقدير قد اومستأنف [بِالْبَيِّنَٰتِ] المعجزات الواضحات اوالموضحات الّتى هى من آثار الرّسالة و مصدّقاتها او الحجج الدّالّة على صدق رسالتهم او الاحكام القالبيّة الدّالّة على صدقهم [وَٱلزُّبُرِ] الحكم و المواعظ الّتى هى آثار الولاية الدّالاّت على حقّيّتهم و صدقهم [وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ]احكام الرّسالة الّتى تضىء قلوب العاملين بها و تنير صدق الرّسل فى رسالتهم او الّتى تتّضح فى أنفسها فانّ المنير من انار و هو لازم و متعدّو الكتاب التدوينىّ صورة تلك الاحكام.

اعلم انّ البيّنة من بان بمعنى ظهر و اظهر لازم و متعدّ تطلق على المعجزة لوضوح كونها من الله و ايضاحها ما تدلّ عليه من صدق من أتى بها، و على احكام الرّسالة لانّها احكام القالب الظّاهرة على كلّ ذى حسّ و المظهرة لصدق من أتى بها و المظهرة طريق من عمل بها، و على الحجج و البراهين الدّالّة على صدق الدّعوى، و على الشّاهد المظهر بنطقه صدق الدّعوى، و على الحروف الملفوظة من اسماء الحروف، او غلى غير الحرف الاوّل من حروف اسماء الحروف مقابل الزّبر المطلقة على الحروف المكتوبة منها، و الزّبر جمع الزّبور بالفتح بمعنى الكتاب لكنّ المراد بها ههنا الاحكام القلبيّة و آثار الولاية من المواعظ و النّصائح و الاتار الّتى تظهر للسّالكين فى طريق الولاية فانّها كلّها التّعبير عنها ليس الاّ بالكناية و الاشارة كما انّ الكتابة فى

الحقيقة تعبيرٌ عمّا فى القلب بنحو اشارة و المراد بالكتاب ههنا احكام الرّسالة القالبيّة [كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ و تسلية للرّسول ﷺ وللمؤمنين و تهديد للمكذّبين كأنّه قيل: فمالنا لانرى الفرق بين المصدّقين والمكذّبين؟ـ فقال تعالى: كلّ نفسٍ ذائقة الموت [وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ] توفية الشّيء اعطاءه بتمام اجزائه يعنى تعطون اجوركم بتمامها من دون نقيصة شيءٍ منها [يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ] اى يوم قيامكم عندالله، او قيامكم من قبوركم واشار بمفهوم القيد الى انّه يعطى شيء من الاجور قبل القيامة بعد الموت و فى الحيوة الدّنيا لانّ انموذج الاجر فى الاعمال الّتى لها اجرٌ ان وقعت على ما قرّرها الشّارع يكون مع العمل و يصل شيءٍ من الاجر الى العامل بعد العمل فى الدّنيا و فى القبر لكن تمام الاجر بحيث لايشذّ منه شيء يعطى يوم القيامة [فَمَن زُحْزِحَ] اى بوعد [عَنِ ٱلنَّارِ] تفصيل لاقسام الاجر و اربابها [وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ] بالنّجاة و نعيم الاخرة [وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ] جمع الغارّ او مصدر و هذا واقع موقع من ادخل النّار و زحزح عن الجنّة فقد هلك و اكتفى بهذا للاشعار بانّ الغرور بالحيوة الدّنيا مادّة دخول النّار فكأنّه قال: و من اغترّ بالحيوة الدّنيا ادخل النّار، و من ادخل النّار فقد هلك، فى الحديث القدسىّ: فبعزّتى حلفت و بجلالى اقسمت انّه لايتولّى عليّاً عليه السلام عبد من عبادى الاّ زحزحته عن النّار و أدخلته الجنّة، ولايبغضه احد من عبادى الاّ ابغضته [لَتُبْلَوُنَّ] مستأنفة منقطعة عمّا قبلها، او جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: مالنا يرد علينا البلايا فى أموالنا و أنفسنا؟ـ فقال: أقسم بالله على سبيل التّأكيد بالقسم و لامه و نون التّأكيد لتبلونّ ولتمتحنّن حتّى يخرج ما ينافى الايمان من وجودكم و يخلص ايمانكم ممّا خالطه من الاغراض الفاسدة الشّيطانيّة و الاهوية الكاسدة

النّفسانيّة فأشار بلفظ لتبلوّن الى انّ الابتلاء [فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ] لان يخلصكم ممّا لا ينبغى ان يكون خليط ايمانكم، و الابتلاء فى الاموال بتكليف اخراج الحقوق منها او تكليف قضاء الحوائج و حفظ النّفوس و الحقوق و صلة الارحام بها، او باتلافها بافاتٍ ارضيّة و سماويّة، و الابتلاء فى النّفوس بتكليف الجهاد و الحجّ و سائر العبادات، او بالافات البدنيّة و النّفسيّة [وَلَتَسْمَعُنَّ] ذكر للخاصّ بعد العامّ للاهتمام به فانّ سماع الاذى ابتلاء فى الانفس [مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ] اليهود و النّصارى [وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا] اى قولاً فيه اذى كثير لكم كهجاء الرّسول ﷺ و الطّعن فى دينكم و لمزالمؤمنين و التّخويف بالقتل و الاسر و النّهب و الشّماتة بكم و غير ذلك، و هذا اخبار على سبيل التّأكيد حتّى يوطّنوا انفسهم عليه فلا يضطربوا فى دينهم و لافى انفسهم حين ورودها عليهم [وَإِن تَصْبِرُوا۟] و لا تضطربوا فى الدّين و لا تخرجوا بالجزع عن الثّبات فى الدّين و لاتتبادروا الى المكافاة بالالسن او الايدى [وَتَتَّقُوا۟] عن المكافاة بالاساءة اليهم و عمّا يخالف رضى الله تتمكّنوا فى دينكم و تتفضّلوا بصفة العزيمة و الثّبات [فَإِنَّ ذَٰلِكَ] الصّبر و التّقوى [مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ] ممّا يعزم عليه من الامور اى ممّا ينبغى ان يعزم و يوطّن النّفوس عليه [وَ]اذكروا يا امّة محمّد ﷺ [إِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ]حتّى تكونوا على ذكر منه فلا تصيروا مثلهم بان تتركوا الميثاق الّذى يأخذه محمّد ﷺ عليكم بولاية علىّ عليه السلام و بان تبيّنوا ولايته لمن غاب عنكم بقوله ﷺ: الا فليبلغ الشّاهد الغائب منكم فربّ حامل فقهٍ ليس بفقيه، و ربّ حامل فقه الى من هو افقه منه؛ فهو تعريض بالامّة و عطف باعتبار المعنى كأنّه قال: ولتسمعنّ من الّذين اوتوا الكتاب اذىً كثيراً فكونوا ذاكرين له و اذكروا اذ أخذ الله ميثاق

الّذين اوتوا الكتاب على ايدى انبيائهم و خلفاء انبيائهم [لَتُبَيِّنُنَّهُو] اللّام لام جواب القسم لأنّ اخذ الميثاق قائم مقام القسم، و الهاء ارجع الى الكتاب او الى الميثاق، و فى اخبارنا انّه راجع الى محمّد ﷺ و انّ التّقدير اذ اخذالله ميثاق اهل الكتاب فى محمّد ﷺ لتبيننّ ﷺ اذا خرج [لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُو] و قرئ الكلمتان بالغيبة و قراءة الخطاب على حكاية حال التّخاطب [فَنَبَذُوهُ] اى الكتاب او الميثاق او تبيين محمّد ﷺ [وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ] فلم يراعوه و هذه الكلمة صارت مثلاً فى العرب، و العجم لترك الاعتداء بالمنبوذ [وَٱشْتَرَوْاْ بِهِى ثَمَنًا قَلِيلاً] من اعراض الدّنيا و اغراضها و هذا من قبيل الاضراب من الادنى الى الابلغ فى الذّمّ فكأنّه قال: بل لم يكتفوا بالنبذ و جعلوه آلة التّوسّل الى حطام الدّنيا [فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ] فى نفسه فانّ حطام الدّنيا لو لم يكن وسيلة الى الاخرة كان مذموماً و من حيث الاشتراء و الاستبدال حيث استبدلوا بالنّفيس المقصود الخسيس الغير المقصود [لَا تَحْسَبَنَّ] جواب لسؤالٍ ناشٍ من سابقه كأنّه قيل: ما حال هؤلاء؟ـ فقال:لاتحسبنّهم بمفازةٍ من العذاب و انّما وضع الظّاهر موضع المضمر للاشارة الى ذمّ آخر لهم [ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ] اى عملوا كانوا يعجبون بأعمالهم الفاسدة مثل اهل هذا الزّمان و يباهون بافعالهم الكاسدة و كان الضّعفاء يحسبون انّهم على شيءٍ و يحمدونهم على ما قالوه من افعالهم فردع الله الضّعفاء عن ذلك الحسبان و اثبت لهم العذاب بأعمالهم و اعجابهم و ذلك لانّ الاعمال ان كانت من قبيل العبادات فان نقصت من انانيّة العامل شيئاً صارت عبادة، و ان لم تنقص منها او زادتها كانت و بالاً و عصياناً، و ان كانت من قبيل المباحات؛ فان لم تزد فى الانانيّة بقيت على اباحتها، و ان زادتها لم تبق على اباحتها بل صارت و بالاً، و ان كانت من قبيل

المرجوحات مكروهة كانت او محرّمة؛ كانت بذاتها و بالاً و عصياناً، و الاعجاب بالعمل ليس الاّ من زيادة الانانيّة و رؤية النّفس و عملها،فالمعجب بالعمل يجب عليه الاستغفار من ذلك العمل لاالافتخار و الفرح به حيث انّه عمل عملاً جرّه الى النّار و ان كان بصورة العبادة [وَّ يُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ] من الطّاعات و الافعال المرضيّة [فَلَا تَحْسَبَنَّهُم] تأكيد لزيادة الرّدع عن هذا الحسبان و قرئ لاتحسبنّ بخطاب المفرد فى كليهما على ان يكون الخطاب لمحمّد ﷺ او لكلّ من يتأتّى منه الخطاب و قرئ بخطاب الجمع فى كليهما على ان يكون الخطاب له وللمؤمنين و حينئذٍ يكون المفعول الاوّل الّذين يفرحون و المفعول الثّانى قوله تعالى [بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ] و قوله فلا تحسبنّهم تأكيد للاوّل و قرئ بالغيبة فى كليهما مع الافراد فى الاوّل و الجمع فى الثّانى على ان يكون الّذين يفرحون فاعلاً للاوّل و ضمير الجمع فاعلاً للثّانى [وَلَهُمْ عَذَابٌ] جملة حاليّة بلحاظ النّفى لاالمنفيّ و المعنى لاتحسبنّهم فى منجاةٍ او ناجين من العذاب حالكونهم لهم عذاب [أَلِيمٌ]باعجابهم بأعمالهم الفاسدة المردودة و ان كانت بصورة العبادات.

[وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ] اى سماوات الارواح [وَٱلْأَرْضِ] اى ارض الاشباح النّورانيّة و الظّلمانيّة فانّ كلّما كان فيه جهة الفاعليّة اظهر و جهة القبول اخفى كان باسم السّماء اشتروا ثمناً قليلاً او عطف عليه، و جملة لاتحسبنّ الّذين يفرحون (الى آخرها)معترضة والمعنى انّهم انحرفوا عن الله و اشتروا بميثاقة ثمناً قليلاً من اعراض الدّنيا و الحال انّ الله ملك السّماوات و الارض فمن انحرف عنه لطلب ما فى ملكه كان مخطئاً فى طلبه لانّه من كان يريد حرث الدّنيا فعندالله حرث الدّنيا و الاخرة [وَٱللَّهُ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]فيقدر على اعطاء مايشترون بالميثاق من دون الاشتراء و يقدر على اتلاف ما يشترون بميثاقة [إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ]استيناف جواب لسؤالٍ مقدّرٍ للتّعليل على مالكيّته و عموم قدرته لانّ فيهما و فى تنضيدهما و تعانقهما و تعاشقهما و اختلاف حركات السّماوات و اوضاع كواكبها و اختلاف اوضاعها و ظهور الاثار المختلفة منها فى الارض.

[وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ] بتعاقبهما و تخالفهما بالزّيادة و النّقيصة و بالاثار المترتّبة عليهما من اختلاف فصول الارض و توليد المركّبات التامّة و النّاقصة [لَأٓيَٰتٍ] دالّة على علمه تعالى و حكمته و عموم قدرته و مالكيّته و كمال عنايته بخلقه.

[لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ]و هم الّذين بايعوا البيعة الخاصّة الولويّة و قبلوا الدّعوة الباطنة و اقرّوا بولاية علىّ عليه السلام فانّ غيرهم و ان بلغ ما بلغ فى العلم و الزّهد و التّقوى و العبادة بحيث لو عبدالله سبعين خريفاً قائماً ليله صائماً نهاره لم تكن منه مقبولة و لأكّبه الله على منخريه فى النّار لانّه لم يكن له لبّ و لالعمله مقدر، و اولوالالباب هم الّذين يستدلّون بدقائق الصّنع على دقائق الحكمة الدّالّة على عموم القدرة و عموم المالكيّة لله.

[ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ] فى جميع احوالهم فانّ صاحب اللّبّ الّذى قبل الولاية و صار ذالبّ بتلقيح الولاية لايخلو فى احواله من ذكر الله و ان أنساه الشّيطان ذكر ربّه حيناً ما تذكّر فاستغفر على ايّ حال كان [قِيَٰمًا وَقُعُودًا] يجوز فى كلّ منها ان يكون مصدراً و ان يكون جمعاً [وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ] قد مرّ بيان للذّكر و اقسامه و شطر فى الاخبار فى اوّل البقرة عند قوله تعالى: فاذكرونى اذكركم، و فى هذه الاية دلالة على حسن ذكر الله

على كلّ حال و لابأس بذكر الله فى كلّ حال.

و فى خبرٍ: لابأس بذكر الله و انت تبول، و فى خبر عن النّبىّ ﷺ: من احبّ ان يرتع فى رياض الجنّة فليكثر ذكر الله، و فى خبر: ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل فى الغازين.

و فى خبرٍ عن النّبىّ ﷺ يقول الله تعالى: انا مع عبدى ما ذكرنى و تحرّكت به شفتاه.

و فى خبرٍ: ما عمل ابن آدم من عمل انجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله، قالوا، يا رسول الله ﷺ و لاالجهاد فى سبيل الله؟ــ قال ﷺ و لاالجهاد فى سبيل الله و لاان تضرب بسيفك حتّى تقطّع، ثمّ تضرب به حتّى تقطّع ثلاثاً.

و فى حديثٍ قدسىّ: يا موسى عليه السلام لو انّ السّماوات السّبع و عامريهن عندى و الارضين السّبع فى كفّة و لا اله الاّ الله فى كفّة مالت بهنّ، و فى قدسىّ آخر: اذا كان الغالب على عبدى الاشتغال بى جعلت همّه و لذّته فى ذكرى، و اذاجعلت همّه و لذّته فى ذكرى عشقنى و عشقته، و اذا عشقته رفعت الحجاب بينى و بينه، لايسهوا اذا سهى النّاس، اولئك كلامهم كلام الانبياء، اولئك الابدال حقّاً، اولئك الّذين اذا اردت باهل الارض عقوبةً او عذاباً ذكرتهم فيهم فصرفتهم بهم عنهم، و فى قدسىّ آخر: ايّما عبد اطّعلت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسّك بذكرى تولّيت سياسته و كنت جليسه و محادثه.

و نسب الى اميرالمؤمنين عليه السلام انّه قال: انّ الله يتجلّى على عباده الذّاكرين عند الذّكر و عند تلاوة القرآن من غير ان يروه و يريهم نفسه من غير ان يتجلّى لهم لانّه اعزّ من ان يرى و اظهر من ان يخفى فتفرّدوا بالله سبحانه و استأنسوا بذكره.

و نسب اليه عليه السلام فى هذه الاية انّه قال: الصّحيح يصلّى قائماً و المريض

يصلّى جالساً، و على جنوبهم الّذى يكون أضعف من المريض الّذى يصلّى جالساً.

بيان الفكر و مراتبه

[وَ يَتَفَكَّرُونَ] الفكر و التّفكّر و النّظر هو الانتقال من المعلوم الحاضر الى المجهول كما انّ الفقه هو العلم الدّينيّ الّذى ينتقل منه الى علم آخر و العلم عندهم ليس الاّ بهذا المعنى كما انّ الفكر عندهم هو السّير من المبادى المعلومة الى المقاصد المطلوبة للانسان اى المقاصد النّافعة فى الاخرة، و الفكر بهذا المعنى من اجلّ العبادات و اعظم القربات و فى مدحه بهذا المعنى ورد اخبار كثيرة؛ منها: تفكّر ساعة خير من عبادة ستّين سنة، و لهذا الفكر مراتب و درجات بحسب اختلاف احوال الاشخاص فمنها التّفكّر فى حال الخربة المنظورة و الانتقال منها الى فناء بانيها وساكنيها، و منه الى فناء نفس المتفكّر الّتى هى مماثلة البانين و السّاكنين، و منه الى اعداد النّفس للبقاء بعد الفناء، و منه الى لزوم التّوسّل بمن يستعلم منه كيفيّة ذلك الاعداد، و منها التّفكّر فى خلق بدنه الّذى هو مركب روحه و كيفيّة ارتباط اجزائه و اتّصال اركانه بحيث ينتفع منه الانسان بابلغ وجه، و منها التّفكّر فى نفسه و تعلّقها ببدنه بحيث تؤثّر فى بدنه و تتأثّر منه مع الانتقال منه الى المصالح و الحكم المودعة فى انتضاد نفسه و بدنه و قواهما و اجزائهما و رجوعها الى غاية هى استكمال نفسه و بدنه و هما السّماء و الارض فى عالمه الصّغير، و منها ان يتفكّروا.

[فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ] فى العالم الكبير و كيفيّة ارتباطهما و تأثير السّماوات فى الارض و تأثّر الارض منها، و فى وضعهما و وضع كواكب السّماء و اختلافها فى الصّغر و الكبر و الضوء، و فى الحركة

بالبطوء و السّرعة و المناطق و الشّرقيّة و الغربيّة و الاستقامة و الرّجوع و الوقوف، و فى وضع الارض بالنّسبة الى مناطق الكواكب بحيث يلزمه طلوعها و غروبها و تعاقب اللّيالى و الايّام و تخالفهما بالكيفيّة و الزّيادة و النّقصية و تعاقب الفصول الاربعة و فى انتفاع الانسان بتلك الاوضاع، و فى انّ كلاً من هذه الحكم و دقائق الصّنع فى السّماوات و الارض راجع الى الانسان و نافع له، و فى انّ الانسان الّذى هو غاية الكلّ لابقاء له ببدنه و حيوته الحيوانيّة و انّ الغاية ليست انتفاع الانسان من حيث حيوته الحيوانيّة الفانية فلابدّ ان يكون المقصود غير هذه الحيوة و ان يكون بعد هذه الحيوة حيوة اشرف و اتمّ و أكمل من هذه الحيوة او عذاب اتمّ و ابقى و اشدّ من هذا العذاب فيتضرّع عليه تعالى و يلتجىء اليه و يسأله ان يحفظه من عذاب ما بعد هذه الحيوة و ان يوصله الى حيوة اتمّ و يقول [رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا] المخلوق من السّماوات و الارض و ما فيهما [بَـٰطِلاً] غير منتهٍ الى غايةٍ و غير مندرج فيه حكم و مصالح كما يقوله الدّهرىّ و الطّبيعىّ، و منها التّفكّر فى اعماله و اقواله و انّها من اىّ مصدر صدرت و الى اىّ غاية ترجع فيحترز ممّا يصدر من مصدرٍ غير آلهىٍّ او يرجع الى غايةٍ غير انسانيّةٍ، و منها التّفكّر فى خطراته و خيالاته و انّها من اىّ مصدر و الى اىّ غاية، و منها التّفكّر فى صفاته و اخلاقه و انّها من اىّ دار، و منها التّفكّر فى آيات الله و نعمه فى السّماوات و الاراضى فى العالم الصّغير و الكبير، و منها التّفكّر فى صفاته الاضافيّة و خصوصاً جبّاريّته تعالى و انّه ما اخذ من موجودات هذا العالم شيئاً الاّ و اعطى خيراً منها او مثلها، و انّه ما ينسخ من آية او ينسها يأت بخير منها او مثلها كما يشاهد من حال الانسان من اوّل تكوّنه من مادّة الغذاء و وصوله الى الانسانيّة و انسلاخه كلّ آن من لباس و صورة و تصوّره بصورةٍ اكمل و

اشرف الی اوان بلوغه و رشده، و منها التّفکّر فی الذّکر المأخوذ من صاحب الاجازة و فیما یستعقبه من الواردات والاستبصارات و الوجدانیّات الذّوقیّات و المشاهدات و الیه اشار المولویّ ﷺ بقوله:

فکر آن باشد که بگشاید رهی
راه آن باشد که پیش آید شهی

و منها التّفکّر فی الفکر المصطلح للصّوفیّة و هو تمثّل شیخ السّالك عنده من قوّة اشتغاله بذکره بحیث لا یری فیما یری غیره و بحیث یطّلع تدریجاً علی تصرّفاته فی ملکه و فی ملك العالم الکبیر، و هذا الفکر هو غایة الغایات و نهایة الطّلبات و هو السّکینة القرینة بالنّصر و التّأیید و هو الرّیح الفائحة من الجنّة لها وجه کوجه الانسان و هو الامام الظّاهر فی العالم الصّغیر و اشرقت الارض بنور ربّها اشارة الیه و یوم تبدّل الارض غیر الارض بظهوره، و الیه اشار الشّیخ الکامل ﷺ بقوله:

کرد شهنشاه عشق در حرم دل ظهور
قد زمیان برفراشت رایت الله نور

و المنظور من قوله تعالی: کونوا مع الصّادقین هذه المعیّة، و ابتغوا الیه الوسیلة حقیقتها هذه الوسیلة، و کیف مدّ الظّلّ بیانه هذ الظّلّ.

کیف مدّ الظّل نقش اولیاست
کو دلیل نور خورشید خداست
دامن او گیر زوتر بیگمان
تا رهی از آفت آخر زمان

اندر این وادی مرو بی این دلیل
لاأحبّ الافلین گو چون خلیل

و اذا وصل السّالكون الى شيخهم يقولون حالاً و قالاً [سُبْحَـٰنَكَ] اللّهمّ من معرفة امثالنا و وصول اشباهنا الى ساحة جلالك و عمّا يتصوّره المتصوّرون و يظهر عليهم عالم الظّلمة و النّور و يذوقون و يشاهدون آلام دار الفتنة و الغرور، و لذّات نعيم الجنان و راحات دار السّرور، و يعرفون انّ الانسان برزخ بين الجحيم و الجنان [فَ] يستعبذون بربّهم من النّيران و يقولون [قِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ] منادين لربّهم متضرّعين عليه بقولهم [رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ] اعترافاً بانّ ادخال النّار ليس الاّ بحكمه [وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ] وضعوا الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بانّ فعله تعالى جزافاً و ليس ادخال الدّاخلين فى النّار الاّ لظلمهم و ذلك ايضاً سبب انتفاء النّصرة عنهم، و يجوز ان يكون هذه الجملة من كلام الله معترضة او معطوفة على قولهم ثمّ يستبصرون بمساويهم اللّازمة لذواتهم من انانيّاتهم ولوازمها فيستظهرون بالايمان الّذى به يغفر الذّنوب و يسترو يذكرونه مقدّمة لسؤال المغفرة منادين لربّهم مستغيثين به [رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا] من وجودنا هو العقل الّذى يدعونا الى التّسليم و الانقياد و منادياً من خارج وجودنا هو نبىّ عصرنا و خليفته [يُنَادِى] عبادك [لِلْإِيمَـٰنِ] لاجل الايمان او الى الايمان [أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ] [فَ] أجنباه [ـَٔامَنَّا] بك و التجأنا اليك و حصّلنا مادّة الغفران الّتى هى الايمان [رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا] و استر علينا و على غيرنا آثامنا الّتى لها تبعات و مشاهدتها و تذكرتها تستتبع عقوبةً و الماً [وَكَفِّرْ] اى ازل [عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا] جمع السيّئة من ساء بمعنى قبح و الفرق بين الذّنب و السّيّئة بالشدّة و الضّعف فانّ الذّنب

هو السيّئة الّتى هى بنفسها تو ذى الانسانيّة و لها تبعة و عقوبة هى ايضاً تؤذى والسيّئة هى الذّنب الّذى هو بنفسه يؤذى الانسانيّة من دون تبعة له و لذلك نسب الغفران الى الذّنوب و التّكفير الّذى هو بمعنى الازالة الى السيّئات، و يستعمل كلّ فى كلّ [وَ] بعد غفران ذنوبنا و تكفير سيّئاتنا [تَوَفَّنَا] اى خذ بجميع فعليّاتنا [مَعَ ٱلْأَبْرَارِ] ظرف مستقرّ حال عن المفعول او ظرف لغو متعلّق بتوفّنا. و الابرار جمع البرّ بمعنى المحسن الى الخلق مقابل المسىء اليهم، او بمعنى المحسن فى حاله و هو المراد ههنا كما سيأتى الاشارة اليه، ثمّ التجاؤا اليه بعد ما سألوه التّوفّى و الافناء التامّ و نادوه متضرّعين اليه و سألوه البقاء التّامّ بعد الفناء و قالوا: [رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا] من الاستخلاف فى الارض و البقاء بخلافتك و التّمكين فى الدّين و تبديل الخوف بالامن كما قلت: وعد الله الّذين آمنوا منكم و عملوا الصّالحات ليستخلفنّهم فى الارض كما استخلف الّذين من قبلهم و ليمكّننّ لهم دينهم الّذى ارتضى لهم و ليبدلّنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون قالاً و لاحالاً و لاشهوداً بى شيئاً [عَلَىٰ رُسُلِكَ] هذه الكلمة مجملة محتاجة الى تقدير مضافٍ فهو امّا متعلّق بوعدتنا فالتّقدير آتنا ما وعدتنا على السنة رسلك او متعلّق باتنا فالتّقدير آتنا ما وعدتنا على طريقة رسلك، اى طريقة اعطاء رسلك من كمال البقاء فى الكثرات بحيث لاتهمل شيئاً من حقوق الكثرات و من لحاظ التّوحيد بحيث لايشغلنا شأن التّوحيد عن شأن التّكثير و لاشأن التّكثير عن شأن التّوحيد، و انّما سألوه ماوعده تعالى و الحال أنّه لاخلف لوعده خوفاً من تقصيرهم فيما يعدّهم لوعده فالسّؤال لجبران التّقصير فى الاعداد لالمحض التعبّد كما قاله مفسّروا العامّة [وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ] لاتفضحنا ببقاء نقيصة حتّى

يظهر تلك النّقصية فنفتضح بها [إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ] استيناف فى مقام التّعليل، او جواب للسّؤال عن حاله تعالى مع العباد.

اعلم انّ الانسان مالم يصر بذاته و افعاله ذالبّ بتلقيح التّوبة و البيعة الخاصّة الولويّة و قبول الدّعوة الباطنة بقبول الولاية، كان كاللّوز و الجوز و الفستق الخاليات من اللّب و لااعتداد به و لا قرب له عندالله و لو أجهد نفسه فى عبادة الله بقيام اللّيل و صيام النّهار طول عمره لأكّبه الله فى النّار، و اذا صار ذالبٍّ بقبول الولاية و قبول الدّعوة الباطنة صار متذكّراً لله على كلّ حال و متفكّراً فى خلق نفسه و فى الفانيات من الارض و الارضيّ و السّماء و السّماويّ فينظر فيكون نظره عبرة، و يتكلّم فيكون كلامه حكمة، و يسكت فيكون سكوته فكرة بقدر مرتبته فى الايمان، فينظر الى آلام الدّنيا مثلاً و يعتبر و ينتقل لاى الام الاخرة و شدّتها فيستعيذ منها و يتوب الى الله ممّا يجرّها بحسب حاله و ان كان لايقول بلسانه، ثمّ ينظر الى لُبّه و لطيفة ايمانه الّتى هى نازلة ولىّ امره فيستظهر بها و يستغفر لذنوبه الّتى هى حاصلة لها من نسبة الصّفات الى نفسه و يسأله تكفير سيّئاته الّتى هى حاصلة له من نسبة الصّفات الى نفسه، ثمّ يسأله ان يتوفّاه و يأخذ جميع فعليّاته بحيث لا يبقى له نسبة فعليّة الى ذاته و لانسبة ذاته الى ذاته حتّى يحصل له الفناء التامّ عن افعاله و صفاته و ذاته، ثمّ يسأله بلسان غير منسوب اليه البقاء بعد الفناء على نحو بقاء الرّسل بحفظ الوحدة فى الكثرة و هذه آخرة مراتب السّالك و هى الرّبوبيّة بعد العبوديّة، و كلّ ذلك بلسان حاله سواء كان قريناً بلسان القال او لم يكن و سواء كان باستشعاره ام بغير استشعاره، فالاية مشيرة الى مراتب السّير لانّ قوله تعالى: الّذين يذكرون الله الى قوله فامنّا اشارة الى السّير من الخلق الى الحقّ، و قوله فاغفرلنا ذنوبنا الى قوله و توفّنا مع الابرار

اشارة الس السّير من الحقّ الى الحقّ بمراتبه من توحيد الافعال و الصّفات و الذّات و الى السّير فى الحقّ، و قوله: **آتنا ما وعدتنا** الى قوله **لا تخلف الميعاد** اشارة الى السّير بالحقّ فى الخلق، و لكون الاية اشارة الى مراتب الانسان فى الكمال كرّر النّداء و كرّر ربّنا بحسب المراتب و تفاوت ظهور الرّبّ و تفاوت حال السّالك و كان المنادى و المنادى فى كلّ مرتبةٍ غير المنادى و المنادى فى المرتبة السّابقة و لذلك ورد عن النّبيّ ﷺ ويل لمن لاكها بين فكّيه و لم يتأمّل ما فيها، و روى: من حزنه امر فقال خمس مرّات: ربّنا؛ أنجاه الله ممّا يخاف [فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي] اى بانيّ [لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ] فاعطيكم من الوقاية و المغفرة و التّكفير و التّوفية و الايتاء بقدر استعدادكم بأعمالكم [بَعْضُكُم مِّن م بَعْضٍ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ان كان لا يضيع الله عمل عامل فما بال الرّجال يذكرون فى الدّنيا بالمدائح مثل الهجرة و غيرها دون النّساء؟ـ فقال: بعضكم من بعضٍ فمديحة الرّجال مديحة للنّساء ايضاً او جواب لسؤالٍ مذكور على ما روى انّ امّ سلمة قالت: يا رسول الله ﷺ ما بال الرّجال يذكرون فى الهجر دون النّساء؟ـ و معنى كون بعضهم من بعض انّ بعضهم ناشٍ من بعض بالتّوالد، الرّجال ناشون من النّساء، و النّساء من الرّجال، او بعضهم من سنخ بعضٍ، او من مادّة بعض، فلفظة من ابتدائيّة او تبعيضيّة، و لم يكتف تعالى شأنه بالجواب الاجماليّ و اتى بالتّفصيل فى الاجابة بطريق عطف التّفصيل على الاجمال فقال: [فَالَّذِينَ هَاجَرُوا۟] من الاوطان الصّوريّة المانعة من اقامة العبادة و اظهار الدّين الى مدينة الرّسول ﷺ طلباً للدّين او للتمكّن من اظهار الدّين و العبادة، او الى بلد ايّ بلد كان يطلب فيه الدّين، او يتمكّن فيه من اظهار الدّين، او اقامة مراسمه، او هاجروا من دار الشّرك

الباطنىّ الّتى هى النّفس الامّارة ثمّ اللّوامة لانّ المهاجر الحقيقىّ من هجر السّيئات الّتى اصلها النّفس الامّارة [وَأُخْرِجُواْ] الواو بمعنى او، او هو عطف فى معنى التّعليل [مِن دِيَـٰرِهِمْ] الصّوريّة والمعنويّة و هو متنازع فيه لهاجروا و اخرجوا [وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى] اى سبيل المدينة او سبيل الرّسول ﷺ، او سبيل تحصيل الدّين، و اضافه الى نفسه تشريفاً له، او المراد من السّبيل نفس الدّين او الرّسول ﷺ او طريق القلب و الولاية فانّها سبيل الله حقيقة [وَقَـٰتَلُواْ] بالجهاد الصّورىّ او بالجهاد المعنوىّ [وَقُتِلُواْ] من حيوتهم الحيوانيّة باسياف الاعداء الظّاهرة او من انانيّاتهم [لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ] لازيلنّ عنهم انانيّاتهم و لوازم انانيّاتهم من السّيّات القالبيّة [وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ] اى من تحت اشجارها او عماراتها او قطعها.

اعلم انّ اضافات الحقّ الاوّل تعالى ليست اعتباريّة بل اضافات حقيقيّة اشراقيّة يعبّر عنها بالانهار و كلّ مرتبة من العاليات محلّ لظهور اضافاته فيها وبروزها منها الى غيرها، و جهتها الّتى تلى الحقّ الواجب تعالى عالية و محيطة بالجهة الّتى تلى الخلق، و بروز اضافاته تعالى الى الخلق من الجهة الّتى تلى الخلق فصحّ ان يقال: انّ الانهار الجارية الى الخلق جارية من تحت تلك المراتب الّتى هى الجنان بوجهٍ.

[ثَوَابًا] اى جزاء مفعول مطلق من غير لفظ الفعل او مفعول له او التّقدير ادخال ثواب او هو حال من الفاعل او المفعول اى حالكونهم مجزيّين [مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ] عطف او حال فيه تحسين للثّواب الّذى من عندالله تشريفاً لهم؛ روى انّ الاية نزلت فى علىّ عليه السلام حين هاجر من مكّة و معه الفواطم، فاطمة بنت اسدٍ و فاطمة بنت رسول الله ﷺ

و فاطمة بنت الزّبير و قد قارع الفرسان من قريش حين جاؤا من عقبه ليمنعوه فسار ظاهراً قاهراً حتّى نزل ضجنان فلزم بها يوماً و ليلة و لحق به نفر من ضعفاء المؤمنين و فيهم امّ ايمن مولاة رسول الله ﷺ و كان يصلّى ليلته تلك هو و الفواطم و يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم فلم يزالوا كذلك حتّى طلع الفجر فصلّى بهم صلوة الفجر ثمّ سار لوجهه فجعل هو و هنّ يصنعون ذلك منزلاً بعد منزل يعبدون الله عزّ و جلّ و يرغبون اليه كذلك حتّى قدم المدينة و قد نزل الوحى بما كان من شأنهم قبل قدومهم **الّذين يذكرون الله** قوله من ذكر او انثى؛ الذّكر علىّ عليه السلام و الانثى الفواطم، و تلك الايات بل جميع الايات القرانيّة ان كان نزولها خاصّاً فهى جارية فى كلّ من اتّصف بالصّفات المذكورة فيها.

[لَا يَغُرَّنَّكَ] مقطوع عن سابقه و دفع لتوهّم نشأ من قوله انّى لااضيع عمل عاملٍ منكم من انّه كيف لايضاع عمل العالمين و الحال انّ المؤمنين مع كمال طاعتهم فى ضيقٍ من العيش و بلاءٍ كثير و الكافرون و المنافقون مع عدم طاعتهم فى سعةٍ من العيش و راحةٍ من البلاء و الخطاب خاصّ بالنّبىّ ﷺ على طريق ايّاك اعنى و اسمعى يا جارة، او عامّ لكلّ من يتأنّى منه الخطاب، و روى انّ بعضهم تفوّهوا بهذا الوهم بعد ما كانوا يرون المشركين فى رخاءٍ و لين عيش فيقولون: اعداء الله فيما نرى من الخير و قد هلكنا من الجوع فنزل لا يغرّنك.

[تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَـٰدِ] التقلّب كناية عن سعتهم و راحتهم و تجاراتهم الرّابحة و تمكّنهم ممّا ارادوا، ذلك التقلّب [مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ] جواب سؤالٍ محذوف فى مقام التّعليل و خبر مبتدءٍ محذوفٍ او مبتدء خبرٍ محذوفٍ اى فيه متاع قليل و المتاع بمعناه المصدريّ او بمعنى ما به التّمتّع و

قلّته عبارة عن قلّة ما به التّمتّع فى الدّنيا او عن قلّة مدّة التّمتّع فيها، فانّ جميع الدّنيا فى جنب الاخرة مثل ما يجعل احد اصبعه فى اليمّ كما فى الخبر، و مدّة الدّنيا فى جنب الدّهر ليست الاّ مثل ذلك.

[ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ] و لامدى له و لاشدّة مثل شدّته [وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ] جهنّم و المهاد كالمهد ما يهيّئ للصبىّ و راحته و نومه و استعماله هنا للتّهكّم.

[لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ] استدارك ممّا استفيد من قوله تقلّب الّذين كفروا فانّه يستفاد منه انّ الكفّار متنعّمون دون المؤمنين فقال لكنّ المؤمنين لهم جنّات [تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا] من غير زوال [نُزُلًا] تشريفاً لهم و النّزل ما يعدّ للنّازل من طعام و شراب و صلة مثلاً لان يكون حاضراً عند نزوله [مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ] ممّا يتقلّب فيه الفجّار، وضع الظّاهر موضع المضمر اشارة الى مديحة اخرى لهم [وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ] عطف باعتبار المعنى فانّه كما قيل: نزلت آية لايغرّنك (الى آخرها) فى غبطة المسلمين لليهود حيث رأوهم متقلّبين فانّ ذلك التقلّب متاع قليل و له عاقبة سيّئة فكأنّه قال: انّ بعض اهل الكتاب لمن يكفر بالله و لهم جهنّم و انّ منهم.

[لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ] من الكتاب و الشّريعة [وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ] من كتابيهم و شرائعهم.

[خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً] مثل الكفّار منهم و مثل منافقى امّة محمّدٍ ﷺ فهو تعريض بالكفّار من اهل الكتاب وبالمنافقين من اهل الاسلام.

[أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ] اضافة الاجر اليهم تفخيم للاجر كأنّه

لا يمكن معرفته الاّ بالاضافة اليهم [عِندَ رَبِّهِمْ] تفخيم آخر لهم و تعريض بالكفّار و المنافقين [إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: انّ للكفّار جزاءً بقدر استحقاقهم و بحسب اعمالهم و للمؤمنين جزاء بقدر استعدادهم و أعمالهم، و النّفوس البشريّة غير متناهية فكيف يحاسب تلك النّفوس و اعمالها و جزاءها؟

ـ فقال: انّ الله سريع الحساب لانّه لا يشغله حسابٌ عن حسابٍ و لا يشذّ عن عمله شيءٌ و لا يغيب عنه شيءٌ فيحاسب الكلّ دفعة واحدةً في طرفة عين.

[يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ] بالايمان العامّ و البيعة العامّة النبويّة او بالايمان الخاصّ و البيعة الخاصّة الولويّة و قبول الدّعوة الباطنة.

[ٱصْبِرُواْ] الصّبر حبس النّفس و منعها عن مقتضاها، و لمّا كانت مقتضيات النّفس بحسب قواها الدّاخلة و وارداتها الخارجة مختلفةً صار اقسام الصّبر مختلفة بحسب المتعلّق و قد جعل الصّبر في الاخبار ثلاثة اقسام: احدها الصّبر عن المعاصي و هو حبس النّفس عن مقتضى قواها الشّهويّة و الغضبيّة و الشّيطانيّة من غير اذنٍ و اباحة من الله.

و ثانيها الصّبر على الطّاعات و هو حبس النّفس عن الخروج عن مقام التّسليم و الانقياد فانّ النّفس بقوّتها الشّيطانيّة تقتضي الاستبداد و الانانيّة.

و ثالثها الصّبر على المصائب و هو حبس النّفس عن الجزع حين ورود الامر الغير الملائم عليها.

لانّها تقتضي الجزع و الاضطراب و الالتجاء الى غيرها و التماس الدّفع منه عند ورود المنافي عليها اذا لم تتمكّن من دفعه او من الانتقام له اذا كان ممّا ينتقم له و لمّا كانت الايات ذوات وجوه بحسب اللّفظ و بحسب

المعنى و كانت الائمّة عليهم السلام يفسّرون الايات بالوجوه المناسبة لمقامات الكلام بحسب احوال الاشخاص فسّروا الاية بوجوهٍ مختلفة كما سنشير اليها.

[وَصَابِرُواْ] من المصابرة بمعنى حمل كلّ واحد كلّاً على الصّبر على المصائب او على الطّاعات او عن المعاصى او بمعنى المغالبة فى الصّبر اى صابروا عدوّكم فى الغزاء فانّكم اولى بالصّبر و الثبات فى الجهاد منهم حيث ترجون من الله مالا يرجون، اوصابروهم عى التّقيّة، او على الفتنة، و قد اشير الى كلّ فى الخبر كما فسّر اصبروا فى الخبر بالصّبر على الفرائض و الصّبر على المصائب، و على الدّين، و عن المعاصى، بحسب اختلاف احوال السّائلين و المخاطبين و كثرة وجوه القرآن و جواز ارادة كلّ منها بحسب اقتضاء المقام كما اشرنا اليه.

[وَرَابِطُواْ] المرابطة فى الظّاهر ملازمة ثغر العدوّ او ان يربط كلّ من الفريقين خيولهم فى ثغره او المراد بها الاتّصال بالامام بالبيعة الخاصّة الولويّة، اوبالتبعيّة و الانقياد فى الاحكام، او الاتّصال بملكوت الامام.

او المراد انتظار الصّلوة بعد الصّلوة كما اشير الى كلّ فى الاخبار، و قد فسّرت المرابطة فى اخبار كثيرة بالمرابطة على الامام مع اختلافٍ يسير فى اللّفظ. و قد استشهد الصّوفيّة بامثال هذه الاية على ماقالوه انّ السّالك ينبغى ان يجاهد فى الرّياضات و الذّكر و الفكر المأخوذة من صاحب الاجازة فى الشّريعة او الطّريقة بحيث يصفو مرآة قلبه من غبار الكثرات و يتجلّى فيها صورة شيخه و لا يغيب عنه و يسمّون هذا الاتّصال و التّجلّى بالمرابطة و الحضور و الفكر كما يسمّون ذلك المتجلّى بالسّكينة و يقولون: انّ السّالك مالم يتّصل بملكوت شيخه كان سالكاً الى الطّريق لاالى الله. فاذا اتّصل بملكوت شيخه وصل الى الطّريق و صار سالكاً الى الله على الطّريق.

و قبل هذا الاتّصال یكون العبادة منه كلفة و عناء و كرهاً و بعد الوصول تصیر لذّة و راحة و طوعاً؛ و قول المولویّ ﷺ:

جهد كن تا نور تو رخشان شود
تا سلوك و خدمتت آسان شود

اشارة الى هذا الظّهور و التّجلّی، و بهذا الاتّصال تصدق المعیّة مع الصّادقین الّتی امر الله بها فی قوله تعالی: **كونوا مع الصّادقین** و هذا الظّاهر هو الوسیلة الّتی امر الله بابتغائها بقوله: **ابتغوا الیه الوسیلة** و بهذا یتبدّل الارض غیر الارض و **اشرقت الارض بنور ربّها**، و **اخرجت الارض اثقالها** و **تحدّث اخبارها** و **تبلی سرائرها** و هذا الظّاهر هو النّور السّاعی بین أیدیهم وبأیمانهم، روی عن سیّد السّاجدین علیه السلام انّ الایة نزلت فی العبّاس و فینا و لم یكن الرّباط الّذی أمرنا به و سیكون ذلك من نسلنا المرابط و من نسله المرابط [وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ] ای سخطه و عذابه فی ترك ما امرتم به من الصّبر و المصابرة و المرابطة، و اتّقوا الله بعد المرابطة فی الغفلة او الاعراض عن المتجلّی لانّه من یكفر بعد فیعذّبه الله عذاباً لا یعذبه احداً من العالمین [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] قد مضی انّ الترجّی من الله واجب و انّه یجری فی وعده علی عادة الكبار من النّاس.

نجز طبع المجلّد الاوّل من التّفسیر المسمیّ ب «بیان السّعادة»

ثالث جمادی الاولیٰ من شهور سنة ۱۳۸۵ من الهجرة النّبویّة

علی مهاجرها و آله الف صلوة و سلام و تحیّة

و یلیه الجزء الثّانی

ان شاء الله

٨٣٢ص=٢٥٧٩٢٠٠